~~يريحونني أن أنسى~~
سأتذكر دائمًا

TAHEREH MAFI

DEFY ME

كاتبة النيويورك تايمز الأكثر مبيعًا

طاهرة مافي

أعصيني

ترجمة: ضحى صلاح

أَعْصِنِي

مافي ، طاهرة

أَعْصِني : رواية / طاهرة مافي.

ترجمة : ضحى صلاح.
القاهرة : كيان للنشر والتوزيع، 2024.
334 صفحة، 20 سم.
تدمك : 978-977-820-254-0
–ا القصص الأمريكية
أ– صلاح ،ضحى (مترجم)
ب– العنوان : 823
رقم الإيداع : 25174 / 2024
الطبعة الأولى : نوفمبر 2024.
جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة ©

–
كيان للنشر والتوزيع
إشراف عام:
محمد جميل صبري
نيفين التهامي

This translation is published in arrangement
with Writers House, LLC
Copyright © 2019 by Tahereh Mafi.

٤ ش حسين عباس من شارع جمال الدين الأفغاني- الهرم
هاتف أرضي: 0235918808
هاتف محمول: 01000405450 – 01001872290
بريد إلكتروني: kayanpub@gmail.com
info@kayanpublishing.com
الموقع الرسمي: www.kayanpublishing.com

• إن الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأى **الناشرين**.
©جميعُ الحقوقِ محفوظةٌ، وأيُ اقتباسٍ أو إعادةِ طبعٍ أو نشرٍ في أي صورةٍ كانتْ ورقيةً أو الكترونيةً أو بأيةِ وسيلةٍ سمعية أو بصريةٍ دون إذن كتابي من الناشر، يعرض صاحبه للمساءلة القانونية.

أَعْصِنِي

طاهرة مافي

ترجمة: ضحى صلاح

رواية

1

كينجي

إنها تصرخ.

أظنها *تصرخ* بمجرد الكلمات.. لكنها تصرخ.. تصرخ بأعلى صوتٍ لها، بعذاب يبدو مبالغًا فيه تقريبًا، وهو يُسبب دمارًا لم أكن أتخيل حدوثَه. يبدو الأمر كما لو أنها تتهاوى.

هذا لا يبدو حقيقيًّا.

أعني، علمت أن جولييت قوية.. علمت أننا لم نكتشف عمق قواها بعدُ، لكنني لم أتخيل أبدًا أنها ستكون قادرةً على فعل هذا.

ينشق السقف. تيارات زلزالية تُسمَع أصواتها من خلال الحوائط وعبر الأرضيات، تجعل أسناني تصطك. الأرض تهدر تحت قدميَّ. الناس مُجمدون في مكانهم يرتجفون، والغرفة تهتز حولهم. تتأرجح الثريَّات بسرعة كبيرة وتومض الأنوار بشكل يُنذر بالسوء. ثم – مع اهتزازةٍ أخيرة – تنخلِع ثلاث من الثريات الضخمة من السقف، وتتحطم عند ارتطامها بالأرض.

يتطاير البلور، يطير في كل مكان. تنطفئ نصف إضاءة الغرفة؛ ويغمُر المساحةَ الواسعة توهُّج غريب، ويصعب فجأة رؤية ما يحدث. أنظر إلى جولييت وأراها تُحدق، بفكٍّ مفتوح، متجمِّدة أمام مشهد الدمار، وأُدرك أنها يجب أن تكون قد توقفت عن الصراخ منذ دقيقة. لا يُمكنها إيقاف هذا. لقد أطلقت طاقتها بالفعل نحو العالم والآن...

على تلك الطاقة أن تُدمِّر شيئًا ما.

تتموَّج الاهتزازات بتجدُّد وحماس عبر ألواح الأرضية، وتُمزق الجدران والمقاعد *والناس*.

في الحقيقة لم أُصدق الأمر حتى رأيتُ الدم. لثانية يبدو الأمر مُزيفًا، كل الجثث فوق المقاعد مفتوحة صدورهم. يبدو الأمر وكأنه تمثيل.. كنُكتةٍ سيئة، كإنتاجٍ مسرحي سيئ. ولكن عندما أرى الدم يتسرب عبر الملابس والمفروشات.. كثيفًا وثقيلًا.. يقطر على الأيدي المُجمدة؛ أعلم أننا لن نستطيع التراجُع عن هذا أبدًا.

قتلَت جولييت للتو ستمائة شخصٍ في آنٍ واحد.

لا يُوجَد تراجُع من هذا.

أشقُّ طريقي عبر أجساد أصدقائي الهادئة والمذهولة والتي لا تزال تتنفَّس. أسمع أنين وينستون الخافت والمُستمر، ورد براندن الثابت والمُطمئن بأن الجرح ليس سيئًا كما يبدو، وأنه سيكون على ما يُرام، وأنه قد مرَّ بأشياء أسوأ من هذا ونجا منها...

وأعلم أن أولويتي في الوقت الحالي يجب أن تكون جولييت.

عندما أصل إليها أسحبها بين ذراعَي، ويُذكرني جسدها البارد الذي لا يستجيب، بالوقت الذي وجدتها فيه واقفةَ فوق أندرسون، وبندقية مُوجهة إلى صدره. كانت مرعوبة للغاية – ومتفاجئة للغاية – بما فعلته، لدرجة أنها بالكاد تستطيع الكلام. بدت وكأنها قد هربت في مكانٍ ما بداخلها، كما لو أنها وجدت غرفةً صغيرة في دماغها وأغلقتها على نفسها. استغرق الأمر دقيقة لإقناعها بالعودة إلى الواقع مرة أخرى؛ وهي لم تقتُل أيَّ شخص في ذلك الوقت!

أُحاول إيقاظ بعض المنطق بها، متوسلًا لها أن تعود إلى نفسها، أن تُسرع في العودة إلى عقلها، إلى اللحظة الحالية.

-أعلم أن كل شيءٍ مجنون الآن، لكنني أحتاج منك أن تخرُجي من هذا يا جيه. استيقظي. اخرُجي من رأسك. يجب أن نخرج من هنا.

إنها لا ترمِش.

أقول وأنا أهزُّها قليلًا: رجاءً يا أميرة، يجب أن نذهب.. *الآن*...

وعندما تظلُّ ساكنةً لا تتحرك، أستنتج أنه ليس لديَّ خيار سوى تحريكها بنفسي. بدأتُ بجذبِها للوراء. جسدها المتجمد أثقل مما توقعت، تُصدر صوت حشرجةٍ صغيرًا يُشبه النحيب تقريبًا. الخوف يشتعل في أعصابي. أُومئ برأسي إلى كاسل والآخَرين للمضيِّ قدمًا، للذهاب بدوني، ولكن عندما أُلقي نظرة حولي بحثًا عن وارنر أُدرك أنني لا أستطيع العثور عليه في أي مكان.

ما يحدث بعد ذلك يُفْرِغ رئتي من الهواء.

تميل الغرفة. تسوَدُّ رؤيتي، ثم تصفو، ثم تسوَدُّ حوافها فقط في لحظة مُذهلة تدوم كثانية، أشعر بالغرابة، وأتعثر.

ثم فجأة...

تختفي جولييت.

ليس مجازًا.. لقد اختفت فعليًّا. تلاشت. في لحظةٍ كانت بين ذراعي، وفي اللحظة التالية كنتُ أتحسَّس الهواء. أرفُّ بجفنيَّ وأدور حولي، مقتنعًا أنني أفقد عقلي، ولكن عندما أتفحَّص الغرفة أرى الجمهور يبدأ في التحرُّك. لقد تمزقت قمصانهم وخُدشت وجوههم، لكن لا يبدو أن أي شخصٍ قد مات. بدلًا من ذلك يقفون.. مُشوَّشين، وما إن يبدءوا في التحرك ببطءٍ حتى يدفعني أحدهم بقوة. أرفع رأسي لأرى إيان يسبني، يطلب مني التحرك بينما لا تزال لدينا فرصة. أحاول الرد، وأحاول إخباره أننا فقدنا جولييت – أنني لم أر وارنر – ولكنه لا يسمعني، لقد أرغمني للتو على التقدُّم نحو الكواليس، وعندما تتحول همهمة الجمهور إلى هدير أعلم أننا لا نملك خيارًا.

يجب أن أذهب.

2

وارنر

تقول ويداها الصغيرتان تُشكلان قبضتين: سأقتله... سأقتله...

أقول مبتعدًا: إيلا، لا تكوني سخيفة.

تقول وهي تلاحقني وعيناها تلمعان بالدموع: في يومٍ ما. إذا لم يتوقف عن إيذائك، أقسم أنني سأفعل ذلك. سترى.

أضحك.

تصيح قائلة: الأمر ليس مضحكًا!

ألتفِت لمواجهتها: لا أحد يستطيع قتل والدي. إنه لا يُقهر.

تقول: ليس هناك أحد لا يقهر.

أتجاهلها.

تقول وهي تُمسك بذراعي: لماذا لا تفعل أمك شيئًا؟

وعندما ألتقي بعينيها تبدو مختلفة. خائفة.

-لماذا لا يوقفه أحد؟

الجروح على ظهري لم تعد جديدة، لكنها بطريقةٍ ما لا تزال تؤلم. إيلا هي الشخص الوحيد الذي يعرف عن هذه الندبات، ويعرف ما بدأ والي في فعله في عيد ميلادي منذ عامَين. في العام الماضي، عندما أتت جميع العائلات لزيارتنا في كاليفورنيا، اقتحمت إيلا غرفتي، راغبةً في معرفة إلى أين ذهبت إيملين ونظيرة، أمسكت بي وأنا أحدق إلى ظهري في المرآة.

توسلتُ إليها ألا تقول شيئًا، وألا تُخبر أحدًا بما رأته، وبدأت بالبكاء قائلة إنه يجب علينا إخبار شخصٍ ما، وأنها ستخبر والدتها. قلت: إذا أخبرت والدتك، فسوف أتعرض لمزيد من المتاعب فقط. من فضلك لا تقولي شيئًا، حسنًا؟ لن يفعل ذلك مرة أخرى.

لكنه فعلها مرة أخرى.

وهذه المرة كان أكثر غضبًا. أخبرني أنني أبلغ من العمر سبع سنواتٍ الآن، وأنني كبير جدًّا على البكاء.

تقول ويهتز صوتُها قليلًا: يجب أن نفعل شيئًا، (دمعة أخرى تهرب لجانب وجهها، وسرعان ما تمسحها) يجب أن نخبر شخصًا ما.

أقول: توقفي. لا أريد الحديث عن ذلك بعد الآن.

-لكن...

-إيلا. من فضلك.

-لا، يجب أن نفعل ذلك...

أقول لها مقاطعًا إيَّاها: إيلا، أظن أن هناك خطبًا ما بأمي.

يتغير وجهها، يهدأ غضبها: ماذا؟

كنت خائفًا لأسابيع من أن أنطق الكلمات بصوتٍ عالٍ.. بما يجعل مخاوفي حقيقية. حتى الآن أشعر أن نبضات قلبي تتسارع.

تقول: ماذا تقصد؟ ما خطبها؟

-إنها.. مريضة.

ترف إيلا بجفنيها، مشوشة: إذا كانت مريضة يمكننا علاجها. يمكن لأمي وأبي علاجها. إنهما ذكيان جدًّا؛ يمكنهما علاج أي شيء. أنا متأكدة من أنهما يستطيعان علاج والدتك أيضًا.

أهز رأسي، ونبضات قلبي تتسابق الآن، تقرع في أذنيَّ: لا، إيلا، أنت لا تفهمين.. أظن أن...

تمسك بيدي، تعتصرها: ماذا؟ ما الأمر؟

-أظن أن أبي يقتلها.

3

كينجي

نركض جميعًا.

القاعدة ليست بعيدة عن هنا، وأفضل خيار لنا هو الذهاب سيرًا على الأقدام. ولكن في اللحظة التي نصل فيها إلى الهواء الطلق، تختفي مجموعتنا – أنا، وكاسل، ووينستون، براندن المصاب، وإيان، وعاليا. يشكرني شخصٌ ما صارخًا بأنفاس متقطعة، لكنني لست من يفعل هذا.

تتقلص قبضتي.

نظيرة.

لقد أربكتني الأيام القليلة الماضية معها. لم يكن يجب عليَّ الوثوق بها أبدًا. في البداية كرهَتْني، ثم كرهتني أكثر، وفجأة قررَت أنني لست أحمقَ وتُريد أن تكون صديقتي؟ لا أصدق أنني وقعت في هذا الفخ. لا أصدق أنني أحمق إلى هذا الحد. لقد كانت تتلاعب بي طوال هذا الوقت. لقد ظهرت هذه الفتاة من العدم، مُحاكية قدرتي الخارقة، ثم ما إن تتظاهر بأنها أقرب صديقات جولييت نتعرَّض لكمينٍ في الندوة، وتقتُل جولييت نوعًا ما ستمائة شخص؟

لا يمكن.

هذا هراء.

مستحيل أن يكون كل هذا مجرد مصادفة.

حضرت جولييت تلك الندوة لأن نظيرة شجَّعتها على الذهاب. أقنعت نظيرة جولييت بأن هذا هو الشيء الصحيح الذي يجب فعله. ثم قبل خمسِ ثوانٍ من إصابة براندن تُخبرني نظيرة بالركض؟ تُخبرني أن لدينا القدرات ذاتها؟

هراء.

لا أصدق أنني تركت نفسي أتشتَّت بسبب وجه جميل. كان يجب أن أثق بوارنر عندما أخبرني أنها تُخفي شيئًا ما.

وارنر.

يا إلهي. لا أعلم حتى ماذا حدث له.

في اللحظة التي نعود فيها إلى القاعدة نعود للظهور. لا يُمكنني الجزم بما إذا كانت نظيرة قد سلكت طريقها الخاص، لكن لا يُمكننا أن نتباطأ بما أكثر من اللازم لمعرفة ذلك. بسرعة أخفي فريقنا مرة أخرى،

سيتعيَّن عليّ الحفاظ على هذا الغطاء لفترة كافية فقط لنقلنا جميعًا إلى مكانٍ آمن، والعودة إلى القاعدة فقط لا يُعتبر ضمانًا كافيًا. سيطرح الجنود أسئلة، والآن ليس لدي الإجابات التي يحتاجون إليها.

سيكونون غاضبين.

نتسلَّل كمجموعة إلى الطابق الخامس عشر، إلى منزلنا في قاعدة القطاع 45. لقد انتهى وارنر للتو من بناء هذا الشيء لنا. لقد أخلى هذا الطابق العلوي بأكمله ليُصبح مقرَّنا الجديد، وقد ساءت الأمور بالفعل ونحن بالكاد استقررْنا فيه. لا يُمكنني حتى السماح لنفسي بالتفكير في الأمر الآن.. ليس بعد.

أشعر بالغثيان يضرب معدتي. بمجرد أن نجتمع في أكبر غرفة مشتركة لدينا، أُجري تعدادًا سريعًا. جميع الأعضاء الأصليِّين المُتبقين في أوميجا بوينت حاضرون. يظهر آدم وجيمس لمعرفة ما حدث، تنتظر سونيا وسارة لفترةٍ كافية فقط لجمع المعلومات قبل أن تنقُلَا براندن إلى الجناح الطبي. يختفي وينستون في نهاية الردهة خلفهم.

جولييت ووارنر لم يظهَرا قط.

بسرعة نتشارك رواياتنا الخاصة عما رأيناه. لم يمض وقت طويل لنتأكد أننا جميعًا شهدنا الشيء ذاته: الدماء، والفوضى، والجثث المقتولة، ثم – نسخة أقل دموية من الشيء ذاته. لا يبدو أن أحدًا مندهش من المنعطَف الغريب للأحداث مثلما اندهاشي أنا؛ لأنه وفقًا لإيان: «الأشياء الخارقة للطبيعة الغريبة تحدث هنا طوال الوقت، الأمر ليس بهذه الغرابة»، ولكن الأهم من ذلك:

لم يرَ أحدٌ ما حدث لوارنر وجولييت.

لا أحد غيري.

يحدق بعضنا إلى بعض لبضع ثوانٍ. يخفق قلبي بقوةٍ وأشعر بثقلٍ في صدري. أشعر وكأنني أشتعل، أحترق في سخط.

إنكار.

تتحدث عاليا أولًا: أنت لا تظنُّهما قد ماتا، أليس كذلك؟

يقول إيان: على الأرجح.

أقفز على قدميَّ: توقَّفا، إنهما ليسا ميِّتان.

يقول آدم: كيف تكون متأكدًا؟

–سأعرف ما إذا كانا قد ماتا.

–ماذا؟ كيف ستـ...

أُقاطعه: سأعرف فقط، حسنًا؟.. سأعرف. وهما ليسا ميتَين، (آخُذ نفسًا عميقًا ومستقرًّا وأقول بهدوءٍ بقدر الإمكان) لن نصاب بالهلع، يجب أن يكون هناك تفسير منطقي. الناس لا ***يختفون*** فجأة، أليس كذلك؟

ينظر الجميع إليَّ.

أقول بغضب مغتاظًا: أنتم تعرفون ماذا أقصد، جميعُنا نعلم أن جولييت ووارنر لم يهرُبا معًا على سبيل المثال. فهُما لم يتحدثا معًا حتى قبل الندوة. لذا فمن المنطقي أكثر أن يكونا قد اختُطِفا. (أتوقف. أنظر حولي مرة أخرى) أليس كذلك؟

يقول إيان: أو ماتا.

-إذا استمررتَ في الكلام بهذه الطريقة يا سانشيز، يُمكنني أن أضمن أن شخصًا واحدًا على الأقل سيكون ميتًا الليلة.

يتنهَّد إيان بقوة: اسمع، أنا لا أُحاول أن أكون وغدًا. أعلم أنك كنت قريبًا منهما. لكن دعنا نكون واقعِيِّين: لم يكونا قريبَين منَّا. وربما يجعلني هذا أقلَّ اهتمامًا بكل هذا، ولكنه يجعلني أيضًا أكثر تحليلًا للأمور.

ينتظر، ويُعطيني فرصة للرد.

لا أفعل.

يتنهَّد إيان مرة أخرى: أنا فقط أقول إنك ربما تترك العاطفة تحجب حكمك السليم الآن. أعلم أنك لا تريدهما أن يموتا، لكن احتمال موتهما مُرتفع حقًّا. كان وارنر خائنًا لإعادة التأسيس. أنا مندهش لأنهم لم يحاولوا قتله عاجلًا. وجولييت.. ما أعنيه أن هذا واضح.. أليس كذلك؟ لقد قتلت أندرسون، وأعلنت نفسها حاكمةَ أمريكا الشمالية. (يرفع حاجبَيه بإشارة معرفة) كان هذان الاثنان هدفًا لشهور.

أضغط فكيَّ، ثم أُرخيهما، ثم أضغطهما مرة أخرى.

يقول إيان بهدوء: إذن.. يجب أن نكون أذكياء بشأن هذا. إذا ماتوا؛ فنحن بحاجةٍ إلى التفكير في خطواتنا التالية. إلى أين نذهب؟

يقول آدم وهو ينحني للأمام: انتظر، ماذا تقصد؟ أي خطوات تالية؟ هل تظن أننا يجب أن نُغادر؟

تأخذ ليلى يد إيان مُظهرةً دعمها العاطفي مما يجلعني أَغلي وهي تقول: بدون وارنر وجولييت لا أظن أننا بأمانٍ هنا. لقد دفع الجنود بولائهم لهما - لجولييت على وجه الخصوص. بدونها، لستُ متأكدة من أنهم سيتبعون بقيتنا إلى أي مكان.

يضيف إيان: وإذا كانت إعادة التأسيس قد قتلت جولييت، فمن الواضح أنهم قد بدءوا للتو. سيأتون لاستعادة القطاع 45 في أي لحظةٍ الآن. أفضل فرصة لنا للبقاء على قيد الحياة هي التفكير أولًا فيما هو أفضل لفريقنا. أظن أنه ينبغي لنا الانسحاب قريبًا باعتبارنا الأهداف التالية لهم. (يتوقف للحظة) ربما حتى الليلة.

أتهاوى فوق الكرسي بعُنف، أقول شاعرًا وكأنني على وشك الصراخ: يا أخي، هل أنت مُختل! لا يمكننا الانسحاب هكذا! نحتاج للبحث عنهما. علينا التخطيط لإنقاذهما الآن!

يُحدق الجميع إلي فقط. كما لو كنت *أنا* من فقد عقله.

أقول بمحاولةٍ فاشلة لإخفاء النبرة الحادة في صوتي: سيد كاسل، ألا تريد التدخُّل هنا؟

لكن كاسل غارق في كرسيه. يُحدق لأعلى، إلى السقف، إلى لا شيء. يبدو مصدومًا.

لم تُتَح لي الفرصة للتفكير مليًّا في الأمر.

تقول عاليا بهدوء: كينجي، أنا آسفة، لكن إيان مُحق. لا أظن أننا بأمانٍ هنا بعد الآن.

أقول أنا وآدم في الوقت نفسه: لن نغادر!

ألتَفِت مفاجئًا. ينبع الأمل بداخلي بسرعة وقوة. ربما يشعُر آدم تجاه جولييت أكثر مما يُظهِر. ربما يُفاجئنا آدم جميعًا. ربما سيتوقف أخيرًا عن الاختباء، ويتوقف عن التواري في الخلفية. ربما - كما أظن - لقد استعاد آدم نفسه.

-شكرًا لك.

أقول مشيرًا إليه إشارة تقول للجميع: *أترون؟ هذا هو الولاء.*

يقول آدم بنظراتٍ باردة وهو يتحدث: أنا وجيمس لن نهرب بعد الآن، أفهم أنه يتعين على باقي أفراد المجموعة المغادرة، لكنني سأبقى أنا وجيمس هنا. لقد كنت جنديًّا في القطاع 45. لقد عشت في هذه القاعدة. ربما يمنحونني الحصانة.

أعبس: ولكن...

يقول آدم: أنا وجيمس لن نغادر بعد الآن. (يتابع بصوتٍ عالٍ وبشكلٍ حاسم) يمكنك وضع خططك بدوننا. يجب علينا الذهاب الآن على أي حال. (يقف آدم مُلتفتًا إلى أخيه) حان وقت الاستعداد للنوم.

يُحدق جيمس إلى الأرض.

يقول آدم بصوتِ تحذيرٍ لطيف: جيمس.

يقول جيمس عاقدًا ذراعَيه: أريد البقاء والاستماع. يمكنك الذهاب إلى الفراش بدوني.

-**جيمس**...

يقول الطفل ذو العشر سنوات: لكن لديَّ نظرية. وأريد مشاركتها مع كينجي.

ينطق كلمة نظرية وكأنها جديدة عليه، وكأنها صوت مُثير للاهتمام في فمه.

يبدو آدم متوترًا للغاية لدرجة أن تيبُّس كتفَيه يُوترني *أنا* شخصيًّا. أظن أنني لم أهتم به بما فيه الكفاية، لأنني لم أدرك إلَّا الآن أن آدم يبدو أسوأ من مجرد مُتعَب. يبدو مُمزقًا. وكأنه سينهار، سينقسم إلى نصفَين في أي لحظة.

يلفت جيمس انتباهي من الجانب الآخر للغرفة، عيناه متحمِّستان ومتلهفتان.

أتنهَّد.

أقول: ما نظريتك أيها الرجل الصغير؟

يُضيء وجه جيمس: كنت أُفكر للتو «ربما كان كل هذا القتل الوهمي» صرفًا للانتباه مثلًا؟

أرفع حاجبًا.

يقول جيمس: مثلًا إذا أراد أحد اختطاف وارنر وجولييت. مثلما قلت سابقًا كما تعلم، فإن التسبُّب في مثل هذا المشهد سيكون تشتيتًا مثاليًّا، أليس كذلك؟

أقول عاقدًا حاجبيَّ: حسنًا. نعم، أفترض ذلك. لكن لماذا تحتاج إعادة التأسيس إلى تشتيت الانتباه؟ متى كانوا متكتِّمين بشأن ما يريدون؟ على سبيل المثال إذا أراد أحد القادة الكبار خطف جولييت أو وارنر لِمَ لم يظهروا فقط مع عددٍ كبير لَعِينٍ من الجنود لأخذ ما يريدون؟

يقول آدم بغضب: *انتبه للُغتك.*

أقول: إنه خطئي. امسح كلمة لَعِين من سجلك.

يهز آدم رأسه. يبدو وكأنه على وشك خنقي. لكن جيمس يبتسم، وهذا ما يُهم حقًّا.

يقول جيمس بعينَين زرقاوَين مشرقتَين: لا. لا أظنُّهم سيقتحمون المكان هكذا! ليس مع كمٍّ كبير من الجنود إذا كان لديهم شيء يُخفونه.

تقول ليلي: أتظنهم يُخفون شيئًا؟ عنا؟

يقول جيمس: لا أعرف. يخفي الناس أشياءً في بعض الأحيان.

يلقي نظرة خاطفة على آدم وهو يقول ذلك، نظرة تجعل دقات قلبي تتسارع من الخوف، أُوشك على الرد عندما تسبقني ليلي.

تقول: أعني، هذا مُمكن، لكن إعادة التأسيس تملك تاريخًا طويلًا عامرًا بعدَم التظاهر. لقد توقفوا عن ادِّعاء الاهتمام بالرأي العام منذ وقتٍ طويل. إنهم يغتالون الناس في الشارع لمجرد رغبتهم في ذلك. لا أظنهم قلِقون بشأن إخفاء أي شيءٍ عنا.

يضحك كاسل بصوت عالٍ، نستدير جميعًا مُحدقين إليه. أشعر بالارتياح لرؤيته يتفاعل أخيرًا، لكن يَبدو أنه لا يزال غارقًا في أفكاره. يبدو غاضبًا. لم أرَ كاسل غاضبًا حقًّا.

يقول بحدة: إنهم يخفون الكثير عنَّا. عن بعضهم البعض.

يأخذ نفسًا طويلًا وعميقًا، ينهض أخيرًا على قدمَيه. يبتسِم بحذَر للصبي ذي العشر سنوات في الغرفة: جيمس، أنت حكيم بالفعل.

يقول جيمس وهو يرمش بجفنَيه: شكرًا لك.

أقول ويخرج صوتي أقوى مما كنت أقصد: كاسل، سيدي؟ هل لك أن تُخبرنا من فضلك بما يحدث بحق الجحيم؟ هل تعرف شيئًا؟

يتنهّد كاسل. يفرك لحيته بكف يده: حسنًا، نظيرة، (يقول ناظرًا نحو اللاشيء، كما لو أنه يتحدث إلى شبح) تفضّلي.

لم أكن الوحيد الغاضب عندما ظهرت نظيرة كما لو أنها خرجت من الهواء. حسنًا.. ربما كنت الوحيد الغاضب حقًّا.

لكن بدا أن الآخرين مُتفاجئون على الأقل.

يحدقون إليها، ويحدق بعضهم إلى بعض، ثم يلتفتون - **جميعهم**- ناظرين إليَّ.

يسأل إيان: يا أخي، هل كنت تعلم عن هذا؟

أتجهّم.

التخفّي هو قدرتي.. قدرتي بحق الجحيم.

لم يقل أحد إن عليَّ مشاركة ذلك مع أي شخص. خاصة مع شخصٍ مثل نظيرة؛ كاذبة، ومتلاعبة... ورائعة.. كائن بشري رائع.

تبًّا.

أستدير مُحدقًا إلى الحائط. لا يمكنني تشتيت انتباهي بها بعد الآن. هي تعرف أنني معجب بها - وفقًا لكاسل فإن ولعي بها يبدو واضحًا للجميع في نطاق عشرة أميال - وقد كانت تستخدم غبائي لصالحها كما هو واضح.

ذكية؛ أحترم هذا التكتيك.

لكن هذا يعني أيضًا أن عليَّ الحذر منها عندما تكون في الجوار. لا مزيد من التحديق. لا مزيد من أحلام اليقظة. لا مزيد من التفكير في مظهرها عندما تبتسِم. أو الطريقة التي تضحك بها وكأنها تعنيها، في الليلة نفسها التي صرخت في وجهي لسؤالي أسئلة منطقية. والتي بالمناسبة...

لم أظن أنني مجنون لسؤالها بصوتٍ عالٍ: كيف يمكن لابنة قائد أعلى أن تهرب من العقاب على ارتداء غطاء رأسٍ غير قانوني. أخبرتني لاحقًا أنها ترتدي غطاء الرأس كرمزٍ بين الحين والآخر، ولا يمكنها أن تهرب من العقاب على ارتدائه طوال الوقت لأنه غير قانوني، ولكن عندما أشرت للأمر بصوتٍ عالٍ جعلتني أعاني من ارتدائه طوال الوقت لأنه غير قانوني. ولكن عندما أشرتُ لها بهذا تشاجرت معي، ثم سخِرت منّي لكوني لم أستوعب الأمر.

ما زلت لا أستوعب الأمر.

لم تكن تغطي شعرها الآن أيضًا، لكن لا أحد غيري قد لاحظ هذه الحقيقة. ربما كانوا قد رأوها بالفعل على هذا النحو. ربما يكون الجميع قد أجروا تلك المحادثة معها، وقد سمعوا بالفعل قصتها عن ارتدائه رمزيًّا في بعض الأحيان بشكل غير قانوني من خلف ظهر والدها.

-كينجي؟

تقول بصوتٍ حادٍّ لدرجة أنني رفعت رأسي محدقًا إليها على الرغم من إصراري على تثبيت عينيَّ فوق الحائط. كل ما يتطلبه الأمر هو ثانيتان من تلاقي نظراتنا ليخفق قلبي بقوة.

هذا الفم. هاتان العينان.

أعقد ذراعي: نعم؟

تبدو متفاجئة، وكأنها لم تكن تتوقع مني أن أغضب، ولا يُهمني ذلك. يجب أن تعلم أنني غاضب. أريد أن تعرف أن الاختفاء هو قوتي. أعلم أنني تافهٌ ولا يُهمني. بالإضافة إلى ذلك، أنا لا أثق بها. ثم ما خطب أطفال القادة الكبار؟ لماذا يبدون جميعًا حسَني المظهر للغاية؟ وكأنهم فعلوا ذلك عن قصد، وكأنهم صنعوا هؤلاء الأطفال في أنابيب اختبار أو شيءٍ من هذا القبيل.

أهز رأسي لتصفية ذهني.

تقول نظيرة بحذر: أظن حقًّا أنك يجب أن تجلس من أجل هذا.

أقول: أنا بخير.

تعبس، تبدو متألّمة لعدة ثوانٍ تقريبًا، لكن قبل أن تسنح لي الفرصة بالشعور بالسوء تجاه ذلك تهز كتفيها، وتستدير.

وما تقوله بعد ذلك يكاد يشطرني إلى نصفين.

4

جولييت

أجلس فوق كرسي برتقالي في مدخل مبنى ذي إضاءة خافتة. الكرسي مصنوع من البلاستيك الرخيص، وحوافه خشنة وغير مكتملة. الأرضية عبارة عن مشمع لامع يلتصق أحيانًا بنعلي حذائي. أعلم أنني أتنفس بصوتٍ عالٍ جدًّا ولكن لا يمكنني منع ذلك. أجلس فوق يديّ مؤرجحة ساقيَّ تحت مقعدي.

عندها فقط يظهر الصبي. حركاته هادئة جدًّا، لا ألاحظه إلا عندما يتوقف أمامي مباشرة. يتكئ على الحائط قبالتي، وعيناه مركزتان على نقطة بعيدة.

أنا أتفحصه للحظة.

يبدو في مثل عمري، لكنه يرتدي بدلة. هناك شيء غريب به. إنه شاحب جدًّا ومتيبس ويبدو قريبًا من الموت.

أقول محاولةً الابتسام: مرحبًا، هل تريد الجلوس؟

لا يرد ابتسامتي. إنه لا ينظر إليّ حتى. يقول بهدوء: أفضل الوقوف.

-حسنًا.

كلانا صامتان لبعض الوقت.

أخيرًا يقول: أنت متوترة.

أومئ بالإيجاب، لا بد أن عينيَّ احمرَّتا قليلًا من البكاء، لكنني كنت آمل ألا يلاحظ أحد ذلك.

-هل أنت هنا للحصول على عائلة جديدة أيضًا؟

-لا.

-أوه.

أنظر بعيدًا. أتوقف عن أرجحة ساقيّ. أشعر أن شفتي السفلية ترتعش وأعضها بقوة.

-إذن لماذا أنت هنا؟

يهز كتفيه. أراه ينظر إلى الكراسي الثلاثة الفارغة بجانبي لفترة وجيزة، لكنه لا يبذل أي جهد للجلوس.

-لقد جعلني والدي آتي.
-هو الذي جعلك تأتي إلى هنا؟
-نعم.
-لماذا؟
يحدق إلى حذائه متجهمًا: لا أعرف.
-ألا يجب أن تكون في المدرسة؟
بدلًا من أن يجيبني، يقول: من أين أنت؟
-ماذا تقصد؟
ينظر للأعلى ثم يلتقي بنظراتي للمرة الأولى. لديه هاتان العينان غير العاديتَين، إنهما خضراوان فاتحتان وصافيتان.
يقول: تتحدثين بلكنة...
أقول: أوه، نعم. (أنظر إلى الأرض) لقد ولدت في نيوزيلندا. هذا هو المكان الذي عشت فيه حتى وفاة أمي وأبي.
-أنا آسف لسماع ذلك.
أومئ برأسي. أُأرجحِ ساقي مرة أخرى. وأكون على وشك طرح سؤالٍ آخر عندما ينفتح الباب في نهاية الرواق.
يظهر رجل طويل القامة يرتدي بدلة بحرية وهو يحمل حقيبة.
السيد أندرسون، الأخصائي الاجتماعي الخاص بي.
يحدق إلي وجهي: أنت جاهزة. عائلتك الجديدة تتشوق لمقابلتك. لدينا بضعة أشياء يجب القيام بها قبل أن تتمكني من الذهاب، لكن الأمر لن يستغرق وقتًا طويلًا...
لا أستطيع التماسك بعد الآن.
أبدأ بالبكاء على الفور، على الفستان الجديد الذي اشتراه لي. يرجُّ النحيب جسدي، والدموع تضرب الكرسي البرتقالي، والأرضية اللزجة.
يضع السيد أندرسون حقيبته ويضحك: حلوتي، ليس هناك ما يدعو للبكاء. هذا يوم عظيم! ينبغي أن تكوني سعيدة!
لكنني لا أستطيع التحدث.

أشعر بأنني ملتصقة، ملتصقة بالمقعد، وكأن رئتيّ ملتصقتان معًا. تمكنت من تهدئة تنهّداتي ولكنني أُصاب بالحازوقة فجأة، والدموع تنهمر بهدوء على خديّ: أريد.. أريد العودة إلى المنزل...

يقول وهو لا يزال يبتسم: أنت ذاهبة إلى المنزل. هذا هو بيت القصيد.

وفجأة...

-أبي!

أنظر لأعلى ملتفتةً نحو صوته.. هادئ جدًّا وجاد. إنه الصبي ذو العينين الخضراوَين. أدرك أن السيد أندرسون هو والده.

يقول الصبي: إنها خائفة.

وعلى الرغم من أنه يتحدث إلى والده، إلا أنه ينظر إليّ: إنها خائفة حقًّا.

-خائفة؟

ينظر السيد أندرسون مني إلى ابنه، ثم يعود مرة أخرى: ماذا هناك لتخاف منه؟

أفرك وجهي. أحاول وظلٌّ في إيقاف دموعي.

-ما اسمها؟

يسأل الصبي. لا يزال يحدق إلى وجهي، وهذه المرة أحدق إليه بدوري. هناك شيء ما في عينيه، شيء يجعلني أشعر بالأمان.

يقول السيد أندرسون وهو ينظر إلي: هذه جولييت.. مأساوية (يتنهد) تمامًا مثل اسمها.

5

كينجي

نظيرة على حق. كان يجب أن أجلس.

أنظر إلى يدي، أشاهد رعشة تشق طريقها عبر أصابعي. كدت أفقد قبضتي على كومة الصور التي أمسكت بها. الصور.. الصور التي وزعتْها نظيرة بعد أن أخبرتنا أن جولييت ليست من نظنها.

لا أستطيع التوقُّف عن التحديق إلى الصور.

فتاة سمراء صغيرة وفتاة بيضاء صغيرة تجريان في حقل، وكلاهما تبتسمان ابتسامة تظهر أسنانهما الصغيرة. وشعرهما الطويل يُرفرف في مهبِّ الريح، بينما تتأرجح سلتان صغيرتان ممتلئتان بالفراولة من مرفقيهما.

على ظهر الصورة كُتب «*تظيرة وإميلين في حقل الفراولة*».

نظيرة الصغيرة تُعانقها من الجانبين فتاتان بيضاوان صغيرتان، يضحكن جميعهن بشدة ويَبدُون على وشك السقوط.

على ظهرها مكتوب «*إيلا وإميلين ونظيرة*».

صورة مقرّبة لفتاة صغيرة تبتسم مباشرة إلى الكاميرا، عيناها كبيرتان باللون الأزرق والأخضر، شَعْر بُني طويل ناعم يحيط بوجهها.

كُتب عليها «*إيلا في صباح عيد الميلاد*».

تقول نظيرة: *إيلا سومرز*.

تقول إن اسمها الحقيقي إيلا سومرز، أخت إيميلين سومرز، ابنة ماكسيميليان وإيفي سومرز.

تقول نظيرة: *هناك خطبٌ ما*.

تقول: شيء ما يحدث.

تقول إنها استيقظت قبل ستة أسابيع. تتذكر جولييت؛ معذرة، إيلا...

-أتذكرها. كنت أتذكرها.. مما يعني أنني نسيتها. وعندما تذكرت إيلا، تذكرت إيميلين أيضًا. تذكرت كيف نشأنا جميعًا معًا، وكيف اعتاد والدانا أن يكونا صديقين. لقد تذكرت لكنني لم أفهم، ليس على الفور. ظننت أنني خلطت الأحلام بالذاكرة، في الواقع لقد عادت إليَّ الذكريات ببطءٍ شديد لدرجة أنني ظننت لفترة أنني ربما أهلوس.

تقول إن الهلوسة - كما وصفتها - كان من المستحيل التخلص منها، لذلك بدأتْ في التفتيش، وبدأت تبحث عن معلومات.

-عرفت الشيء نفسه الذي تعرفه. لقد تم التبرع بفتاتَين اسمهما إيلا وإيميلين إلى إعادة التأسيس، وأن إيلا فقط أُخرجت من حضانتهما؛ لذلك أُعطيت اسمًا مستعارًا. نُقل مكان إقامتها. عُرضت للتبنّي. لكن ما لا تعرفه هو أن الوالدين اللذين تخلَّيا عن ابنتَيهما كانا أيضًا من أعضاء إعادة التأسيس. كانا طبيبَين وعالِمَين. لم تكن تعلم أن إيلا - الفتاة التي تعرفها على أنها جولييت - هي ابنة إيفي سومرز (القائدة العُليا الحالية لأوقيانوسيا). لقد نشأنا معًا أنا وهي. لقد تربينا معًا - مثل بقية الأطفال - لخدمة إعادة التأسيس.

يشتم إيان بصوتٍ عالٍ، وآدم مذهول لدرجة أنه لا يحتجّ.

يقول آدم: هذا ليس ممكنًا.. جولييت.. الفتاة التي ذهبت معها إلى المدرسة؟! لقد كانت.. (يهز رأسه) لقد عرفت جولييت لسنوات. لم تُربّى مثلك أو مثل وارنر. لقد كانت فتاة هادئة وخجولة ولطيفة. كانت لطيفة دائمًا. لم ترغب أبدًا في إيذاء أي شخص. كل ما كانت تريده هو أن تتواصل مع الناس. كانت تحاول مساعدة ذلك الصبي الصغير في محل البقالة. ولكن بعد ذلك.. كل شيء انتهى بشكل سيئ للغاية وجُرَّت إلى هذه الفوضى كلها وقد حاولتُ.. (ويبدو فجأة مذهولًا) حاولتُ مساعدتها، حاولت الحفاظ على سلامتها. أردت حمايتها من هذا. أردت أن أ...

يقطع كلامه. يجمع شتات نفسه.

يقول مُحدقًا إلى الأرض: لم تكن هكذا، لم تبدأ حتى في قضاء كل هذا الوقت مع وارنر. بعدما قابلته.. هي فقط.. لا أعرف ماذا حدث. لقد فقدَتْ نفسها شيئًا فشيئًا. في النهاية أصبحت شخصًا آخر. (يرفع رأسه) لكن لم تُربّى لتصبح هكذا، ليس مثلك.. ليس مثل وارنر. مُحال إنها ابنة أحد القادة الكبار، إنها ليست قاتلة بالفطرة. إلى جانب ذلك (يأخذ نفسًا حادًّا) لو كانت من أوقيانوسيا لأصبحت تتحدث بلكنة.

تُميل نظيرة رأسها ناظرة إلى آدم.

تقول: الفتاة التي عرفتها تعرضت لصدمةٍ جسدية وعاطفية شديدة. لقد أُزيلت ذكرياتها الأصلية قسرًا. شُحنت عبر العالم كعينة، وأقنعوها بالعيش مع والدَين بالتبنِّي مُسيئَين ضرباها بشدة. (تهز نظيرة رأسها ببطء) إعادة التأسيس - وأندرسون على وجه الخصوص - تأكدوا من ألا تتذكَّر إيلا سبب معاناتها أبدًا، ولكن لمجرد أنها لم تتذكَّر ما حدث لها؛ فإن هذا لم يُغير حقيقة حدوثه. لقد استُخدِم جسدها بشكلٍ متكرر وأُسيئت معاملته من قبل مجموعة من الوحوش. وهذه الإساءة تترك بصمتها.

تحملق نظيرة مباشرة إلى عينَي آدم.

تقول: ربما لا تفهم ذلك. لقد قرأت كل التقارير، اخترقت جميع ملفات والدي، وجدت كل شيء؛ ما فعلوه بإيلا على مدار اثني عشر عامًا ***لا تُوصف***. لذا نعم، أنا متأكدة أنك تتذكر شخصًا مختلفًا تمامًا. لكنني لا أظنها أصبحت شخصًا مختلفًا عن ذي قبل. أعتقد أنها جمعت أخيرًا القوة لتتذكر من كانت دائمًا. وإذا لم تفهم ذلك فأنا سعيدة لأن الأمور لم تنجح بينكما.

وللحظة تختنق الغرفة بالتوتر. يبدو آدم على وشك الاشتعال، كما لو أن النار ستخرج حرفيًّا من مقلتَيه، كما لو أنها ستُصبح قدرته الجديدة.

أُجلي حلقي. أجبر نفسي على قول شيء – أي شيء – لكسْرِ الصمت.

أقول: إذن أنتم يا رفاق تعرفون كل شيءٍ عن آدم.. وجولييت أيضًا.. ها؟ لم أكن أعرف ذلك. هاه.. هذا مُثير للاهتمام.

تلتف نظيرة في مقعدها ببطءٍ لتلتقي بنظراتي وهي تقول: هل أنت تمزح؟

تحملق بي وكأنني أسوأ من أحمق. أظن أنه من الأفضل عدم الضغط على هذه النقطة.

تسأل عاليا مُغيِّرةً الموضوع ببراعةٍ أكثر مني: من أين حصلت على هذه الصور؟ كيف يُمكننا الوثوق بأنها حقيقية؟

تحملق نظيرة إلى عاليا فقط في البداية، ثم تقول باستسلام: لا أعرف كيف أقنعك بأن الصور حقيقية. أستطيع فقط إخبارك بأنها كذلك.

يسود الصمت الغرفة.

تتساءل ليلي: لماذا تُبالين؟ لماذا يُفترض بنا تصديق أنك تهتمين بهذا؟ بجولييت.. *بإيلا*؟ ماذا ستستفيدين من مساعدتنا؟ لماذا تخونين والدَيك؟

تعتدل نظيرة في مقعدها: أعلم أن جميعكم يظن أن أبناء القادة الأعلى هم مجموعة مرضى نفسيين بلا أخلاق مرتاحي البال وسعداء بأن يكونوا الروبوتات العسكرية التي أرادها آباؤهم، لكن لا شيء بهذه البساطة.

آباؤنا هم قتلة مجانين مُصممون على حكم العالم، هذا الجزء صحيح. لكن الشيء الذي لا يبدو أن أحدًا يفهمه هو أن آباءنا اختاروا أن يكونوا قتَلة مجانين. أما نحن –من ناحية أخرى– فقد أُجبرنا على ذلك. ومجرد أننا دُرِّبنا لنكون مرتزقة لا يعني أننا نُحب ذلك. لم يختر أي منَّا هذه الحياة. لم يستمتع أي منَّا بتلقي تعليمات التعذيب قبل تعلُّم القيادة. وليس من الجنون تَخَيُّل أنه حتى الأشخاص البشعون يبحثون أحيانًا عن مَخرج من ظلامهم الخاص.

تلمع عينا نظيرة بالعاطفة بينما تتحدث، وكلماتها تخترق سترة الحماية التي تغلف قلبي. تُغرقني العاطفة مرة أخرى.

تبًّا.

تقول: هل من الجنون حقًّا أن أفكر في أنني قد أهتم بالفتاتين اللتين أحببتُهما ذات مرة كأختَين لي؟ أو عن الأكاذيب التي أجبرني والداي على تصديقها؟ أو الأبرياء الذين شاهدتهم يُقتلون؟ أو ربما شيء أبسط من ذلك.. ربما أني فتحت عينيَّ ذات يوم وأدركت أنني جزء لا يتجزأ من نظام لم يكن يُدمر العالم فحسب؛ بل يذبح كل من فيه أيضًا؟»

تبًا.

أستطيع الشعور بذلك، أشعر بقلبي يمتلئ.. يفيض. يضيق صدري وكأنه مُنتفخ، وكأنه لم يعُد يتسع لرئتيّ. لا أريد أن أهتم بنظيرة. لا أريد أن أشعر بألمها أو بالارتباط بها أو أشعر *بأي شيء*. أريد فقط أن أبقى هادئًا. أكون متحكمًا في أعصابي.

أُجبر نفسي على التفكير في نكتة أخبرني بها جيمس في اليوم الآخر، دعابة سخيفة – شيء له علاقة بالكعك – نكتة سخيفة للغاية لدرجة أنني كدتُ أبكي. أركز على الذكرى، والطريقة التي ضحك بها جيمس على سخافته، وإصداره لضحكةٍ حلقية شديدة أسقطت القليل من الطعام من فمه. أبتسِم وأُلقي نظرة على جيمس، الذي يبدو وكأنه سينام في مقعده.

سرعان ما يبدأ الضيق في صدري بالانحسار.

الآن أنا أبتسم حقًّا، أتساءل عما إذا كان من الغريب أن أُحب النكات السيئة أكثر من النكات الجيدة، عندها أسمع إيان يقول: ليس الأمر أنك تبدين بلا قلب. الأمر فقط أن هذه الصور تبدو مقنعة للغاية. وكأنك أعددتِها لذلك. (يحملق في الصورة الوحيدة التي يُمسك بها) هؤلاء الأطفال يمكن أن يكونوا أي شخص.

تقول نظيرة وهي تقف لإلقاء نظرةٍ أفضل على الصورة بين يدَيه: انظر عن كثب. من تظنها؟

أميل نحو إيان الذي لا يقف بعيدًا عني، وألقي نظرة من فوق كتفه. لا فائدة من إنكار ذلك بعد الآن؛ فالتشابُه جنوني.

جولييت. *إيلا*.

إنها مجرد طفلة، ربما تبلغ من العمر أربع أو خمس سنوات، تقف أمام الكاميرا، مبتسمة حاملة باقة من الهندباء حتى يراها المصور، وكأنها تعرض عليه واحدة. يوجد – إلى جانبها مباشرة – شخص آخر. صبي أشقر صغير. أشقر لدرجة أن شعره أبيض. يُحدق باهتمامٍ شديد إلى زهرة الهندباء الوحيدة في يدَيه.

كدت أسقط من كرسيي. جولييت شيء، لكن هذا...

أقول: أهذا *وارنر*؟

ينظر آدم لأعلى بحدة. ينقل نظراته بيني وبين نظيرة، ثم يتقدم نحو الصورة، يرتفع حاجباه، يكادان يطيران فوق رأسه.

يقول: محال!

تهز نظيرة كتفَيها.

يقول آدم مرة أخرى: محال.. محال.. هذا مستحيل.. مستحيل أن يكونا يعرف كلٌّ منهما الآخر منذ هذا الوقت. لم يكن لدى وارنر أي فكرة عن هوية جولييت قبل مجيئها إلى هنا.

وعندما تبدو نظيرة غير مكترثة، يتابع آدم: أنا جاد. أعلم أنك تظنينني كاذبًا، لكني لستُ مخطئًا في هذا الأمر. كنت هناك. أجرى وارنر مقابلة معي للحصول على منصب رفيق زنزانتها في المصحَّة. لم يكن يعلم من هي. لم يسبق له أن قابلها. لم يرَ وجهها قط، ليس عن قُرب على أي حال. نصف سبب اختياره لي كرفيق لها هو أننا لدينا ماضٍ مشتركٌ، لأنه وجد ذلك مفيدًا. كان يستجوبني لساعاتٍ عنها.

تتنهد نظيرة ببطء، وكأنها محاطة بأغبياء.

تقول لآدم: عندما وجدت هذه الصور لم أفهم كيف صادفتها بهذه السهولة. لم أفهم لماذا يحتفظ أي شخص بأدلة كهذه أمامي مباشرة، أو يجعلها سهلة العثور عليها. لكنني أعلم الآن أن والديّ لم يتوقّعا أبدًا أن أبحث. لقد أصبحا كسولين. ظنّا أنه حتى لو وجدت هذه الصور؛ فلن أعرف أبدًا ما الذي أشاهده. قبل شهرَين كان بإمكاني رؤية هذه الصور وافتراض أن هذه الفتاة.. (تنتقي من كومةٍ صورة لها يظهر فيها حيدر صغير جدًّا بجوار فتاة نحيفة ذات شعر بُني وعينَين زرقاوين برَّاقتين) كانت طفلةً جارةً، شخص عرفته سابقًا لكن لا أستطيع تذكرها.

تقول: لكني أتذكر، أتذكر كل شيء. أتذكر اليوم الذي أخبرنا فيه والدانا أن إيلا وإيميلين قد غرقتا. أتذكر بكائي كل ليلةٍ حتى أنام، أتذكر اليوم الذي أخذونا فيه إلى مكان ظننتُ أنه مستشفى. أتذكر إخبار والدتي لي بأنني سأشعر بتحسُّن قريبًا، وبعد ذلك.. أتذكر أنني لا *أتذكر* شيئًا. كما لو أن الوقت في دماغي قد طوي على نفسه. (ترفع حاجبَيها) هل تفهم ما أحاول قوله لك يا كينت؟

يحدق إليها بغضب: أفهم أنك تظنينني أحمق.

تبتسم.

يقول بانزعاج واضح: نعم، أفهم ما تقولين، أنت تقولين إن ذاكرتكم جميعًا قد مُحيَت، أنت تقولين إن وارنر لا يعلم حتى أنهما عرف كلٌّ منهما الآخر.

ترفع إصبعًا. تقول: *لم يكن يعلم* لم يكن يعلم قبل ندوة المناقشة مباشرة. حاولت تحذيره، كذلك كاسل.. (تلقي نظرة على كاسل الذي ينظر إلى الحائط) حاولت تحذيرهما معًا من أن هناك خطبًا ما، من أن شيئًا كبيرًا يحدث، ولا أعرف ماذا أو لماذا. لم يُصدقني وارنر بالطبع. لست متأكدة من أن كاسل فعل ذلك أيضًا. لكن لم يكن لدي وقت لإعطائهما دليلًا.

أقول مقطبًا: مهلًا، ماذا؟ هل خبرت وارنر وكاسل؟ *قبل* الندوة؟ هل أخبرتهما بكل هذا؟

تقول: حاولت.

تسأل ليلي: لماذا لم تكتفي بإخبار جولييت؟

-تقصدِين إيلا.

تدور ليلي بعينيها في محجريها قائلة: بالتأكيد، إيلا، أيًّا يكن، لماذا لا تُحذريها مباشرة؟ لماذا تُخبرين الجميع سواها؟

تقول نظيرة: لم أكن أعرف كيف ستستقبل الخبر. لقد حاولت قياس رد فعلها منذ اللحظة التي وصلت فيها إلى هنا، ولم أستطع أبدًا معرفة شعورها تجاهي. لم أظن أنها تثق بي حقًّا. وبعد كل ما حدث (تتردد) لم يبد الأمر وكأنه الوقت المناسب أبدًا. أصيبت بطلق ناري، وكانت تتعافى، ثم انفصلت هي ووارنر، كما أنها... لا أعلم. انهارت. لم تكن نفسيًّا بخَير. لقد اضطرت بالفعل إلى تحمّل حفنة من الاكتشافات، ولم يبدُ أنها تتعامل معها بشكلٍ جيد. لأكون صريحة؛ لم أكن متأكدة من أنها تستطيع تحمّل المزيد، وكنت قلقة بشأن ما قد تفعله.

يُغمغم إيان هامسًا: ربما تقتل ستمائة شخص!

أقول بغضب: مهلًا! هي لم تقتل أحدًا! أليس كذلك؟ كان هذا نوعًا من الخدع البصرية.

تقول نظيرة بحزم: لقد كان تشتيتًا للانتباه. كان جيمس هو الوحيد الذي رأى الأمر على حقيقته. (تتنهد) أظن أن كل هذا تم ترتيبه لإظهار إيلا على أنها متقلبة وغير مستقرة. بلا شك ما حدث في الندوة سيقوّض موقعها هنا في القطاع 45، سيغرس الخوف في قلوب الجنود الذين تعهدوا بالولاء لها. ستُوصف بأنها غير مستقرة. غير عقلانية، ضعيفة، وبعد ذلك.. يسهل القبض عليها. كنت أعلم أن إعادة التأسيس تريد التخلص من إيلا، لكنني ظننتهم سيحرقون القطاع بأكمله. كنت مُخطئة. كان هذا تكتيكًا أكثر فاعلية. لم يكن عليهم قتل فوج من الجنود الأكفاء تمامًا، وسكان من العمَّال المُطيعين.. كل ما يحتاجون إليه هو تشويه سمعة إيلا كقائدة لهم.

تقول ليلي: إذن ماذا يحدث الآن؟

تتردد نظيرة. ثم تقول بحذر: بمجرد أن يعاقبوا المواطنين ويقضوا أي أمل في التمرد تمامًا؛ ستقوم إعادة الإعمار بتحويل الجميع ضدكم. سيضعون مكافآت لمن يحضر رءوسكم، أو الأسوأ من ذلك؛ يُهددون بقتل أحبائكم إذا لم يسلمكم المدنيون والجنود. لقد كنت مُحقة (تقول لِليلي) لقد تعهد الجنود والمواطنون بالولاء لإيلا، ومع غيابها هي *ووارنر*، سيشعرون بالتخلي. ليس لديهم سبب للثقة ببقيتكم. (تسكت قليلًا) يمكنني القول إن لديكم حوالي أربع وعشرين ساعة قبل أن يأتوا من أجلكم.

يسود الصمت الغرفة. للحظة، أعتقد أن الجميع يتوقف بالفعل عن التنفس.

يقول إيان وهو يضع رأسه بين يديه: *اللعنة!*

تقول نظيرة بحماس: الانتقال الفوري هو أفضل خيار بالنسبة لكم، لكنني لا أعرف ما إذا كان بإمكاني تقديم الكثير من المساعدة في هذه النقطة. إلى أين تذهبون سيكون ذلك وفقًا لتقديركم.

أقول بعصبية: إذن ما الذي تفعلينه هنا؟

أفهمها قليلًا الآن – أعلم أنها كانت تحاول المساعدة – لكن هذا لا يغير حقيقة أنني ما زلت أشعر بالسوء. أو أنني ما زلتُ لا أعرف كيف أشعر تجاهها: هل ظهرتِ فقط لإخبارنا أننا جميعًا سنموت وهذا كل شيء؟ (أهز رأسي) هذا مفيد للغاية، شكرًا لك!

يقول كاسل أخيرًا وهو يكسر صمته: كينجي. ليست هناك حاجة لمهاجمة ضيفتنا.

صوته هادئ ومطمئن. لقد افتقدته.

-لقد حاولَتْ حقًّا التحدث معي.. لتحذيري. أما بالنسبة لخطة الطوارئ.. (يقول متحدثًا إلى الحضور جميعهم) امنحوني القليل من الوقت. لدي أصدقاء. نحن لسنا وحدنا في مقاومتنا كما تعلمون جيدًا، لا داعي للذعر، ليس بعد.

يقول إيان غير مصدق: ليس بعد؟

يقول كاسل: ليس بعد. (ثم يقول لنظيرة): نظيرة، ماذا عن أخيك؟ هل تمكنت من إقناعه؟

تأخذ نظيرة نفَسًا عميقًا، وتُرخي كتفيها قليلًا، وتشرح لبقيتنا: حيدر يعرف. لقد كان يتذكر أشياء عن إيلا أيضًا، لكن ذكرياته عنها ليست قوية مثل ذكرياتي، ولم يفهم ما يحدث له حتى الليلة الماضية عندما قررتُ أن أخبره بما اكتشفته.

يقول إيان وهو ينتظر: وامم.. مهلًا.. هل تثقين به؟

تقول: أثق به بما فيه الكفاية. إلى جانب ذلك؛ أظن أنَّ من حقه أن يعرف؛ لقد عرف هو الآخر إيلا وإيميلين. لكنه لم يكن مقتنعًا تمامًا. لا أعرف ما الذي سيُقرر فعله، ليس بعد، لكنه بدا مهتزًّا تمامًا بشأن ذلك، وهو ما أعتقد أنه علامة جيدة. طلبت منه أن يفتش قليلًا لمعرفة ما إذا كان أي من الأطفال الآخرين قد بدءوا في تذكر الأحداث أيضًا، فقال إنه سيفعل ذلك. هذا كل ما لديّ حتى الآن.

يسأل وينستون عاقدًا حاجبَيه: أين الأطفال الآخرون؟ هل يعلمون أنك ما زلت هنا؟

تصبح ملامح نظيرة حزينة: كان من المفترض أن يعود جميع الأطفال بمجرد انتهاء الندوة. لا بد أن حيدر الآن في طريقه إلى آسيا، حاولت إقناع والدي أنني سأبقى لأقوم بمزيدٍ من الاستطلاع، لكني لا أظنهما صدَّقاني. أنا متأكدة أنهم سيُخابرانني قريبًا، سأرى عندئذٍ ما يجب فعله.

أُحرك نظراتي منها إلى كاسل: إذن.. مهلًا.. هل ستبقَين معنا؟

-لم تكن هذه هي خطتي حقًّا.

أقول: أوه.. جيد. هذا جيد.

ترفع حاجبًا نحوي.

-أنت تعرفين ماذا أقصد...

تقول وهي تبدو فجأة منزعجة: لا أظن ذلك، على أي حال، على الرغم من أن البقاء لم يكن خُطتي، أظن أنه يتعين عليّ ذلك.

تتسع عيناي: ماذا؟ لماذا؟

تقول: لأن والديَّ يكذبان عليَّ منذ أن كنت طفلة، يسرقان ذكرياتي ويُعيدان كتابة تاريخي، وأريد أن أعرف السبب. إلى جانب ذلك.. (تأخذ نفسًا عميقًا) أظن أنني أعرف مكان وجود إيلا ووارنر، وأريد المساعدة.

6

وارنر

-اللعنة.

أسمع غضب والدي المكتوم قبل أن يصطدم شيء ما بشيء آخر بشدة. يشتم مرة أخرى.

أتردد خارج باب مكتبه.

ثم بعدم الصبر...

-ماذا تريد؟

صوته كالعواء تقريبًا. أحارب غريزة الخوف داخلي، وأجعل من وجهي قناعًا، مُحَيِّدًا مشاعري. ثم ـ وبعناية شديدة ـ أدخل مكتبه.

يجلس والدي أمام مكتبه، لكنني أرى فقط ظهر كرسيه وكأس الويسكي غير المكتملة التي يمسك بها بيده اليسرى. أوراقه في حالة من الفوضى. ألاحظ ثقالة الورق على الأرض، والضرر الذي لحق بالحائط.

هناك خطبٌ ما.

أقول: أردت أن تراني.

يلتفت والدي بكرسيه ليواجهني: ماذا؟.. أراك لماذا؟

لا أقول شيئًا. لقد تعلمت الآن ألا أذكّره أبدًا عندما ينسى شيئًا.

يتنهد أخيرًا ويقول: صحيح.. نعم.. سيتعيَّن علينا مناقشة ذلك لاحقًا.

أكافح لإخفاء مشاعري هذه المرة: لاحقًا؟ قلت إنك ستجيبني اليوم...

-لقد طرأ شيء ما.

يغلي الغضب في صدري. أنسى نفسي: شيء أهم من زوجتك المحتضرة؟

لم يبتلع والدي الطعم. بدلًا من ذلك يلتقط كومة من الأوراق على مكتبه ويقول: اذهب.

لا أتحرك.

أقول: أحتاج إلى معرفة ما سيحدث، لا أريد الذهاب معك إلى العاصمة.. أريد البقاء هنا، مع أمي...

يقول ضاربًا زجاج مكتبه: يا يسوع! هل تسمع نفسك؟ (ينظر إليّ باشمئزاز) هذا السلوك غير صحي. إنه مزعج. لم أرَ قط صبيًّا يبلغ من العمر ستة عشر عامًا مهووسًا بأمِّه بهذا الشكل.

ترتفع الحرارة إلى رقبتي، وأكره نفسي لذلك. أكرهه لأنه يجلعني أكره نفسي عندما أقول بهدوء: أنا لست مهووسًا بها.

يهز أندرسون رأسه: أنت مثير للشفقة.

أتلقى إهانته وأبتلعها، مع بعض الجهد أتمكن من أن أبدو غير مبالٍ عندما أقول: أريد فقط معرفة ما سيحدث.

يقف أندرسون، ويدفع يديه في جيبيه. ينظر من النافذة الضخمة في مكتبه إلى المدينة التي تقع خلفها مباشرة.

المشهد كئيب.

تحولت الطرق السريعة إلى متاحف مفتوحة في الهواء الطلق لهياكل السيارات المهجورة. تشكل جبال القمامة سلاسل بطول المنطقة. تتناثر الطيور النافقة في الشوارع، ولا تزال الجثث تسقط أحيانًا من السماء. تشتعل الحرائق الجامحة في الأفق، والرياح القوية تُغذي لهيبها. استقرت طبقة كثيفة من الضباب الدخاني بشكلٍ دائم فوق المدينة، والغيوم المتبقِّية رمادية، مليئة بالمطر. لقد بدأنا بالفعل عملية تنظيم ما يُعتبر أرضًا صالحة أو غير صالحة للعيش، وأُغلِقت ـ منذ ذلك الحين ـ أقسام كاملة من المدينة. على سبيل المثال؛ أُخليت المناطق الساحلية، إذ غرقت الشوارع والمنازل وانهارت الأسقف ببطء.

مقارنةٍ بالخارج؛ فإن مكتب والدي هو جنة حقيقية. لا يزال كل شيء جديدًا هنا؛ لا يزال الخشب رائحته كالخشب، الأسطح لامعة. منذ أربعة أشهر نجحت إعادة التأسيس في تصويت توليها السلطة، وأبي حاليًا هو القائد والحاكم لأحد قطاعاتنا الجديدة.

قطاع 45.

هبةُ رياح مفاجئة تضرب النافذة، وأشعر بأصدائها تتردَّد عبر الغرفة. تومض الأنوار. لا يجفل.

قد ينهار العالم، لكن إعادة التأسيس تُحقق نجاحًا أفضل من أي وقت مضى. نُفذت خططهم بشكل أسرع مما كانوا يتوقعون. وعلى الرغم من أن والدي جارٍ ترقيتُه في الوقت الحالي ـ إلى القائد الأعلى لأمريكا الشمالية ـ إلا أنه لا يبدو أن أيَّ قدرٍ من النجاح قادر على تهدئته، لقد أصبح أكثر تقلبًا في الآونة الأخيرة.

يقول أخيرًا: ليس لديَّ أي فكرة عمَّا سيحدث. لا أعرف حتى ما إذا كانوا سيفكرون في ترقيتي بعد الآن.

لا أستطع إخفاء مفاجأتي: لمَ لا؟

يبتسم أندرسون بتعاسةٍ وهو ينظر إلى النافذة: لقد انحرفت مهمة مجالسة الأطفال عن مسارها.

-لا أفهم.

-لا أتوقع منك ذلك.

-إذن.. نحن لن ننتقل؟ لن نذهب إلى العاصمة؟

يستدير أندرسون عائدًا: لا تبدو متحمسًا جدًّا. قلت لا أعرف حتى الآن. أولًا عليّ اكتشاف كيفية التعامل مع المشكلة.

أقول بهدوء: ما المشكلة؟

يضحك أندرسون. تتجعَّد عيناه ويبدو للحظةٍ إنسانًا: يكفي أن أقول إن حبيبتك تُفسد يومي اللعين. كالعادة.

أعبس: أي حبيبة؟ أبي، لينا ليست حبيبتي. لا يُهمني ماذا تقول لأبي...

يقول أندرسون: حبيبتك الأخرى.

يُتمتم متجنبًا نظراتي، ينزع مجلدًا من فوق مكتبه، ويفتحه متفحصًا محتوياته.

ليس لديَّ فرصة لطرح سؤال آخر.

طرقات حادة مفاجئة على الباب، يدخل ديلالو بناء على إشارة من أبي. يبدو مندهشًا كثيرًا لرؤيتي، لا يقول شيئًا للحظة.

يبدو والدي نافد الصبر: حسنًا! أهي هنا؟

-نـ... نعم سيدي. (يبتلع ديلالو ريقه، تنتقل عيناه إليَّ مرة أخرى) أتُحِبُّ أن آتي بها؟ أم تفضل أن تلتقِيها في مكان آخر؟

-ائتِ بها.

يتردد ديلالو: هل أنت متأكد تمامًا يا سيدي؟

أنقل نظري من والدي إلى ديلالو. هناك خطبٌ ما.

يلاقي والدي نظراتي وهو يقول: قلت ائتِ بها.

يُومئ ديلالو ويختفي.

رأسي كالحجارة، ثقيلة ولا فائدة لها، عيناي مُثبتتان داخل جمجمتي.. أحافظ على وعيي لثوانٍ فقط في كل مرة. أشم رائحة المعدن، أتذوق طعم المعدن، ضوضاء بعيدة صاخبة تزداد قوة. ثم تهدأ ثم تزداد قوة مرة أخرى.

صوت حذاء ثقيل بالقرب من رأسي.

أصوات.. لكنها أصوات مكتومة، على بُعد سنوات ضوئية. لا أستطيع الحركة. أشعر وكأنني دُفنت، وتُركت لأتعفن. يومض ضوء برتقالي خافت خلف عينيَّ، ولثانية فقط.. فقط لثانية..

لا.

لا شيء.

يبدو أن الأيام.. القرون.. تمر، أنا على دراية بأنني قد خُدرت بشدة، خُدرت باستمرار. أشعر بالعطش، بالجفاف لدرجة الألم، أتوق إلى الماء.. قد أقتل للحصول عليه.

عندما يحركونني أشعر بالثقل؛ وكأنني غريب عن نفسي. أهبط بقوة فوق أرضية باردة، والألم يتردد في جسدي كما لو كان من بعيد. أعلم أنه - في وقت قريب جدًّا - سيُمسك هذا الألم بي، سيختفي المُخدر وسأكون وحدي مع عظامي، وهذا الغبار في فمي.

ركلة قوية وسريعة في معدتي فتتفتح عيناي على مصرعيهما، والظلام يلتهم فمي المفتوح الهائج، ويتسرب إلى تجاويف عيني. أشعر بالعمى والاختناق في آنٍ واحد، وعندما تهدأ الصدمة أخيرًا، تستسلم أطرافي.

بلا حراك.

تموت الشرارة.

7

كينجي

-هل تريد إخباري ماذا يجري بحق الجحيم؟

أتوقف، متجمدًا في مكاني عند سماع صوت نظيرة. كنت في طريقي إلى غرفتي لأغفو لمدة دقيقة. لمحاولة فعل شيءٍ حيال الصداع العظيم الذي يدق في جمجمتي.

لقد أخذنا استراحة.. أخيرًا.

استراحة قصيرة بعد ساعات من المحادثات المرهقة والمجهدة حول الخطوات التالية والمخططات، وشيء ما حول سرقة طائرة. هذا كثير. حتى نظيرة - بكل ما تملكه من معلومات استخباراتية- لم تستطع أن تعطيني أي ضمان حقيقي بأن جولييت -عفوًا.. إيلا - ووارنر لا يزالان على قيد الحياة، ومجرد احتمال أن يُعذبها شخصٌ ما حتى الموت، هو أكثر مما يستطيع عقلي تحمّله الآن. لقد كان اليوم كعاصفة من الخراء. إعصار من الخراء. لا أستطيع تحمل الأمر بعد الآن. لا أعرف ما إذا كنت سأجلس وأبكي أم أُشعل شيئًا ما.

قال كاسل إنه سيشق طريقه إلى المطابخ ليرى ما إذا كان يستطيع إحضار بعض الطعام لنا، وكانت تلك أفضل الأخبار التي سمعتها طوال اليوم. كما قال إنه سيبذل قصارى جهده لاسترضاء الجنود لفترة أطول قليلًا - فقط لفترة كافية لنكتشف بالضبط ما سنفعله بعد ذلك- لكنني لست متأكدًا مما يمكنه فعله. لقد كان الأمر سيئًا بما فيه الكفاية عندما أصيبت جيه. كانت الساعات التي قضتها في الجناح الطبي مرهقة لبقيتنا أيضًا. لقد ظننتُ حقًّا أن الجنود سيثورون في ذلك الوقت.

استمروا في إيقافي في الممرات، وهم يصرخون حول كيف ظنوا أنها لا *تُقهر*، وأن هذه ليست الخطة، وأنهم لم يُقرروا المخاطرة بحياتهم من أجل فتاة مراهقة *عادية* لا تستطيع تحمل رصاصة ولعنة الله عليها. كان من المفترض أن تكون خارقة للطبيعة، شيئًا يفوق البشر...

لقد استغرق الأمر مني وقتًا طويلًا لتهدئتهم.

لكن الآن؟

لا يسعني إلا أن أتخيل رد فعلهم عندما يسمعون بما حدث في الندوة. على الأرجح سيحدث تمرد.

أتنهّد بعمق.

-أنت تتجاهلني إذن؟

تقف نظيرة على بُعد بضع سنتيمترات مني. أشعر بتوترها حولي. تنتظر. ما زلت لا أقول شيئًا. لم أستدر حتى الآن. ليس الأمر أنني لا أريد التحدث.. أظن أنني قد أرغب في التحدث نوعًا ما، ربما في يومٍ آخر. لكن في الوقت الحالي، لقد استنفدت طاقتي. لقد نفدت نكات جيمس. لقد نفدت الابتسامات المصطنعة.

الآن أنا أشعر بألم وإرهاق وبعاطفة جامحة، وليس لدي القدرة على إجراء محادثة جدية أخرى. أنا حقّا لا أريد فعل ذلك الآن.

أكاد أهرب. أنا هنا.. أمام باب غرفتي مباشرة. يدي على المقبض.

يخطر ببالي *أنه بإمكاني ببساطة الابتعاد.*

يمكن أن أكون ذلك النوع من الرجال، كوارنر. كرجلٍ وغد. ابتعد فقط دون كلمة. «متعب جدًّا.. لا شكرًا، لا أريد التحدث. اتركيني وشأني».

بدلاً من ذلك، أنحنِي إلى الأمام مريحًا يدي وجبهتي على باب غرفة النوم المغلق: نظيرة، أنا متعب.

-لا أصدق، إنك مُستاء مني.

أغمضتُ عينيَّ. يلمس أنفي الخشب: أنا لست مستاءً منك. أنا نصف نائم.

-كنتَ غاضبًا. كنت غاضبًا مني لامتلاكي القدرة نفسها التي تملكها. ألم تكن كذلك؟

أتأوَّه.

تقول نظيرة بغضب: ألم تكن كذلك؟

لا أردُّ عليها.

تقول بذهول: ***لا يصدق!*** هذا هو أكثر التصرفات سخافة وإثارة للشفقة ***وعدم نضج***...

-نعم، حسنًا.

تقول وهي غاضبة: هل تعرف كم كان صعبًا عليَّ إخبارك بذلك؟ هل لديك أي فكرة... (تتنفس بغضب) هل ستنظر إليَّ على الأقل وأنا أتحدث إليك؟

أقول: لا أستطيع.

تقول بذهول: ماذا؟ ماذا تقصد بلا تستطيع؟

أقول: لا أستطيع النظر إليكِ.

تتردَّد.

تقول: لِمَ لا؟

أقول: لأنكِ جميلة جدًّا.

تضحك بغضبٍ كما لو كانت على وشك لكمي بوجهي.

تقول: كينجي، أنا أحاول أن أكون جدية معك. هذا مُهم بالنسبة لي. هذه هي المرة الأولى في حياتي التي أُظهر فيها لأشخاصٍ آخرين ما يُمكنني فعله. إنها المرة الأولى التي أتفاعل فيها مع أشخاصٍ آخرين مثلي، وبصرف النظر عن ذلك ظننت أننا قررنا أن نكون أصدقاء. ربما لا يكون هذا مُهمًّا بالنسبة لك، لكنه مهم بالنسبة لي، لأنني لا أكوِّن صداقات بسهولة. والآن أنت تجعلني أشكّ في حكمي الخاص.

أتنهَّد بقوة حتى أشعر بالألم.

أدفع الباب وأحدق إلى الحائط، أقول وأنا أبتلع ريقي بصعوبة: اسمعي، أنا آسف لأنني جرحتُ مشاعرك. أنا فقط... كانت هناك لحظة قبل أن تبدئي حقًّا بالكلام عندما ظننت أنكِ فقط تكذبين. لم أفهم ما يحدث. ظننتُ أنكِ ربما نصبت لنا فخًّا. بدت الكثير من الأشياء جنونيةً لدرجة لا يمكن أن تكون مُصادفة. لكننا نتحدّث منذ ساعات، ولا أشعر بأنني قادر على ذلك بعد الآن. لم أعد غاضبًا. أنا آسف. هل يُمكنني المغادرة الآن؟

تقول: بالطبع.. أنا فقط...

تتوقف عن الكلام كما لو كانت مرتبكة، ثم تلمس ذراعي. لا.. إنها لا تلمس ذراعي فقط. انها تُمسك بذراعي. تضع يدَها حول ساعدي العاري وتشدّ فوقه برفق.

لمستها ساخنة ومباشرة، بشرتُها ناعمة. يشعر دماغي بالخمول.. بالدوار.

أقول: توقّفي.

تترك يدي.

تقول: لماذا لا تنظر إليّ؟

أقول: لقد أخبرتكِ بالفعل لماذا لن أنظر إليكِ، وقد سخرتِ من الأمر.

تصمت لفترةٍ طويلة حتى تساءلت عما إذا كانت قد ابتعدت. تقول أخيرًا: ظننتك تمزح.

-حسنًا، لم أكن أمزح.

يستمرُّ الصمت.

ثم تقول: هل تقول دائمًا بالضبط ما تُفكر فيه؟

-معظم الوقت، نعم.

برفق، أضرب رأسي بالباب. لا أفهم لماذا لا تتركني هذه الفتاة أتخبّط في حزني بسلام.

تقول: بماذا تفكر الآن؟

يا يسوع المسيح!

أرفع رأسي مُحدقًا إلى السقف، متمنيًا حدوث ثقبٍ دودي أو برق أو حتى اختطاف فضائي.. أي شيء يُخرجني من هنا، من هذه اللحظة، من هذه المحادثة المستمرة والمرهقة.

بغياب المُعجزات، يزداد إحباطي.

أقول بغضب: أظن أنني أريد النوم. أظن أنني أريد أن أُترَك وشأني. أظن أنني أخبرتك بهذا الأمر ألف مرة، ولم تتركي شأني رغم اعتذاري عن إيذاء مشاعرك. إذن.. أظن أنَّ ما أفكر فيه حقًّا هو أنني ***لا أفهم*** ماذا تفعلين هنا. لماذا تهتمِّين كثيرًا بما أُفكر فيه؟

تقول بدهشة: ماذا؟ أنا لا أ...

أستدير في النهاية. أشعر بأنني فقدتُ توازني قليلًا، وكأن دماغي غارق. هناك الكثير من الأحداث، والكثير من المشاعر.. الحزن، الخوف، الإرهاق.

الرغبة.

تتراجع نظيرة عدة خطوات للوراء عندما ترى وجهي. إنها مثالية. مثالية في كل شيء. ساقان طويلتان وجسدٌ ممتلئ، وجهها غاية في الجمال. لا ينبغي أن تبدو الوجوه على هذا النحو. عينان بلون العسل لامعتَين وبشرة مثل الغسق. شعرها بني داكن لدرجة أنه يقترب من الأسود. كثيف، ثقيل، مُستقيم. تُذكرني بشيء، بشعورٍ لا أعرف حتى كيف أصفه. وكأن هناك شيئًا فيها يجعلني غبيًّا.. سكرانَ، وكأنني أستطيع فقط التحديق إليها وأكون سعيدًا، أطفو إلى الأبد في هذا الشعور.

ثم أُدرك فجأة أنني أُحدق إلى فمها مرةً أخرى.

لا أرغب بذلك، لكنه فقط يحدُث.

إنها تلمس فمها دائمًا، تنقر ذلك القرط الماسي اللعين تحت شفتِها، وأنا فقط كالغبي.. تتبع عيناي كل تحرُّكاتها. تقف أمامي بذراعَين معقودتَين، وتمسح بإبهامها حافة شفتها السفلية بشرود، ولا أستطيع التوقُّف عن التحديق. ترتبك فجأة، عندما تدرك أنني أنظر. تنزل يدَيها إلى جانبَيها وترفُّ بجفنيها. ليس لدي أي فكرة عما تُفكر فيه.

أقول: لقد سألتكِ سؤالًا.

لكن هذه المرة يخرج صوتي خشنًا قليلًا، وأقوى قليلًا. كنت أعلم أنني وجب عليّ إبقاء عينيَّ على الحائط.

ما تزال تُحدق إليّ.

أقول: حسنًا. انسَي ذلك. تستمرّين في توسلكِ للتحدث، لكن في اللحظة التي أسألك فيها، لا تقولين شيئًا. هذا رائع حقًّا.

أستدير مرةً أخرى، وأُمسك مقبض الباب.

أقول بينما كنت لا أزال أواجه الباب: أتعلمين.. أُدرك أنني أتصرف بلطف حيال ذلك الأمر، وربما لن أكون ذلك النوع من الرجال أبدًا، لكن لا أظن أنه يجب عليك مُعاملتي بهذه الطريقة، كما لو كنتُ أحمقَ تافهًا لمجرد أنني لا أعرف كيف أكون وغدًا.

-ماذا؟ كينجي، أنا لا أ...

أقول مبتعدًا عنها بعنف: *توقفي*.

تستمر في لمس ذراعي، تلمسني وكأنها لا تعرف حتى أنها تفعل ذلك. هذا يقودني إلى الجنون حرفيًّا.

-لا تفعلي ذلك.

-لا أفعل ماذا؟

أستدير بغضبٍ أخيرًا، أتنفّس بصعوبة، صدري يرتفع ويهبط بسرعة كبيرة. أقول توقّفي عن العبث بي. أنت لا تعرفينني. لا تعرفين شيئًا عني. تقولين إنك تريدين أن تكوني صديقتي؛ لكنك تتحدثين إليّ وكأنني أحمق. تلمسينني باستمرار وكأنني طفل، وكأنك تحاولين مواساتي، وكأنك لا تدركين أنني رجل ناضج قد يشعر بشيءٍ ما عندما تضعين يدَيك عليَّ بهذا الشكل.

تحاول التحدُّث لكني أُقاطع حديثها: لا يُهمني ما تظنين أنك تعرفين عني، أو مدى غبائي الذي تعتقدينه، لكنني الآن مُنهك، حسنًا؟ لقد سئمتُ هذا. لذا، إذا كنت تريدين كينجي اللطيف، ربما يجِب عليكِ العودة في الصباح، لأنه في الوقت الحالي لا أملك أي قدرة على المجاملة.

تبدو نظيرة وكأنها مجمّدة، مذهولة، تُحدق إليّ.. شفتاها مفترقتان قليلًا.. وأفكر في أن تلك هي الطريقة التي سأموت بها الآن، ستُخرج سكينًا وتشقُّني، وتُعيد ترتيب أعضائي، وتقدم عرض دُمى باستخدام أمعائي. يا لها من طريقةٍ للموت.

لكن عندما تتحدث أخيرًا، لا يبدو صوتها غاضبًا. يبدو أنها تتنفّس بصعوبة قليلًا.

بعصبية.

تقول: لا أظن أنك طفل.

ليس لدي أي فكرة عما أقول ردًّا على ذلك.

تخطو خطوة إلى الأمام، وتضغط يدَيها بشكلٍ مسطح فوق صدري، وأتحول إلى تمثال. يداها تحرقان جسدي، تشتعل الحرارة بيننا، تخترق قميصي.

أشعر وكأنني أحلم.

تُمشط صدري بيدَيها، تلك الحركة البسيطة تُشعرني... تغمُرني هذه الحركة البسيطة بشعور رائع لدرجة أنني أُصاب بالرعب فجأة. أشعر وكأنني أنجذب إليها، أتجمّد في مكاني خائف من الاستيقاظ.

أهمس: ماذا تفعلين؟

لا تزال تُحدق إلى صدري عندما تقول مرة أخرى: لا أظن أنك طفل.

-نظيرة.

ترفع رأسها لتلتقي بعينيّ، تنطلق قشعريرة حارة ومؤلِمة أسفل عمودي الفقري.

تقول: ولا أظن أنك غبي.

هذا خطأ.

أنا بالتأكيد غبي.

غبيٌّ جدًّا. لا أستطيع حتى التفكير بشكلٍ صحيح الآن.

أقول بغباء: حسنًا.

لا أعرف ماذا أفعل بيدي. أعني.. أعلم ماذا أفعل بيدي.. أنا فقط قلق من أنه إذا لمستُها فهي – على الأرجح – ستضحك ثم تقتلني.

تبتسم، ابتسامةً عريضة لدرجة أشعر أن قلبي ينفجر، تثور الفوضى داخل صدري. تقول وهي لا تزال تبتسِم: إذن لن تتحرك؟ ظننتُ أنني أُعجبك. ظننتُ أن هذا هو كل شيء.

أقول وأنا أرفُّ بجفني: *تُعجبينني*؟ أنا لا أعرفك حتى!

تقول: أوه.

تخفت ابتسامتها. تبتعِد ولا تستطيع أن تلتقي بعيني، ثم، لا أعرف ما الذي حدث لي...

أجذب يدَها وأفتح باب غرفة نومي، وأُغلقها علينا في الداخل.

تُقبلني أولًا.

أشعر وكأن روحي خرجت من جسدي للحظة، كما لو كنت لا أصدق أن هذا يحدث لي بالفعل. لا أستطيع أن أفهم ماذا فعلت لأجعل هذا مُمكنًا – لأنه وفقًا لحساباتي – لقد أفسدت هذا الأمر على مائة مستوًى مُختلف، وفي الواقع، كنت متأكدًا تمامًا من أنها كانت غاضبة مني حتى قبل خمس دقائق.

ثم أُخبر نفسي أن أصمت.

قُبلَتُها ناعمة، ويداها مترددة فوق صدري، لكنني ألفّ ذراعي حول خصرها وأقبلها، أقبّلها حقًّا. ثم بطريقةٍ ما نلتصق بالحائط ويداها حول رقبتي، تُباعد بين شفتَيها، وتتأوَّه في فمي، وهذه الأَنَّة الصغيرة تجعلني مجنونًا. تغمر جسدي الحرارة والرغبة الشديدة لدرجة أنني بالكاد أستطيع الوقوف.

نفترق، نتنفّس بصعوبة، وأحدق إليها كالأحمق، ولا يزال دماغي مُخدرًا جدًّا ليعرف بالضبط كيف وصلت إلى هنا. ثم مرة أخرى.. من يهتمُّ كيف وصلت إلى هنا!

أُقبلها مرة أخرى وأشعر أنني أكاد أموت، إنها رائعة جدًّا، ناعمة جدًّا.. مثالية.. إنها مثالية، تُلائم ذراعي تمامًا، كما لو أننا صُنعنا لهذا، كما لو أننا فعلنا ذلك ألف مرة من قبل، ورائحتها مثل الشامبو، مثل شيءٍ حلو. عطر ربما.. لا أعرف. مهما كان الأمر، فهو في رأسي الآن. يُدمر خلاياي العصبية.

عندما نفترق، تبدو مختلفة، عيناها أغْمق وأعْمق. تستدير، وعندما تلتفت لي مرة أُخرى تبتسم. ولثانيةٍ أفكر أنه ربما كِلانا يفكر في الشيء نفسه. لكنني مُخطئ.. بالطبع، مُخطئ جدًّا، لأنني كنتُ أفكر في كيف أنني – على سبيل المثال – أسعد رجلٍ على وجه الأرض *بينما هي*...

تضع يدَها على صدري وتقول بهدوء: أنت لستَ نوعي المفضل حقًّا.

أشعر بالانطفاء، أُسقط ذراعي من حول خصرها وأتخذ خطوةً سريعة ومتردِّدة إلى الوراء.

تتأوَّه، وتُغطي وجهها بكلتا يدَيها: أنا لا.. واو.. لا أقصد أنك لستَ نوعي المفضل. (تهز رأسها بقوة) أقصد فقط أنني لا.. لا أفعل ذلك عادة.

أسأل متألِّمًا: تفعلين ماذا؟

تقول: هذا.. (مشيرة إلى المسافة بيننا) أنا لا.. أنا أتجول مُقبِّلةً الرجال الذين بالكاد أعرفهم.

أقول عابسًا: حسنًا، هل ترغبين في المغادرة؟

تتسع عيناها: لا!

-إذن ماذا تريدين؟

تقول ونظراتها تلين مرةً أخرى: لا أعرف، أريد فقط أن أنظر إليك لمدة دقيقة. لقد قصدت ما قلتُه عن وجهك. (تبتسم) لديك وجه رائع.

أشعر فجأة بالضعف في رُكبتي. حرفيًّا يجب أن أجلس. أتوجَّه إلى سريري وأنهار فوقه، يضرب رأسي الوسادة. أشعر أن الاستلقاء الأُفقي أفضل بكثير. إذا لم تكن هناك امرأة رائعة في غرفتي الآن لكنتُ نائمًا بالفعل.

أقول ناظرًا إلى السقف: فقط لكي تعلمي، هذه ليست حركة إغواء، أنا لا أحاول أن أجعلك تُمارسين الحب معي. أنا فقط اضطُررت إلى الاستلقاء. شكرًا لتقديرك وجهي، لطالما ظننتُ أن لدي وجهًا لا يُقدر حق قدرِه.

تضحك بصوتٍ عالٍ وتجلس مُأرجحةً جسدها بجواري على حافة السرير، بالقُرب من ذراعي.

تقول: أنت لستَ حقًّا ما كنتُ أتوقَّعه.

أُحدق إليها: ماذا كنت تتوقَّعين؟

تهز رأسها وتبتسم لي: لا أعرف. لم أتوقَّع أن تُعجبني كثيرًا.

تنحبس أنفاسي، ويضيق صدري. أُجبر نفسي على الجلوس لمواجهة عينَيها.

أقول: تعالي إلى هنا. أنت بعيدة جدًّا.

تخلع حذاءها وتقترب أكثر، وتطوي ساقَيها تحتها. لا تتفوَّه بكلمة واحدة. فقط تُحدق إلي. ثم.. بعناية.. تلمس وجهي. خط الفك. أُغلق عينيَّ، وعقلي مليء بالفوضى، أتراجَع مريحًا رأسي على الحائط خلفنا.

أعلم أن شعوري بالصدمة لا يتفق مع ما أقوله عن ثقتي بنفسي، لكن لا يُمكنني الشعور بغير ذلك.

لم أظن أبدًا أنني سأكون محظوظًا هكذا.

تقول بهدوء: كينجي.

أفتح عيني.

-لا أستطيع أن أكون حبيبتك.

أرفُّ بجفوني، أعتدِل في جلستي وأقول: أوه!

لم يخطر ببالي حتى هذه اللحظة بالضبط أنني قد أريد شيئًا كهذا، لكن الآن وقد فكرتُ في الأمر أعلم أنني أُريده. حبيبة هي بالضبط ما أريد.. أريد علاقة.. أريد شيئًا حقيقيًّا.

تقول: لن ينجح الأمر أبدًا، أليس كذلك؟

تُميل رأسها، وتنظر إليّ كما لو كان الأمر واضحًا، كما لو كنتُ أعرف تمامًا مثلها لماذا لن تنجح الأمور بيننا. تُشير إلى المسافة بين جسدَينا قاصدةً شيئًا لا أفهمه.

-نحن مُختلفان جدًّا، أليس كذلك؟ بالإضافة إلى ذلك أنا حتى لا أعيش هنا!

أشعر بالخدَر فجأة في فمي ووجهي كله، أقول: صحيح. أنت حتى لا تعيشين هنا.

وبينما أحاول معرفة كيفية الْتقاط قِطَع آمالي وأحلامي التي تدمّرت، تصعد إلى حجري. تتغير فجأة؛ فيتعطل جسدي، يسخن بدرجة مُفرطة.

تلصق وجهها بخدي وتُقبلني برفق، أسفل فكي مباشرة، وأشعر أنني أغوص في الجدار، في الهواء.

لم أعد أفهم ما يحدث. أُعجبها لكنها لا تريد أن تكون معي. لن تكون معي لكنها ستجلس على حجري وتُقبلني حتى أنسى نفسي. بالتأكيد.. حسنًا.

أتركها تلمسني بالطريقة التي تُريدها، تضع يدَيها على جسدي وتُقبلني أينما وكيفما تريد. تلمسني بطريقةٍ متملِّكة، كما لو كنتُ ملكًا لها بالفعل، ولا أمانع. نوعًا ما أُحب ذلك. وأتركها تقود الموقف لأطول فترة يُمكنني تحمُّلها. ترفع قميصي، وتُمرر يدَيها على بشرتي العارية وتُخبرني كم تُحب جسدي، وأشعر حقًّا وكأنني.. لا أستطيع التنفس. أشعر بالحرِّ الشديد. مُخدَّر لكني واعٍ، مُدرك لهذه اللحظة بطريقةٍ غريزية تقريبًا.

تُساعدني في خلع قميصي ثم تنظر إليَّ فقط، أولًا إلى وجهي ثم إلى صدري، وتُمرر يدَيها على كتفي، إلى أسفل ذراعي. تقول بهدوء: واو.. أنت رائع جدًّا.

ويكفيني هذا.

أرفعها عن حجري وأُمددها فوق ظهرها، تلهث، وتُحدق إليَّ وكأنها متفاجئة. ثم تُصبح عيناها عميقتَين وقاتمتَين، وتنظر إلى فمي لكنني أُقرر تقبيل عُنقها، ومُنحنى كتفها.

أهمس وأكاد لا أتعرف إلى صوتي: نظيرة، أريدك بشدة لدرجة تقتلني.

فجأة، يطرق أحدُهم على بابي.

يصرخ إيان: يا أخي، إلى أين ذهبت بحق الجحيم؟ لقد أحضر كاسل العشاء منذ حوالي عشر دقائق.

أجلس بسرعةٍ كبيرة. أكاد أشعر بشدٍّ عضلي. تضحك نظيرة بصوتٍ عالٍ، وبالرغم من أنها تضع يدَها على فمها لكتم الصوت؛ إلا أنها ليست سريعة بما فيه الكفاية.

يقول إيان مرة أخرى: أمم. مرحبًا؟.. كينجي؟

أصيح: سآتي حالًا.

أسمعه يتردد، خطواته غير واثقة.. ثم يذهب. أسقط رأسي بين يدي. فجأة، كل شيء يعود إليَّ بسرعة. لبضع دقائق بدت لي أن هذه اللحظة مع نظيرة هي العالم كله، إجراء ترحيبي، من كل الحرب والموت والصراع. لكن الآن.. مع القليل من الأكسجين في دماغي؛ أشعر بالغباء. لا أعرف بماذا كنت أفكر!

جولييت قد تكون *ميتة*.

أقف على قدمي. ارتديت قميصي بسرعة، حريصًا على عدم مقابلة عينيها. لسببٍ ما لا أستطيع أن أجبر نفسي على النظر إلى نظيرة. ليس لدي أي ندم على تقبيلها.. فقط أشعر بالذنب فجأةً، كما لو كنتُ أفعل شيئًا خاطئًا. شيئًا أنانيًّا وغير مناسب.

أقول: آسف، لا أعرف ماذا جرى لي.

تنتعِل نظيرة حذاءها. ترفع عينَيها مندهشة: ماذا تقصد؟

أقول: ما فعلناه للتو. (أتنهَّد بقوة) لا أعرف. لقد نسيت لحظة كل ما يتعيَّن علينا القيام به. حقيقة أن جولييت قد تكون هناك في مكانٍ ما، تتعذب حتى الموت. وارنر قد يكون ميتًا. سيتعين علينا حزم أمتعتنا والهرب، وترك هذا المكان وراءنا. يا إلهي.. هناك الكثير يحدث الآن.. لم أكن أُفكر بشكل جيد.. آسف.

نظيرة واقفة الآن. تبدو منزعجة: لماذا تعتذِر لي باستمرار؟ توقف عن الاعتذار لي.

-أنت على حق. آسف. (أجفل) أعني.. أنت تعرفين ما أقصده.. على أي حال يجب أن نذهب.

-كينجي...

-اسمعي، ألم تقولي إنك لا تريدين علاقة.. أليس كذلك؟ لم تريدي أن تكوني حبيبتي؟ لا تظنين أن هذا.. (أقوم بتقليد ما فعلته في وقت سابق مشيرًا بيننا) لا يمكن أن ينجح أبدًا؟ حسنًا إذن.. (آخُذ نفسًا ممرِّرًا يدي في شعري) هذه هي الحال التي لا تكونين فيها حبيبتي، حسنًا؟ لا يُوجَد سوى عددٍ قليل من الأشخاص في حياتي يهتمّون بي حقًّا، والآن ربما يُقتل أحد أفضل أصدقائي من قِبل مجموعة من المرضى النفسيين ويجب أن أكون هناك، أن أفعل شيئًا ما.

تقول بهدوء: لم أكن أعلم أنك ووارنر قريبان جدًّا.

أعبس: ماذا؟ لا، أنا أتحدث عن جولييت.. إيلا، أو أيًّا كانت.

ترفع نظيرة حاجبَيها.

-على أي حال أنا آسف. ربما يجب أن نحتفظ بهذا الأمر بيننا، أليس كذلك؟ أنت لا تبحثين عن أي شيءٍ جِدي، وأنا لا أعرف كيف أُقيم علاقات عابرة على أي حال. دائمًا ما ينتهي بي الأمر بالاهتمام كثيرًا لأكون صادقًا، لذا ربما لم تكن هذه فكرة جيدة.

-أوه.

-أليس كذلك؟

أنظر إليها، آملًا فجأة أن يكون هناك شيء فاتني، شيء أكثر من التباعُد البارد في عينَيها.

-ألم تقولي للتوِّ إننا مختلفان جدًّا؟ إنك لا تعيشين هنا حتى؟

تستدير: نعم.

-هل غيرتِ رأيك في الثلاثين ثانية الماضية؟ حول رغبتك بأن تكوني حبيبتي؟

لا تزال تُحدق إلى الحائط عندما تقول: لا.

يتصاعد الألم في العمود الفقري، ويتجمَّع في صدري. أقول مُومِئًا برأسي: حسنًا إذن، شكرًا على صدقك. يجب أن أنطلق.

أعبر طريقي وأخرج من الباب.

-أنا قادمة أيضًا.

8

جولييت

لقد كنت جالسة في الجزء الخلفي من سيارة الشرطة لأكثر من ساعة. لم أتمكن من البكاء، ليس بعد. وأنا لا أعرف ما الذي أنتظره، ولكني أعرف ما فعلته، وأنا متأكدة من أنني أعرف ما سيحدث بعد ذلك. لقد قتلت طفلًا صغيرًا. لا أعرف كيف فعلتُ ذلك. لا أعرف لماذا حدث ذلك. أعرف فقط أنه كان أنا.. يدايَ أنا. لقد فعلت ذلك. بنفسي. أتساءل عما إذا كان والداي سيظهران. وبدلًا من ذلك، يسير ثلاثة رجال يرتدون الزيَّ العسكري نحو نافذتي. يفتح أحدهم الباب ويصوّب بندقيته نحو صدري صائحًا: اخرجي. اخرجي ويدَاك مرفوعتان.

تتسارع دقات قلبي، والرعب يدفعني للخروج من السيارة بسرعة كبيرة لدرجة أنني أتعثر، وتصطدم ركبتاي بالأرض. لا أحتاج إلى التحقق لأعرف أنني أنزف؛ ألم الجرح الطازج مُوجع بالفعل. أعضّ على شفتي لأمنع البكاء، وأُجبر الدموع على التراجع. لا أحد يساعدني.

أريد إخبارهم أنني في الرابعة عشرة من عمري فقط، وأنني لا أعرف الكثير عن العديد من الأشياء، ولكني أعرف ما يكفي. لقد شاهدت برامج تلفزيونية حول هذا النوع من الأشياء. أعلم أنهم لا يستطيعون اتهامي كشخصٍ بالغ. أعلم أنه لا ينبغي لهم أن يُعاملوني بهذه الطريقة. ولكن بعد ذلك أتذكر أن العالم مختلف الآن. لدينا الآن حكومة جديدة، حكومة لا تهتم بالطريقة التي اعتدنا أن نفعل بها الأمور. ربما لم يعُد أيٌّ من هذا يهمُّ بعد الآن.

تتسارع نبضات قلبي.

أُدفَع نحو المقعد الخلفي لسيارة سوداء، وقبل أن أدرك الأمر؛ أُودَع في مكان جديد: في مكان يُشبه مبنًى مكتبيٍّ عادي، إنه طويل، رمادي بلون الفولاذ، يبدو المبنى قديمًا ومتهالكًا، بعض نوافذه متشققة، والمشهد بأكمله يبدو كئيبًا. ولكن عندما أدلف إلى الداخل، يُذهلني التصميم الداخلي اللامع والمبهر. أنظر حولي وأتأمل الأرضيات الرخامية والسجاد والمفروشات الفاخرة. الأسقف عالية والهندسة المعمارية حديثة ولكنها أنيقة. كل شيءٍ من الزجاج والرخام والفولاذ المقاوِم للصدأ. لم أكن في أي مكانٍ جميلٍ كهذا. ولم يكن لديّ حتى لحظة لاستيعاب كل ذلك قبل أن يستقبلني رجل نحيف كبير السن ذو شعر بُنّي خفيف، الجنود الذين يُحيطون بي يتراجعون إلى الوراء وهو يتقدم للأمام.

يقول: آنسة. فيرارز؟

-نعم؟

-عليك أن تأتي معي.

أتردّد: من أنت؟

يتفحصني للحظة ثم يبدو أنه اتخذ قراره بإخباري: يمكنك مناداتي ديلالو.

أقول هامسة: حسنًا.

أتبع ديلالو إلى المصعد الزجاجي وأُشاهده وهو يستخدم بطاقة المفتاح للسماح بالمصعد. بمجرد أن نتحرك، أجد الشجاعة للتحدث.

أسأل: أين أنا؟.. ماذا يحدث؟

إجابته تأتي تلقائية: أنت في مقر القطاع 45. أنت هنا لعقد اجتماع مع القائد الأعلى والوصي على القطاع 45.

لا ينظر إليَّ عندما يتحدث، لكن لا يُوجَد في لهجته ما يدعو إلى التهديد. لذلك أسأل سؤالًا آخر: لماذا؟

يرنُّ بابا المِصعد عند فتحهِما، أخيرًا يلتفت ديلالو لينظر إليّ: سوف تكتشفين هذا في خلال لحظات.

أتبع ديلالو في الردهة وأنتظر بهدوء خارج الباب بينما يطرق الباب. يمد رأسه مُلقيًا نظرة خاطفة إلى الداخل عندما يُفتح الباب، ويعلن وجوده، ثم يُشير لي أن أتبعه إلى الداخل. عندما أفعل، يغمرني الاندهاش، هناك رجل جميل يرتدي الزي العسكري ـ أفترض أنه القائد ـ يقف أمام مكتبٍ خشبي كبير، وذراعاه معقودتان على صدره. يُحدق إلى عيني مباشرة، وفجأة أشعر بالضغط الشديد لدرجة أنني أحمرّ خجلًا. لم يسبق لي أن رأيت أي شخصٍ بهذه الوسامة من قبل. أنظر إلى الأسفل، أشعر بالحرج، وأتفحّص أربطة حذاء التنس الخاص بي. أنا مُمتنة لشعري الطويل. إنه بمثابة ستارة مظلمة وثقيلة تحمي وجهي من الأنظار.

-انظري إليَّ.

يأمُرني بحدة ووضوح. أنظر للأعلى بعصبية لألتقي بعينَيه. لديه شعر كثيف بُني غامق. عينان مثل العاصفة. ينظر إليَّ لفترةٍ طويلة حتى أشعر بقشعريرة ترتفع على جلدي. لا ينظر بعيدًا، وأشعر بالرعب أكثر في تلك اللحظة. عينا هذا الرجل مليئتان بالغضب.. الظلام.. هناك شيء مُخيف حقًّا فيهما، ويبدأ قلبي بالخفقان بسرعة.

يقول: أنت تكبرين بسرعة.

أُحدق إليه في حيرةٍ من أمري، لكنه لا يزال يتفحص وجهي.

يقول بهدوء: أربعة عشر عامًا.. إنه سن مُعقد بالنسبة لفتاة صغيرة.

يتنهّد أخيرًا، ينظر بعيدًا: دائمًا ما ينكسر قلبي لكسر الأشياء الجميلة.

أقول وأنا أشعر بالغثيان فجأة: أنا لا .. أنا لا أفهم.

ينظر إليّ مرة أخرى: هل أنت على عِلم بما فعلتِه اليوم؟

أجمُد. الكلمات تتراكم في حلقي، وتموت في فمي.

يأمُرني: نعم أم لا؟

أقول بسرعة: نعم.. نعم.

-وهل تعرفين لماذا فعلت ذلك؟ هل تعرف كيف فعلت ذلك؟

أهز رأسي وعيناي تمتلئان بالدموع بسرعة: لقد كان حادثًا، (أهمس) لم أكن أعرف.. لم أكن أعرف أن هذا...

-هل يعرف أي شخصٍ آخر عن مرضك؟

أحدق به بعينَين متسعتَين حتى عندما تطمس دموعي رؤيتي: لا، أعني.. لا، ليس حقًّا.. فقط والداي، ولكن لا أحد يفهم حقًّا ما خطبي. أنا لا أفهم حتى...

-هل تعنين أنك لم تُخططي لهذا؟ لم تكن نيّتُك قتل الصبي الصغير؟

أصرخ ضاربةً بكلتا يديّ على فمي: لا! لا .. (أُتابع بهدوء) كنتُ أحاول مُساعدته. لقد سقط على الأرض وأنا.. لم أكن أعرف. أُقسم أنني لم أكن أعرف.

-كاذبة.

لا أزال أهز رأسي، وأمسح الدموع بيديَّ المُهتزَّتَين: لقد كان حادثًا. أقسم أنني لم أقصد.. لم أقصد...

-سيدي.

إنه صوت ديلالو. لم أُدرك أنه لا يزال في الغرفة. أتنفَّس بعمق، وأمسح بسرعة على وجهي، لكن يدايَ ما تزالان ترتعشان. أحاول مرة أخرى أن أوقف دموعي. أجمع شتات نفسي.

يقول ديلالو بحزم أكبر: سيدي، ربما ينبغي لنا إجراء هذه المقابلة في مكانٍ آخر.

-لا أرى ضرورة ذلك.

-لا أقصد أن أبدو وقحًا يا سيدي، لكنني أشعر حقًّا أنه قد يكون من الأفضل لك إجراء هذه المقابلة على انفراد.

أجرؤ على الالتفاف لأنظر إليه. وعندها ألاحظ وجود الشخص الثالث في الغرفة.

صبي.

تنحبس أنفاسي في حلقي بصوتٍ يكاد يكون مسموعًا. تسيل دمعة واحدة على خدي فأمسحها، حتى وأنا أُحدق إليه. لا أستطيع منع نفسي.. لا أستطيع أن أنظر بعيدًا. لدَيه وجه لم

أرَ مثله من قبل في الحياة. إنه أكثر وسامةً من القائد. أكثر جمالًا ، ومع ذلك، هناك شيء مُثير للقلق فيه، شيء بارد وغريب في وجهه يجعل من الصعب النظر إليه. إنه مثالي تقريبًا. لدَيه فك حاد وعظام وجنتَين مرتفعتَين وأنف حاد مُستقيم. كل شيء فيه يُذكرني بالآلات الحادة.

وجهه شاحب. عينان خضراوان صافيتان مُذهلتان، شعره ذهبي غزير، يحدق إليّ بعينَين متسعتَين، وعاطفة لا أستطيع فهمها.

صوت جلْيِ حلق.

ينكسر السحر.

تغمر الحرارة وجهي، وأُبعد عيني، خائفة من أنني لم أنظر بعيدًا بسرعة.

أسمع القائد يُتمتم بغضب هامسًا: هذا لا يُصدق! دائمًا نفس الشيء!

أنظر لأعلى.

يقول بحدة: آرون، اخرج.

ينذهل الفتى ـ الذي لا بد أن اسمه آرون ـ يُحدق إلى القائد للحظة، ثم ينظر إلى الباب، لكنه لا يتحرك.

-ديلالو، من فضلك اصطحب ابني خارج الغرفة، لأنه يبدو حاليًّا غير قادر على تذكُّر كيفية تحريك ساقَيه.

ابنه. رائع. وهذا ما يُفسر جمال وجهه.

-نعم سيدي، بالطبع.

من المُستحيل قراءة تعبير آرون. أراه ينظر إليّ مرة أخرى، وعندما يجدني أحدق به يعبس. إنها ليست نظرة قاسية، ومع ذلك فإنني أُدير وجهي.

يتجاوزني هو وديلالو خارجَين، وأتظاهر بأنني لم ألحظ سماعه يهمس: من تكون..؟

وهما يبتعدان.

-إيلا؟ هل أنت بخير؟

أرمش بجفنيَّ، وأزيل ببطءٍ الشريط الأسود الذي يحجب رؤيتي. تتفجر النجوم ثم تتلاشى خلف عينيَّ، وأحاول الوقوف، ضاغطةً على السجادة بباطن كفيَّ لدرجة تؤلمني وكأنني أستند إلى حبوب الفشار، بينما تنغرس الأصفاد في لحمي.

أرتدي أصفادًا مُتوهجة ينبعث منها ضوء أزرق ناعم يُسرب الحياة من بشرتي، ويجعل يديَّ تبدوان وكأنهما ستفعلان شيئًا فسيئًا.

المرأة التي عند بابي تحدق بي. تبتسم. تقول: أنا ووالدك ظننَّا أنك قد تكونين جائعة، لقد أعدننا لكِ العشاء.

لا أستطيع التحرك. تبدو قدماي مُثبَّتتين في مكانهما، والألوان الوردية والبنفسجية للجدران والأرضيات تُهاجمني من كل زاوية. أقف في وسط المتحف الغريب لِما كان على الأرجح غرفة نوم طفولتي.. أحدق إلى ما قد يكون والدتي البيولوجية، وأشعر وكأنني قد أتقيأ. فجأة تصبح الأضواء ساطعة جدًّا، والأصوات عالية جدًّا. يسير أحدهم نحوي وأشعر أن الحركة مُبالغ فيها، والخطوات ترتطم بقوة وسرعة في أذني. رؤيتي تتداخل ويبدو أن الجدران تهتز. تتحرك الأرضية، وتميل للخلف.

أسقط بقوة على الأرض.

لمدة دقيقةٍ لم أسمع شيئًا سوى نبضات قلبي. تنبض بصوتٍ عالٍ، بصوت عالٍ للغاية، يضغط عليَّ، ويُهاجمني بنشاز من الصوت المُزعج، أضغط على وجهي في السجادة وأصرخ. أنا في حالة هستيرية، عظامي ترتجف في جلدي، والمرأة تحملني، تُدحرجني، وأنا أبتعد، ولا أزال أصرخ...

أصرخ: أين الجميع؟ ماذا يحدث لي؟

أصرخ: أين أنا؟ أين وارنر وكينجي ويا إلهي، *يا إلهي!* كل هؤلاء الناس، كل هؤلاء الأشخاص الذين قتلتهم...!

القيء يصِل إلى أعلى حلقي، يخنقني، وأحاول وأفشل في قمع الصور، الصور الفظيعة والمُرعبة لأجسادٍ مشقوقة، والدماء تتدفق أسفل تلالٍ من اللحم الممزق ببشاعة، وشيء يخترق ذهني، شيء حادٌّ يُعمي بصري وفجأة أشعر بالخوف.

أنا على ركبتي، أفرغ مُحتويات معدتي الهزيلة في سلةٍ وردية اللون. لا أستطيع التنفس. رئتاي مُرهقتان، معدتي لا تزال تهدد بخيانتي، أشهق ويداي ترتجفان بشدة وأنا أحاول الوقوف. أدور حول نفسي، الغرفة تتحرك بسرعة أكبر مما أفعل، ولا أرى سوى ومضاتٍ من اللون الوردي، ومضات من اللون الأرجواني.

أتأرجح. يمسك بي شخص ما مرة أخرى، هذه المرة ذراعان جديدتان، والرجل الذي يدعوني بابنته يَحتضنني وكأنني طفلته ويقول: عزيزتي، ليس عليك التفكير فيهم بعد الآن. أنت آمِنة الآن.

أتراجع للخلف، نظراتي متوحِّشة: آمنة؟ *من تكون...؟*

تأخذ المرأة يدي، تضغط على أصابعي حتى وأنا أحاول التحرّر من قبضتها.

تقول: أنا والدتك، لقد قررتُ أن الوقت قد حان لعودتك إلى المنزل.

أجذبها من قميصها: ماذا؟ ماذا فعلت *بأصدقائي؟*

أصرخ. ثم أهزُّها، أهزها بشدة لدرجة أنها تبدو خائفة للحظة، ثم أحاول أن أحملها وأرميها نحو الحائط ولكني أتذكّر بفزعٍ أن قوتي قد مُنعت، وأنني أعتمد على مجرد الغضب والأدرينالين. أستدير غاضبةً فجأة،

وأشعر بمزيدٍ من اليقين في اللحظة التي أبدأ فيها بالهلوسة.. عندما.. وبشكل غير متوقع.. تصفعني على وجهي.

أرفُّ بجفني مذهولة. لكنني أتمكن من البقاء مُنتصبة.

تقول بحدة: إيلا سومرز، استجمعي شتات نفسك.

عيناها مُشتعلتان وهي تقيمني: ما هذا السلوك الدرامي السخيف؟ قلقة بشأن أصدقائك؟ هؤلاء الناس ليسوا أصدقاءك.

يحترق خدي، أشعر بالخدَر في نصف فمي، ولكنني أقول: نعم، نعم إنهم أصدقائي...

تصفعني مرة أخرى.

تنغلق عيناي، أُعيد فتحهما، أشعر بالدوار فجأة، تقول بصوتٍ خافت: نحن والداك. لقد أحضرناك أنا ووالدك إلى المنزل. يجب أن تكوني مُمتنَّة.

أتذوق طعم الدم، أمدّ يدي لأعلى، ألمس شفتي، أصابعي تنطلي باللون الأحمر.

-أين إيمالين؟

الدم يتجمع في فمي، أبصقه على الأرض: هل اختطفتُماها أيضًا؟ هل تعرف ماذا فعلتما؟ أنكما تبرعتما بنا إلى إعادة التأسيس؟ بعتما جسدَينا للعالم؟

صفعة ثالثة سريعة.

أشعر بها ترن في جمجمتي.

-كيف *تجرُئين*..؟

وجه أمي يتحول إلى اللون القرمزي: كيف *تجرُئين*..؟ ليس لديك أي فكرة عما بنَيناه طوال هذه السنوات.. التضحيات التي قدمناها من أجل *مستقبلنا*..

يقول والدي واضعًا يده المُهدئة على كتفها: الآن يا إيفي، كل شيءٍ سيكون على ما يرام. تحتاج إيلا إلى القليل من الوقت لتستقر، هذا كل ما في الأمر.

ينظر إليّ: أليس هذا صحيحًا يا إيلا؟

لقد صدَمني الأمر حينها، في تلك اللحظة.. كل شيء يَضربني دفعة واحدة.. بقوة مُخيفة، ومُزعزعة للاستقرار...

لقد خطفني شخصان مجنونان وقد لا أرى أصدقائي مرةً أخرى، في الواقع ربما يكون أصدقائي قد ماتوا.. أو ربما قتلهما *والداي*.. جميعهم.

الإدراك يُشبه الاختناق. الدموع تملأ حلقي وفمي وعيني.

أقول بأنفاس ثقيلة: أين.. أين وارنر؟ ماذا فعلت به؟

يُصبح تعبير إيفي قاتلًا فجأة: أنت وهذا الصبي اللعين. إذا كان عليّ أن أسمع اسمه مرة أخرى...

أصرخ مرة أخرى: *أين وارنر؟*.. أين هو؟ أين كينجي؟ ماذا فعلتما بهما؟

تبدو إيفي منهكةً فجأة. تفرك جسر أنفِها بين إبهامها وسبابتها. تقول دون أن تنظر إليّ وهي تنظر إلى والدي: عزيزي، هل لك أن تتعامل مع هذا من فضلك؟ أُعاني من صداعٍ رهيب، وعليَّ الردُّ على عددٍ من المكالمات الهاتفية العاجلة.

-بالطبع يا حُبي.

ثم يُخرج حقنة من جيبه ويطعنها بسرعة في رقبتي.

9

كينجي

غرفة المعيشة المشتركة بدأت تُعجبني حقًّا. اعتدتُ أن أمر بجانبها طوال الوقت، وأتساءل: لماذا فكر وارنر من الأساس في أننا بحاجةٍ إلى غرفة معيشة مشتركة بهذا الحجم. يُوجَد الكثير من المقاعد ومساحة كبيرة لأخذ راحتنا، لكنني ظننتُ دائمًا أنها مضيعة للمساحة. تمنيتُ سرًّا أن يستخدم وارنر هذه المساحة الإضافية لغُرف نومِنا.

الآن أفهم.

عندما دخلت أنا ونظيرة متأخرتَين بعشر دقائق عن حفلة البيتزا المُرتجلة، كان الجميع هناك. براندن موجود. يجلس في زاوية يُغرقه كاسل وعاليا بالعناية، وبالكاد أمنع نفسي من الاندفاع نحوه. لا أفعل ذلك بالطبع، لأنه من الواضح أنه لا يزال يتعافى، لكني أشعر بالارتياح لرؤية أنه يبدو بخير. يبدو منهكًا في الأغلب، لكنه لا يرتدي حمالةً للذراع أو أي شيءٍ من هذا القبيل، لذا أظن أن الفتاتَين لم تواجِها أي مشاكل عندما قامتا بمداواته. هذه علامة رائعة.

أرى وينستون يمشي عبر الغرفة فألحق به وأُصفق على ظهره. أقول: مرحبًا.

أسأله عندما يلتفت: هل أنت بخير؟

يحمل طبقَين من الورق، وكلاهما يتدلَّيان بالفعل تحت وطأة البيتزا الزائدة، يبتسِم بكل وجهه عندما يقول: أكره هذا اليوم. هذا اليوم عبارة قمامة، أنا أكره كل شيءٍ في هذا اليوم باستثناء حقيقة أن براندن بخير ولدَينا بيتزا. بخلاف ذلك، يمكن لهذا اليوم أن يذهب مباشرة إلى الجحيم.

بعد لحظةٍ من الصمت أقول بهدوء: إذن، أظن أنك لم تُجرِ تلك المحادثة مع براندن بعد، أليس كذلك؟

يحمر وجه وينستون فجأة: قلتُ إنني أنتظر الوقت المناسب، هل يبدو هذا لك الوقت المناسب؟

أتنهَّد: معك حق، أظن أنني كنتُ آمُل فقط أن يكون لديك بعض الأخبار الجيدة. يمكننا جميعًا الاستفادة من بعض الأخبار الجيدة الآن.

يُلقي وينستون عليّ نظرة متعاطفة: لا يوجَد أخبار عن جولييت؟

أهز رأسي. أشعر بالغثيان فجأة: هل أخبرك أحدٌ أن اسمها الحقيقي هو إيلا؟

يقول وينستون رافعًا حاجبيه: سمعت بذلك، هذه القصة كلها لا تُصدّق.

أقول: نعم، اليوم هو الأسوأ.

يقول وينستون: اللعنة على هذا اليوم.

أقول: لا تنسَ الغد لأنه سيكون سيئًا أيضًا.

تصبح الأطباق الورقية في يدَي وينستون خفيفة بسبب دهون البيتزا: ماذا؟ لماذا؟ ما الذي سيحدث غدًا؟

أقول: آخِر ما سمعته هو أننا سوف نهرب من السفينة الغارقة، ننجو من أجل حياتنا. لذلك أفترض أنه سيكون سيئًا.

يكاد وينستون يُسقط أطباقه: اللعنة، بجدية؟ براندن يحتاج إلى المزيد من الراحة. (يصمت للحظة) إلى أين سنذهب؟

يقول إيان وهو يقترب نحوي: على ما يبدو إلى الجانب الآخر من القارة.

يُقدم لي طبق بيتزا. أُهمهِم بالشكر بسرعة مُحدقًا إلى البيتزا، متسائلًا عما إذا كنت سأتمكن من إدخالها كلها في فمي مرةً واحدة. على الأرجح لا.

يقول وينستون لإيان وهو يضع نظارته على جسر أنفه: هل تعرف شيئًا لا نعرفه؟

يحاول وينستون – دون جدوى – أن يدفعها مرة أخرى بمقدمة ذراعه، ويتقدم إيان ليفعل ذلك نيابةً عنه.

يقول إيان: أعرف أشياء كثيرة لا تعرفها. أولها أن كينجي كان بالتأكيد يُغازل نظيرة منذ خمس ثوانٍ تقريبًا.

كان فمي على وشك الانفتاح قبل أن أتذكّر أن فيه طعامًا. أبتلِع بسرعة كبيرة وأختنق. لا زلتُ أسعل وأنا أنظر حولي مذعورًا من أن تكون نظيرة قريبة. أسترخي قليلًا عندما أرصدها عبر الغرفة تتحدّث مع سونيا وسارة.

أحدق إلى إيان: ما خطبك بحق الجحيم؟!

على الأقل يتمتع وينستون باللياقة وهو يهمس سائلًا: هل كنت تُغازل نظيرة؟ لقد ذهبنا لبضع ساعات فقط!

أكذب: لم أغازل نظيرة.

يأخذ إيان قضمةً من البيتزا: مهما يكن يا أخي. أنا لا أُطلق أحكامًا، العالم ينتهي، فلتستمتع قليلًا.

–لم نفعل.. (أتنهد، وأُبعد نظري) لم يكن الأمر كذلك.. لم يكن هناك أي شيء.. لقد كنا.. هكذا...

أشير بيدي إشارة عشوائية لا تعني أي شيءٍ على الإطلاق.

يرفع إيان حاجبَيه.

يقول وينستون وهو يلقي عليّ نظرة: حسنًا، سنتحدّث عن مسألة نظيرة لاحقًا. (يلتفت إلى إيان) ما الذي سيحدث غدًا؟

يقول إيان: نهرب. كن مُستعدًّا للتحرك مع شروق الشمس.

يقول وينستون: صحيح، لقد سمعت ذلك الجزء، ولكن إلى أين نحن ذاهبون؟

يهز إيان كتفيه: كاسل يعرف، هذا كل ما سمعته، كان ينتظر عودة كينجي ونظيرة لارتداء ملابسهما قبل أن يُخبر الجميع بالتفاصيل.

أُميل رأسي نحو إيان مُهددًا بنظرة واحدة وأقول: لا يوجَد شيء يحدث بيني وبين نظيرة.. انس الأمر.

يقول عابثًا بالبيتزا: حسنًا، هذا منطقي. أعني إنها ليست جميلة جدًّا على أي حال.

يسقط طبقي من يدي، وترتطم البيتزا بالأرض. أشعر برغبةٍ مفاجئة في لكم إيان في وجهه: هل أنت.. هل أنت مجنون؟ إنها ليست.. إنها أجمل امرأة رأيتها في حياتي، وأنت تقول هنا *إنها ليست جميلة حتى*؟ هل لديك...

يقطعني إيان ناظرًا نحو وينستون: أترى ما أعنيه؟

يقول وينستون وهو يُحدق بجدية إلى البيتزا على الأرض: واو. نعم، كينجي بالتأكيد يكذب.

أُمرر يدي على وجهي: أنا أكرهكم يا رفاق.

يقول إيان: على أي حال، سمعت أن أخبار كاسل لها علاقة بنوريا.

أعيد رأسي للوراء.

نوريا.

كدت أنسى. صباح اليوم – قبل الندوة مباشرة – أخبرني التوءمان أنهما اكتشفا شيئًا.. شيئًا له علاقة بالسم في الرصاصات التي أصيبت بها جولييت.. وهذا ما أعادهما إلى نوريا.

لكن الكثير حدث اليوم ولم تُتَح لي الفرصة لمتابعة الأمر، لأعرف ما الذي حدث.

يسألني إيان رافعًا حاجبًا: هل سمعت عن ذلك؟ لقد أرسلت رسالة على ما يبدو. هذا ما تقوله الفتاتان.

أقول عاقدًا حاجبيّ: نعم، لقد سمعت.

بصراحة ليس لدي أي فكرة عن كيفية تطور هذا الأمر.

لقد مضى ما لا يقل عن عشر سنوات منذ آخِر مرة رأى فيها كاسل ابنته نوريا. قُتل طفلاه (دارينس وجباري) على يد ضباط شرطة عندما رفضوا السماح للرجال بالدخول إلى منزلهم بدون إذن تفتيش. هذا كان قبل أن تُسيطر إعادة التأسيس.

لم يكن كاسل في المنزل في ذلك اليوم، لكن نوريا كانت هناك.

شاهدت الأمر يحدث. قال كاسل إنه يشعر وكأنه فقد أطفاله الثلاثة في ذلك اليوم. لم تتعافَ نوريا أبدًا. بدلاً من ذلك؛ أصبحت منعزلة، بلا أمل. توقفت عن العودة إلى المنزل في ساعاتها المعتادة ثم – في يوم ما – اختفت. كانت إعادة التأسيس دائمًا تلتقط الأطفال من الشارع وتشحنهم إلى أي مكان يحتاجون فيه إلى سدِّ نقص الأيدي العاملة. أُلقِيَ القبض على نوريا، سُلِّمت وشُحنت إلى قطاع آخر. علم كاسل يقينًا أن ذلك ما حدث؛ إذ إن إعادة التأسيس أرسلت له إيصالًا بابنته. إيصالًا لعينًا!

عرف الجميع في أوميجا بوينت قصة كاسل. كان دائمًا يبذل جهدًا ليكون صادقًا، لمشاركة أصعب الذكريات وأكثرها إيلامًا في حياته حتى لا نشعر نحن الباقين بأننا نُعاني وحدَنا.

ظن كاسل أنه لن يرى نوريا مرة أخرى. وإن كانت قد تُحاول التواصل معه الآن...

في تلك اللحظة تتلاقى نظراتي مع كاسل، يلتفت إليّ، ثم إلى نظيرة، ابتسامة تمس شفتَيه ثم تختفي. يفرد ظهره مخاطبًا الغرفة. يبدو في صحةٍ جيدة، أُدرك هذا، يبدو مشرقًا، حيًّا كما لم أره منذ سنوات. ضفائره معقوصة للوراء، مربوطة بإحكام عند بداية عنقه، لا تزال السترة الزرقاء الباهتة تُناسبه تمامًا، حتى بعد كل هذه السنوات.

يقول: لدي أخبار.

ولكني متأكد تمامًا أنني أعرف ما سيحدث بعد ذلك.

تعيش نوريا في القطاع 241، على بُعد آلاف الأميال، والاتصال بين القطاعات أمر لم نسمع به من قبل. فقط الجماعات المُتمردة لديها الشجاعة الكافية للمخاطرة بإرسال رسائل مشفرة عبر القارة. يعلم إيان ووينستون هذا. وأنا أعلم هذا.

الجميع يعلم هذا.

مما يعني أن كاسل ربما يكون هنا ليُخبرنا أن نوريا أصبحت مارقة.

ها...

الابنة مثل أبيها.

10

وارنر

أقول: مرحبًا.

تلتفت عند سماع صوتي، وتذهل عندما ترى وجهي. تتسع عيناها. وأشعر بذلك على الفور.. عندما تغيرت مشاعرها.

إنها منجذبة إليّ.

إنها منجذبة إلي، وهذا الاكتشاف يجعلني سعيدًا. لا أعلم لماذا. ليس هذا جديدًا. لقد تعلمت منذ زمن بعيد أن الكثير من الناس يَجدونني جذابًا. رجال. نساء. خاصة النساء الأكبر سنًّا، وهي ظاهرة لا أفهمها حتى الآن. لكن هذا...

يجعلني سعيدًا. إنها تجدني جذابًا.

-مرحبًا.

تقول دون أن تنظر إليّ.

أُدرك أنها تخجل. أنا متفاجئ. هناك شيء لطيف فيها، شيء لطيف وظريف لم أتوقعه حقًّا.

أسأل: هل أنت بِخير؟

إنه سؤال غبي. من الواضح أن الفتاة في وضع رهيب. في الوقت الحالي هي في عهدتنا فقط حتى يقرر والدي ما يجب فعله بها. هي حاليًّا في مركز احتجاز مريح إلى حدٍّ ما هنا في القاعدة، لكن من المحتمل أن ينتهي بها الأمر في مركز احتجاز الأحداث. لست متأكدًا. لقد سمعت والدي يتحدث عن إجراء المزيد من الاختبارات عليها أولًا. يبدو أن والدَيها هستيريان.. يائسان من أجل أن نأخذها ونعالجها، أن نُشخّصها، يظنون أنها قتلت صبيًّا صغيرًا عن قصد. يعتقدون أن ابنتهما مجنونة.

أظن أنها تبدو بخير تمامًا.

أفضل من «بخير».

لا أستطيع التوقف عن النظر إليها. تجول عيناي على وجهها أكثر من مرة، وأتفحص ملامحها بعناية. تبدو مألوفة جدًّا بالنسبة لي، كما لو كنت قد رأيتها من قبل. ربما في الحلم.

أُدرك، حتى وأنا أفكر في الأمر، أن أفكاري سخيفة.

ولكنني انجذبت إلى هنا، انجذبت إليها بشيءٍ خارج عن سيطرتي. أعلم أنه لا ينبغي لي أن آتي. ليس لدي أي هدف بالتحدث إليها، وإذا وجدني والدي هنا فمن المحتمل أن يقتلني. لكنني حاولتُ لعدة أيام أنً أنسى وجهها ولم أستطع. حاولت أن أنام ليلًا فتجسدت صورتها في الظلام. كنت بحاجةٍ إلى رؤيتها مرة أخرى.

لا أعرف كيفية مقاومة ذلك.

في النهاية تتحدث، فأنتبه، أذكر نفسي أنني سألتها سؤالًا.

تقول وعيناها على الأرض: نعم، شكرًا لك، أنا بخير.

إنها تكذب.

أريدها أن تنظر لأعلى، لتلتقي بعيني. لا تفعل ذلك، وأجد الأمر مُحبطًا.

أقول: هل ستنظرين إلي؟

قولي هذا يعمل بشكل جيد بما فيه الكفاية.

ولكن عندما تنظر إليّ مباشرة أشعر بقلبي يتوقف فجأة بشكلٍ مُرعب، يتوقف عن الخفقان، للحظة أموت.

ثم بعد ذلك..

بسرعة.. يدق قلبي بسرعة كبيرة.

لم أفهم أبدًا قدرتي على إدراك الآخرين بهذا الشكل، لكنها غالبًا ما خدمتني جيدًا. في معظم الحالات، يوفر هذا لي ميزة، لكن في هذه اللحظة فإن الأمر مُهيمِن.

في الوقت الحالي، كل شيء يضربني بقوة مضاعفة. أشعر بمجموعتين من المشاعر.. مشاعرها ومشاعري، وكلاهما متشابكتان. يبدو أننا نشعر بنفس الأشياء في الوقت نفسه. إنه أمر مُحير لدرجة أنني بالكاد أستطيع التقاط أنفاسي. أشعر برغبة مفاجئة في لمسها. أريد...

تقول: لماذا؟

أغمض عيني: ماذا؟

-لماذا تريدني أن أنظر إليك؟

آخُذ نفسًا. أُصفي ذهني، أفكر في خياراتي. يمكنني قول الحقيقة. يمكنني أن أكذب. يمكنني أن أكون مراوغًا، وأغير الموضوع.

أخيرًا أقول: هل أعرفك؟

تضحك وتنظر بعيدًا. تقول: لا، بالتأكيد لا.

تعض شفتها وأشعر بعصبيتها المفاجئة، وأسمع ارتفاع تنفّسها. أقترب منها دون أن أُدرك ذلك.

تنظر إليّ بعد ذلك، وأدرك ـ بحماس ـ مدى قربنا. هناك حرارة واضحة بين جسدينا، وعيناها كبيرتان وجميلتان، بلونٍ أخضر يميل للزرقة.. مثل الكرة الأرضية.. أفكر: مثل العالم كله.

تنظر إليّ وأشعر فجأة بعدم التوازن.

تقول: ما الخطب؟

يجب أن أبتعد عنها: أنا.. (أنظر إليها مرة أخرى) هل أنت متأكدة أنني لا أعرفك؟

تبتسم.. تبتسم لي، ويتحطم قلبي.

تقول: ثق بي، كنت سأتذكرك.

11

كينجي

ديلالو

لا أصدق أننا نسينا ديلالو.

لقد ظننت أن أخبار كاسل ستتعلق بنوريا. ظننت أنه سيُخبرنا بأنها تواصلت لتقول إنها أصبحت الآن قائدة مقاومة مبهرة، وأنها ستكون سعيدة باستضافتنا في منطقتها لفترة. بدلًا من ذلك؛ كانت أخبار كاسل.. عن ديلالو.

لقد نجح الرجل.

يتنحى كاسل جانبًا ويسمح للرائد بالدخول، وعلى الرغم من أن ديلالو يبدو متيبسًا وغير متزن، إلا أنه يبدو منزعجًا حقًّا. وفي اللحظة التي أرى فيها وجهه أشعر بالأمر كلكمة في معدتي، إنه الحزن.

يُجلي حنجرته مرتَين أو ثلاثَ مرات.

وعندما يتحدث أخيرًا، يكون صوته أكثر ثباتًا مما سمعته على الإطلاق.

يقول: لقد جئتُ لأطمئنكم بشكلٍ شخصي أنني سأضمن بقاء مجموعتكم آمنةً هنا، طالما أستطيع. (يتوقَّف للحظة) لا أعرف حتى الآن بالضبط ما يحدث؛ لكنني أعلم أنه لا يمكن أن يكون جيدًا. أنا قلق من أن الأمور لن تنتهيَ بشكلٍ جيد إذا بقيتُم، وأنا ملتزم بمساعدتك وأنتم تُخططون للهروب.

الجميع هادئون.

أكسر الصمت قائلًا: أوه، شكرًا لك. (أتجول في الغرفة متابعًا) نحن نُقدر ذلك حقًّا. لكن.. كم من الوقت لدينا؟

يهز ديلالو رأسه: أخشى ألَّا أستطيع ضمان سلامتك لأكثر من أسبوع. لكني آمُل أن يمنحكم التأجيل لبضعة أيام المهلة اللازمة لمعرفة خطواتكم التالية. ابحثوا عن مكانٍ آمن للذهاب إليه. في هذه الأثناء سأقدم أي مساعدةٍ مُمكنة.

يقول إيان بتشكك: حسنًا.. لكن هذا حقًّا.. كرم منك.

يُجلي ديلالو حلقه مرة أخرى: لا بد أنه من الصعب معرفة ما إذا كان ينبغي عليكم الوثوق بي. أنا أتفهم مخاوفكم. لكني أخشى أنني بقيت صامتًا لفترة طويلة جدًّا. (يفقد صوته ثباته) والآن.. مع.. مع ما يحدث لوارنر والآنسة فيرارز...

يتوقف للحظةٍ، صوته ينكسر مع جملته الأخيرة، يرفع عينَيه، وينظر إليّ في عيني: أنا متأكد من أن وارنر لم يُخبر أيًّا منكم أنني جدُّه.

فكي مفتوح على مصراعَيه. ينفرج حرفيًّا.

كاسل هو الشخص الوحيد في الغرفة الذي لا يبدو مصدومًا.

يقول آدم وهو ينهض: أنت جدُّ وارنر؟

نظرة الرعب في عينَيه تُحطم قلبي.

يقول ديلالو بهدوء: نعم، من جانب والدته.

يُقابل عينَيْ آدم، مُعترفًا بصمتٍ بأنه يعرف. يعرف أن آدم هو الابن غير الشرعي لأندرسون. إنه يعرف كل شيء.

يجلس آدم مرةً أخرى، والراحة باديةٌ على وجهه.

يقول براندن: يُمكنني فقط أن أتخيل كم كانت حياتك غير سعيدة.

التفتُّ لألقي نظرة عليه مندهشًا لسماع صوته. لقد كان هادئًا جدًّا طوال هذا الوقت. ولكن بالطبع سيكون براندن متعاطفًا حتى مع شخص مثل ديلالو الذي تنحَّى جانبًا ولم يقُل شيئًا بينما دمَّر أندرسون العالم. يقول براندن: ولكني مُمتن.. نحن جميعًا ممتنون لمساعدتك اليوم.

يتمكن ديلالو من الابتسامة ويقول: إنه أقلُّ ما يُمكنني فعله.

ثم يستدير مغادرًا.

تقول ليلي بصوت حاد: هل كنتَ تعرفها؟.. كإيلا؟

يتجمَّد ديلالو في مكانه، ولا يزال نصفه متجهًا نحو الخروج.

تقول ليلي: إذا كنت جدَّ وارنر، وعملت تحت إمرة أندرسون لفترة طويلة؛ فلا بد أنك كنتَ تعرفها.

ببطءٍ.. وببطءٍ شديد يلتفتُ ديلالو ليُواجهنا. يبدو متوترًا، مرتبكًا كما لم أره من قبل. لا يقولُ شيئًا، لكن الإجابة مكتوبة على وجهه كلِّه. ورجفةِ يدَيه.

يا يسوع!

أقول والغضب يتصاعد بداخلي: منذ متى؟ منذُ متى تعرفها ولم تقل شيئًا؟

-أنا لا.. أنا لا...

-*منذ متى؟*

أقول بينما أمد يدي نحو المُسدس المَخفي في حزام سروالي.

يتراجع ديلالو خطوة إلى الوراء بحركةٍ مفاجئة: من فضلك لا تفعل، (عيناه بريئتان) من فضلك لا تطلب مني هذا. يُمكنني أن أساعدك. يمكنني أن أزوِّدك بالأسلحة ووسائل المُواصلات.. أي شيء تحتاجه.. لكن لا يُمكنني.. أنت لا تفهم...

-*جبان.*

قالت نظيرة وهي تنهض. تبدو مذهلة، طويلة وقوية وثابتة. أنا أحب مشاهدة تلك الفتاة تتحرك. تتحدث. تتنفَّس. أي شيء.

-لقد شاهدتَ ولم تقل شيئًا بينما عذَّب أندرسون أطفاله. أليس كذلك؟

يقول ديلالو يائسًا ووجهه يحمرّ من عاطفة لم أرها من قبل: لا.. لا، الأمر ليس...

يرفع كاسل كرسيًّا بإصبعٍ واحدة ويُسقطه بلامبالاة أمام ديلالو.

يقول بغضبٍ عنيف واضح يلمع في عينَيه: اجلس.

يُطيع ديلالو.

أقول مرةً أخرى: ***منذ متى؟*** منذ متى عرفتها باسم إيلا؟

يتردد ديلالو مُلتفتًا حوله ثم يقول أخيرًا: أنا.. أنا.. لقد عرفتُ إيلا منذ كانت طفلة.

أشعر بالدم يخرج من جسدي.

اعترافه الواضح والصريح مُبالغ فيه. إنه يعني الكثير. أنهارُ تحت وطأته.. الأكاذيب والمؤامرات. أغرق في الكرسي وقلبي يتحطَّم من أجل جولييت، لكلِّ ما عانَت منه على يد الأشخاص الذين يُفترَض بهم حمايتها. لا يُمكنني تكوين الكلمات التي أحتاجها لأُخبر ديلالو أنه قطعةٌ من الخراء، نظيرة لا تزال مُتماسكة لتطعنه بكلامها.

صوتها ناعم – مميت – عندما تتحدث.

تقول نظيرة: لقد عرفت إيلا منذ كانت طفلة. لقد كنت هنا، تعمل هنا، تساعد أندرسون منذ أن كانت إيلا طفلة. هذا يعني أنك ساعدتَ أندرسون على وضعها في رعاية والدَيها المُسيئَين، بالتبنِّي، وقد وقفتَ بجانبهما وهما يُعذّبناها.. بينما يُعذبها أندرسون مرارًا وتكرارًا...

يصيح ديلالو: لا، أنا لم أوافِق على أيٍّ من ذلك. كان من المُفترض أن تكبر إيلا في بيئةٍ منزلية طبيعية. كان من المفترض أن تُوضَع لدى والدَين حنونَين وتنشأ نشأة مستقرة. كانت هذه هي الشروط التي اتفق عليها الجميع.

تقول نظيرة وعيناها تلمعان: هراء. أنت تعلم مثلي أن والدَيها بالتبنِّي كانا وَحْشَين...

يصرخ ديلالو بغضب: ***لقد غيّر باريس شروط الاتفاقية.***

ترفع نظيرة حاجبها غير متأثرة.

ولكن يبدو أن شيئًا ما حلَّ لسان ديلالو، شيءٌ مثل الخوف أو الذنب أو الغضب المكبوت، لأن الكلمات اندفعت منه.

يقول: لقد نكث باريس بوعدِه بمجرد وصول إيلا إلى حضانته، لم يظن أن أحدًا سيكتشف ذلك. في ذلك الوقت كنا أنا وهو في نفس الرتبة تقريبًا فيما يتعلق بإعادة التأسيس. كنا نعمل معًا عن كثَب بسبب روابطنا العائلية، وكنت نتيجة لذلك على اطلاعٍ على الخيارات التي اتخذها.

يهز ديلالو رأسه.

ولكن اكتشفتُ في وقتٍ متأخر جدًّا أنه اختار عمدًا والدَين بالتبنِّي أظهرا سلوكًا مسيئًا وخطيرًا. وعندما واجهتُه بشأن ذلك، جادل بأن أيَّ إساءة معاملة تتعرض لها إيلا على يد والدَيها البديلَين لن تؤدي إلا إلى تشجيع قواها على الظهور، وكان لدَيه إحصائيات تدعم ادِّعاءه. حاولت أن أُعبر عن مخاوفي.. لقد أبلغت عنه؛ أخبرت مجلس القادة أنه يؤذِيها.. يكسرها، لكنه جعل مخاوفي تبدو وكأنها تصرفات هستيرية يائسة لشخصٍ غير راغب في فعل ما هو ضروري من أجل القضية.

يُمكنني رؤية الدم يتسلل إلى رقبة ديلالو، ويبدو غضبه على وشك الانفجار.

-لقد نقض قراري مرارًا وتكرارًا. خُفِضت رتبتي. عُوقِبتُ على التشكيك في تكتيكاته. (يتابع بهدوء) ولكني كنتُ أعلم أن باريس كان مخطئًا. لقد ذُبُلتْ إيلا. عندما قابلتها لأول مرةٍ كانت فتاةً قوية ومرحة. كانت لطيفة ومبتهجة دائمًا (يتردَّد) لم يمرَّ وقت طويل قبل أن تُصبح باردةً ومنغلقة. ومنعزلة. ترقى باريس في الرتبة بسرعة، وسرعان ما تمَّ تهميشي لأُصبح لاشيءَ أكثرَ من يده اليمنى. كنت مَن أرسله للاطمئنان عليها في المنزل، وفي المدرسة. أُمِرتُ بمراقبة سلوكها وكتابة التقارير التي توضح تقدمها.

-ولكن لم تكن هناك نتائج. تحطمت روحُها. توسَّلتُ إلى باريس أن يضعها في مكانٍ آخر أن يُعيدها على الأقل إلى مُنشأة عادية للإشراف عليها شخصيًّا لكنه أصر مرارًا على أن الإساءة التي تتعرَّض لها ستُحفز النتائج.

يقف ديلالو الآن، يتحرك ذهابًا وإيابًا.

يقول: كان يأمُل في إقناع المجلس، وكان يأمل أن يُكافأ على جهوده بترقيةٍ أخرى. سرعان ما أصبحت مُهمته الوحيدة هي الانتظار، جعلني أُراقب إيلا عن كثب بحثًا عن التطورات، أو أي علامة على تغيُّرها. تطورها. (يتوقَّف مكانه) لكن باريس كان مهملًا.

يضع ديلالو رأسه بين يدَيه.

تُصبح الغرفة من حولنا هادئة للغاية لدرجة أنني تقريبًا أسمع مرور الثواني. ننتظره جميعًا أن يُواصل، لكنه لا يرفع رأسه. أتفحصه.. يداه وساقاه ترتجفان، يبدو فاقدًا للاتزان، قلبي يقرع في صدري وأشعر وكأنه على وشك الانهيار، مثلما هو على وشك إخبارنا بشيءٍ مُهم.

أقول بهدوء: ماذا تقصد؟ أي إهمال؟

يرفع ديلالو رأسه، وعيناه حمراوان ومتوحِّشتان.

يقول ضاربًا الحائط بقبضته: أعني ***لقد كان لديه مهمة وحيدة..***

تخترق قبضته الجص، وللحظةٍ أُصاب بالذهول حقًّا. لم أكن أعتقد أن ديلالو يمتلك تلك القوة.

يقول وهو يفقد حماسَه متراجعًا للخلف مستندًا إلى الحائط: أنت لا تفهم. أكبر ندمٍ في حياتي هو مشاهدة هؤلاء الأطفال يُعانون وعدم فعل أي شيءٍ حيال ذلك.

يقول وينستون: انتظر، من هم الأطفال؟ عمَّن تتحدث؟

لكن ديلالو لا يبدو أنه يسمعه. يهز رأسه فقط.

يقول: باريس لم يأخذ مهمة إيلا على مَحمل الجد. كان خطؤه أنها فقدت السيطرة. كان خطؤه أنها لم تكن تعرف أكثر، كان خطؤه أنها لم تكن مُستعدَّةً أو مُدرَّبة أو محمية بشكلٍ صحيح. كان خطؤه أنها قتلت ذلك الصبي الصغير.

يقول الآن بصوتٍ مكسور لدرجة أنه يهتز: ما فعلته في ذلك اليوم كاد أن يُدمرها. كاد أن يدمر العملية بأكملها. كاد أن يكشفنا للعالم.

يغمض ديلالو عينَيه، ويضغط بأصابعه على صدغَيه. ثم يعود ليستقر في مقعده. يبدو وكأنه غير متماسك.

نتشاطر أنا وكاسل نظرة تفاهم عبر الغرفة. شيء ما يحدث. شيء ما على وشك الحدوث.

ديلالو أداة لم نُدرك يومًا أننا نملكها. وعلى الرغم من كل احتجاجاته، يبدو حقًّا أنه يريد التحدُّث. ربما يكون هو المفتاح. ربما يستطيع إخبارنا بما نحتاج لمعرفته عن.. عن كل شيء. عن جولييت، عن أندرسون، عن إعادة التأسيس. من الواضح أن سدًّا انفجر في ديلالو. آمُل فقط أن نتمكن من إبقائه يتحدث.

يقول آدم: إذا كنت تكره أندرسون كثيرًا، لماذا لم تمنعه عندما سنحَتْ لك الفرصة؟

يرد ديلالو بعينَين مُتسعتَين حزينتَين: ألا تفهم؟ لم تُتح لي الفرصة قط. لم يكن لديَّ السلطة، لقد كنا قد تولَّينا السلطة للتو، ليلى – ابنتي – كانت تزداد مرضًا كل يوم وكنت، لم أكن على طبيعتي. كنتُ أتفتت. لقد اشتبهتُ في وجود شيءٍ ما وراء مرضها لكن لم يكن لديَّ أي دليل. قضيت ساعات العمل في الإشراف على الصحة العقلية والجسدية المُتدهورة لشابةٍ بريئة، وأمضيتُ وقت فراغي أشاهد ابنتي تموت.

تقول نظيرة ببرود: هذه أعذار. لقد كنتَ جبانًا.

ينظر إلى الأعلى ويقول: نعم، هذا صحيح. لقد كنتُ جبانًا. (يهز رأسه ويبتعِد) لم أقل شيئًا، حتى عندما حوَّل باريس مأساة إيلا إلى نصر. لقد أخبر الجميع أن ما فعلَتْه إيلا بذلك الصبي كان نعمةً مُقنَّعة. في الواقع، كان هذا بالضبط ما كان يعمل من أجله. جادل بأن ما فعلَتْه ذلك اليوم – بصرف النظر عن العواقب – كان التعبير الدقيق عن قواها الذي كان يأمُله طوال الوقت. (يبدو الاشمئزاز على ديلالو) لقد أفلت من كلِّ شيء. تم منحُه كل ما أراده على الإطلاق. وكان دائمًا متهورًا. قام بعملٍ كسول، بينما كان يستخدِم إيلا كالبيدَق لتحقيق رغباته السادية الخاصة.

يقول كاسل ببرود: «كن أكثر تحديدًا من فضلك. كان لدى أندرسون الكثير من الرغبات السادية. ما الذي تُشير إليه؟»

يشحب ديلالو. صوته ينخفض ويضعف عندما يقول: كان باريس دائمًا مولعًا وشغوفا بتدمير ابنه. لم أفهم ذلك أبدًا. لم أفهم رغبته في كسر ذلك الصبي. لقد عذَّبه بألف طريقةٍ مختلفة، ولكن عندما اكتشف باريس عُمق العلاقة العاطفية بين آرون وإيلا، استخدمها لدفع ذلك الصبيِّ إلى الجنون تقريبًا.

أقول متذكرًا ما أخبرَتْني به جولييت (إيلا) سابقًا بعد قصف أوميجا بوينت: هذا هو السبب في أنه أطلق النار عليها، أراد أندرسون قتلَها لتلقين وارنر درسًا. أليس كذلك؟

يتغير شيءٌ ما في وجه ديلالو. يُحوله، يتهدّل. ثم يضحك.. ضحكة حزينة ومكسورة: أنت لا تفهم، أنت لا تفهم، أنت لا تفهم.. (يصيح وهو يهز رأسه) تظن أن هذه الأحداث الأخيرة هي كل شيء. تعتقد أن آرون وقع في حُب صديقتك لعدة أشهر، فتاة مُتمردة تدعى جولييت. أنت لا تعرف. أنت لا تعرف. أنت لا تعرف أن آرون كان مُغرمًا بإيلا لجزءٍ كبير من حياته. لقد عرفا بعضهما البعض منذ الطفولة.

يُصدر آدم صوتًا. صوتًا مذهولًا غير مُصدِّق.

يقول إيان: حسنًا، يجب أن أكون صادقًا.. أنا لا أفهم ذلك. (يلقي نظرة حذرة على نظيرة قبل أن يتابع) قالت نظيرة إن أندرسون كان يمحو ذكرياتهما. إذا كان ذلك صحيحًا؛ فكيف يمكن أن يكون وارنر مغرمًا بها لفترة طويلة؟ لماذا يمحو أندرسون ذكرياتهما ويُخبرهما بكل شيءٍ عن كيفية معرفتهما ببعضهما البعض، ثم يمحو ذكرياتهما مرة أخرى؟

يهز ديلالو رأسه. ابتسامة غريبة تظهر على وجهه، مُهتزة ومرعبة، لا تبدو كابتسامة على الإطلاق: لا لا. أنت لا تفهم.. (يتنهّد مبعدًا نظره) باريس لم يُخبر أيًّا منهما أبدًا عن تاريخهما المشترك. السبب في أنه اضطُر إلى الاستمرار في محو ذكرياتهما هو أنه، بصرف النظر عن عدد المرات التي أعاد فيها ضبط القصة أو أعاد تقديمها؛ فإن آرون كان دائمًا يقع في حُبها. في كل مرة.

في البداية ظن باريس أنها ضربة حظ. لقد وجد الأمر مضحكًا تقريبًا. مُسليًّا. لكن كلما حدث ذلك أكثر، دفع الأمر بارس إلى الجنون. لقد ظنَّ أن هناك خطبًا ما في آرون.. أن هناك خطبًا ما فيه على المستوى الجيني، وأنه مُصاب بمرض. أراد أن يسحق ما ظنَّ أنه ضعف.

يقول آدم وهو يرفع يدَيه: انتظر، ماذا تقصد، كلما حدث ذلك أكثر؟ كم مرة *حدث ذلك*؟

-عدة مرات على الأقل.

آدم يبدو مصدومًا بشدة: لقد التقَيا ووقَعا في الحب عدة مرات؟

يأخذ ديلالو نفَسًا مُتقطعًا: لا أعلم أنهما كانا يقعان دائمًا في الحُب بالضبط. نادرًا ما تركهما باريس يقضِيان الكثير من الوقت بمُفردهما. لكنهما كانا دائمًا ينجذبان إلى بعضهما. كان الأمر واضحًا، في كل مرة يضعهما في نفس الغرفة.. كانوا مثل (يصفق ديلالو بيدَيه) مغناطيس.

يهز ديلالو رأسه تجاه آدم.

-أنا آسف لأكون من يُخبرك بكل هذا. أنا متأكد من أنه من المؤلم سماع ذلك، خاصة بالنظر إلى تاريخك مع إيلا. ليس من العدل أن تُجَرَّ إلى ألعاب باريس. لم يكن ينبغي له أبدًا أن يفعل ذلك...

يقول آدم مذهولًا: واو.. واو.. انتظر. ما هي الألعاب؟ عن ماذا تتحدث؟

يمسح ديلالو جبهته المُبللة بالعرق. يبدو وكأنه يذوب ويتفتَّت تحت الضغط. ربما يجب على أحدهم أن يأتيه ببعض الماء.

يقول ديلالو بضعف: هناك الكثير. هناك الكثير لأُخبرك به. هناك الكثير لأشرحه. (يهز رأسه) أنا آسف، أنا...

يقول آدم وعيناه تشتعلان: أحتاج منك أن تحاول. هل تقول إن علاقتنا كانت مزيفة؟ أن كلَّ ما قالته.. كل ما شعرت به كان مزيفًا؟

يرد ديلالو بسرعةٍ وهو يستخدِم كُمَّ قميصه لمسح العرق من وجهه: لا.. لا. على حدٍّ علمي كانت مشاعرها تجاهك حقيقية بقدْر أي شيءٍ آخر. لقد دخلتَ إلى حياتها في وقتٍ صعب بشكل خاص، ولا شك أن لُطفك وحنانك قد عادا عليهما بالكثير. (يتنهّد) أنا فقط أقصد أنه لم يكن من قبيل المصادفة أن وقع ولَدا باريس في حُب نفس الفتاة. لقد أحبَّ باريس العبث بالأشياء. كان يُحب تشريح الأشياء لدراستها. لقد أحب التجارب. وقد حرّضكما باريس أنت ووارنر ضد بعضكما البعض عن *قصد*.

يقول ديلالو: لقد زرع جنديًّا على طاولة غدائك ليُفشي حقيقة أن وارنر يُراقب فتاة ذات لمسةٍ مُميتة. كما أرسل جنديًّا آخر للتحدّث معك، ليسألك عن تاريخك معها، لجذب غريزة الحماية عندك من خلال مناقشة خُطط آرون تجاهها.. هل تتذكر؟ لقد تم إقناعك – من كل اتجاه – بالتقدم لهذا المنصب. وعندما فعلتَ ذلك؛ سحب باريس طلبك من كومة الأوراق، وشجَّع آرون على مقابلتك. ثم أوضح أنه يجب اختيارك كرفيق زنزانة لها. لقد جعل آرون يظن أنه يتخذ كل قراراته بنفسه بصفته قائد قطاع 45، لكن باريس كان دائمًا هناك يتلاعب بكلِّ شيء. لقد شاهدت ذلك يحدث.

يظهر على آدم صدمة شديدة لدرجة أنه يحتاج إلى لحظةٍ للتحدث: إذن.. كان يعلم؟ هل كان أبي يعرف بشأني دائمًا؟ هل كان يعلم أين كنت.. ماذا كنت أفعل؟

يقطِّب ديلالو جبينه: يعلم؟ باريس هو من *دبر* حياتكما. كانت تلك هي الخطة منذ البداية. (ينظر إلى نظيرة) كان من المُفترَض أن يُصبح جميع أبناء القادة الكبار حالات دراسة. لقد تم هندستكم لتكونوا جنودًا. أنت وجيمس (يقول لآدم) كنتما غير متوقَّعين، لكنه وضع خُططًا لكما أيضًا.

يشحب آدم: ماذا؟ ما هي خطته لي ولجيمس؟

يجيب ديلالو: لا أعلم بصراحة.

يبتعِد آدم عن كُرسيه، ويبدو فجأة مريضًا.

يقول وينستون بحدة: أين إيلا الآن؟ هل تعرف أين يحتفظون بها؟

يهز ديلالو رأسه: كل ما أعرفه أنها لا يمكن أن تكون ميتة.

أسأل: ماذا تقصد بأنها لا يمكن أن تكون ميتة؟ لِمَ لا؟

يقول ديلالو: قوى إيلا وإيمالين ضرورية للنظام. ضرورية لاستمرار كل ما نعمل من أجله. لقد تم بناء إعادة التأسيس بوجود إيلا وإيمالين. بدونهما عملية التصنيع لا تعني شيئًا.

ينتفض كاسل بشكلٍ مستقيم. عيناه واسعتان. يقول بلهفة: عملية التصنيع لها علاقة بإيلا؟

يقول ديلالو: الصانع والمُنفذ.. إنها...

يسقط ديلالو إلى الخلف بصوت شهقةٍ مُفاجئ، يرتطم رأسه بظهر كرسيه. كل شيء فجأة يبدو أنه يتباطأ.

أشعر أن معدل ضربات قلبي يتباطأ. أشعر أن العالَم يتباطأ. أشعر وكأنني مُكوَّن من الماء، أشاهد المشهد يتكشف بحركة بطيئة.. إطارًا تلو الآخر.

رصاصة بين عينَيه.

الدم يتدفَّق على جبهته.

صرخة قصيرة حادة.

يقول أحدهم: يا ابن العاهرة الخائن.

أراه، لكنني لا أُصدقه.

أندرسون هنا.

12

جولييت

لم أُعطِ أي تفسيرات. والدي لا يدعوني لتناول العشاء كما قالت إيفي. لا يجلس معي ليحكي تاريخًا طويلًا عني أو عنه. إنه لا يكشف عن معلومات جديدة عن حياتي أو عن القادة الكبار الآخرين، أو حتى عما يقرُب من الستمائة شخص الذين قتلتهم للتو. يتصرف هو وإيفي وكأن أهوال السنوات السبع عشرة الماضية لم تحدث أبدًا. وكأنه ليس هناك شيء غريب حدث على الإطلاق، وكأنني لم أتوقف أبدًا عن كوني ابنتهما – ليس بالطرق المُهمة على أي حال.

لا أعرف ماذا وضع في تلك الإبرة، لكن التأثيرات لا تُشبه أي شيءٍ شهدتُه من قبل. أشعر باليقظة والنوم، وكأنني أدور في مكاني، وكأن هناك الكثير من الشحوم تُحرك العجلات في ذهني. أحاول التحدث، وأُدرك أن شفتي لم تعُد تتحرك حسب الأوامر.

يحمل والدي جسدي المُخدر إلى غرفةٍ فضية اللون، ويسندني على كرسي. يُقيدني فيغمرني الذُّعر، حارًّا ومرعبًا، يغرق عقلي. أحاول الصراخ وأفشل.

ينفصل عقلي ببطءٍ عن جسدي، كما لو أنني أُبعدت عن نفسي. يبدو أن وظائفي الغريزية الأساسية فقط هي التي تعمل؛ كالبلْع، والتنفس، والبكاء.

تنهمر الدموع بهدوء على وجهي بينما يصفِّرُ والدي لحنًا، حركاته خفيفة وسهلة حتى عندما يحقن شيئًا في وريدي، إنه يتحرك بكفاءة مُذهلة لدرجة أنني لا أدرك أنه نزع قيودي حتى أرى المِشرط. لمعة لونه الفضي، نصله حادٌّ للغاية لدرجة أنه لا يُواجه أي عوائق وهو يقطع خطوطًا نظيفة في ساعديَّ، وينسكب الدم الثقيل والدافئ، من معصمي في راحتيَّ المَفتوحتَين ولا يبدو الأمر حقيقيًّا، ولا حتى عندما يغرس عدة أسلاك كهربائية في لحمي المكشوف. لكن الألَم يصل بعد ثوانٍ من ذلك. ألَم يبدأ عند قدميَّ، ويتمدَّد حتى ساقي، وينتشِر في معدتي، ويشقّ طريقه إلى حلقي لينفجر خلف عينيَّ، وداخل عقلي، وأنا أصرخ، ولكن فقط في ذهني، لا تزال يداي عديمتَيِ الفائدة مُخدَّرتَين فوق ذراعَيِ الكرسي، أوقِنُ أنه سيقلتني..

ولكن بعد ذلك يبتسم.

ويذهب.

أستلقي في عذابي لما يبدو وكأنه ساعات.

أشاهد – من خلال ضباب هذياني – الدم يقطر من أطراف أصابعي، كل قطرة تُغذي البرك القرمزية التي تنمو في ثنايا سروالي. تُهاجمني الرؤى، ذكريات فتاة ربما كنتُها، مشاهد مع أشخاصٍ ربما عرفتهم. أريد أن

أصدق أنها هلوسة، لكن لم يعُد بإمكاني التأكّد من أي شيءٍ بعد الآن. لا أعرف إذا كان ماكس وإيفي يزرعان تلك الأشياء في ذهني. لا أعلم إن كان بإمكاني الوثوق بأي شيءٍ صدقته عن نفسي ذات يوم.

لا أستطيع التوقف عن التفكير في إيمالين.

أنا أنجرف، عالقة في بركة من اللاشعور، لكن شيئًا ما حيالها يجذبني ويثير أعصابي، تيارات شاردة تدفعني إلى سطح شيءٍ ما – كشف عاطفي – ينبثق إلى الوجود ثم يتبخَّر بعد ثوانٍ كما لو أنه مرعوب من الوجود ذاته.

يستمر هذا الشعور، ويستمر، ويستمر.

لسنوات ضوئية.

لدهور.

مجددًا.

ومجددًا.

همسات من الوضوح.

شهقات من أجل الأكسجين

ثم أُرمى مرةً أخرى في البحر.

أضواء بيضاء ساطعة تومِض فوق رأسي، وتطنُّ في انسجامٍ مع الهدير المُنخفِض الثابت للمحركات ووحدات التبريد. كل شيءٍ له رائحة حادة، مثل المُطهر؛ يدوِّخني الغثيان. أُغمض عيني، الأمر الوحيد الذي سيُطيعه جسدي.

أنا وإيمالين في حديقة الحيوان

أنا وإيمالين في أول رحلة على متن طائرة

أنا وإيمالين نتعلم السباحة

أنا وإيمالين نقصُّ شَعرنا.

صور إيمالين تملأ ذهني، لحظات من السنوات الأولى من حياتنا، تفاصيل وجهها التي لم أكن أعلم أنني أستطيع استحضارها. أنا لا أفهم ذلك. لا أعرف من أين أتوا. لا أستطيع إلا تخيُّل أن إيفي وضعت هذه الصور هنا، لكن لماذا تريد إيفي أن أرى هذا؟ لا أفهم.

تدور المشاهد في رأسي وكأنني أقلِّب في ألبوم صور، وتجعلني أفتقِد أختي. تجعلني أتذكَّر إيفي كأمٍّ. تجعلني أتذكر أنه كان لدي عائلة.

ربما تُريدني إيفي أن أتذكّر.

يصل دمي إلى الأرض، أسمع التنقيط المألوف، صوته مثل صنبور مكسور، ينقط ببطء..

ينقط..

وينقط..

السائل الفاتر على البلاط.

أنا وإيمالين نُمسك أيدينا في كل الأماكن التي ذهبنا إليها، وكثيرًا ما كنا نرتدي ملابس متطابقة. كان لدَينا نفس الشَّعر البُني الطويل، لكن عينَيها كانتا زرقاوَين خالصتَين، وكانت أطول منِّي ببضع بوصات. لم يفصل بيننا سوى عامٍ واحد، لكنها بدت أكبر سنًّا. وحتى ذلك الحين، كان هناك شيءٌ في عينَيها يبدو قويًّا وجادًا. كانت تمسك بيدي وكأنها تُحاول حمايتي. ربما كانت تعرف أكثر مما كنتُ أعرفه.

أين أنت؟ أتساءل. *ماذا فعلوا بك؟*

ليس لديَّ أي فكرة أين أنا. ولا فكرة لديَّ عما فعلوه بي. لا فكرة عن الساعة أو اليوم، وقروح الألم في كلِّ مكان. أشعر وكأنني سلك حي، وكأن أعصابي قد تم تدبيسها خارج جسدي، حسَّاسة لكل تغيّر دقيق من حولي. أزفر فأشعر بالألم، أرتعش فتنحبِس أنفاسي.

ثم في حركةٍ سريعة تعود أمي. ينفتح الباب وتدفع الحركة هواءً لطيفًا إلى الغرفة. نسيمًا خفيفًا، لطيفًا حتى وهو يمسُّ بشرتي، وبطريقةٍ ما يُصبح الإحساس لا يُطاق، وأشعر وكأنني على وشك الصراخ.

لكني لا أفعل.

تقول: هل تشعُرين بتحسّن؟

إيفي تحمل صندوقًا فضيًّا، أحاول النظر عن كثبٍ ولكن أشعر بالألَم في عيني الآن. يَحرقني.

تقول بهدوء: لا بدَّ أنكِ تتساءلين عن سبب وجودك هنا.

أسمعها تعمل على شيءٍ ما، صوت زجاج ومعدن يتلامسان معًا، ثم يتفكَّكان، ثم يتلامسان معًا.. يتفكَّكان.

-ولكن عليك أن تتحلى بالصبر يا عصفورتي، ربما لا تتمكني من البقاء.

أغمض عيني. أشعر بأصابعها الباردة والنحيلة على وجهي قبل ثوانٍ فقط من سحب جفني إلى لأعلى. وبسرعة، تستبدل أصابعها بمشابك فولاذية حادة، ولم أتمكن إلا من إطلاق صوت خافت من الألم.

-أبقِي عينَيك مفتوحتَين يا إيلا. الآن ليس الوقت المناسب للنوم.

وحتى حينها - في تلك اللحظة المؤلِمة والمرعبة - تبدو الكلمات مألوفة. غريبة ومألوفة. لا يمكنني معرفة السبب.

-قبل أن نضع أي خططٍ ملموسة لإبقائكِ هنا، أريد أن أتأكد (تسحب زوجًا من القفازات المطاطية) أنكِ لا تزالين قادرةً على الحياة. انظري كيف صمدتِ بعد كل هذه السنوات.

كلماتها تُرسل موجاتٍ من الرهبة تسري في داخلي.

لم يتغير شيء.

لم يتغير شيء.

وما زلت لستُ أكثر من مجرد حاوية. جسدي يُقايض.. يُقايض مقابل ماذا؟

أُمي لا تحمِل لي أي قدْرٍ من الحب.

ماذا فعلتِ بأختي؟

«أين إيمالين؟» أحاول الصراخ لكن الكلمات لا تخرج من فمي. تنتشر في رأسي.. متفجرةً وغاضبة. تضغط على حواف ذهني حتى عندما ترفض شفتاي طاعتي.

الموت.

تخطر لي الكلمة فجأة، وكأنها شيءٌ تذكرته للتو، جواب سؤال نسيت أنه موجود.

لا أدركه.

إيفي تقف أمامي مرة أخرى. تلمس شعري، تُدقق في الخصلات القصيرة الخشنة كما لو كانت تبحث عن الذهب. الاتصال الجسدي مؤلِم.

تقول: غير مقبول. هذا غير مقبول.

تستدير بعيدًا، وتدون ملاحظات على جهازٍ لوحي تسحبه من معطف المختبر الخاص بها. تمسك بذقني في يدها، وترفع وجهي نحو وجهها. إيفي تحسب أسناني.

تمرّر طرف إصبعٍ واحدة على طول لثتي. إنها تتفحص باطن خدي، والجانب السّفلي من لساني.

تنزع القفازات برضا، ليُصدر المطاط أصواتًا عالية تتردَّد أصداؤها حولي مخترقة الخواء.

خرخرة ميكانيكية تملأ أذني وأدرك أن إيفي تعدل كرسييي. لقد كنتُ في السابق في وضعية جلوس، والآن أنا مُستلقية على ظهري. تأخذ مقصًّا وتقصُّ بشكل مستقيم سروالي وقميصي وأكمامي.

يُهدد الخوف بتمزيق صدري، لكنني استلقي هناك، كالمشلولة بينما تُجردني من ملابسي. وأخيرًا تتراجع إيفي.

لا أستطيع رؤية ما يحدث. همهمة المحرك تتحول إلى هدير. يبدو مثل المقص، يقطع الهواء.

وبعد ذلك: ألمح ألواحًا من الزجاج في ركن رؤيتي، تتحرك نحوي من كلِّ جانب. تنغلق بإحكامٍ شديد، تتلامس أطرافها وتقفل مُصدرةً صوتَ *تكة* إحكامِ الإغلاق.

أنا أُحرق حية. حرارة لم أعرِفها من قبل، نار لا أستطيع رؤيتها أو إيقافها. لا أعرف كيف يحدث ذلك ولكني أشعر بها. *أشمُّها*. رائحة اللحم المُتفحم تملأ أنفي، وتهدد بقلب محتويات معدتي. تُزال الطبقة العُليا من جلدي ببطء. حبَّات الدم على جسدي مثل ندى الصباح، وبخارٌ خفيف يتبع الحرارة والتطهير والتبريد مُشكِّلًا ضبابًا على الزجاج من حولي، وعندما أظن أنني قد أموت من الألَم، ينفتح الزجاج مصدرًا أزيزًا.

أتمنَّى لو فقط تقتلني.

بدلًا من ذلك، إيفي دقيقة. تُفهرس كل تفاصيلي الجسدية، وتدون الملاحظات باستمرار، على جهازها اللوحي الكمبيوتر. تبدو مُحبطة من تقييمها في أغلب الأوقات. وتقول إن ذراعيَّ وساقيَّ ضعيفتان للغاية.

أكتافي متوترة جدًّا، وشعري قصير جدًّا، ويديَّ متضررتان جدًّا، وأظافري متكسرة جدًّا، وشفتاي متشقّقتان جدًّا، وجذعي طويل جدًّا. قالت وهي تهزُّ رأسها أمام جسدي العاري: لقد جعلناك جميلة للغاية.

تنكز فخذي، وباطن قدمي: الجمال يُمكن أن يكون سلاحًا مُرعبًا إذا عرفتِ كيفية استخدامه. لكن كل هذا يبدو غير ضروري على الإطلاق الآن.

تدون ملاحظة أخرى.

عندما تنظر إليَّ مرة أخرى، تبدو مُفكرة. تقول: لقد أعطيتك هذا. هل تفهمين؟ هذا الوعاء الذي تعيشين فيه. لقد نمَّيْتُهُ وشكلتُهُ. أنتِ تنتمين لي. حياتكِ ملكٌ لي. من المهم جدًّا أن تفهمي ذلك.

الغضب، حادٌّ وساخن، يحرِق صدري.

تفتح إيفي الصندوق الفضي بحذر. يوجد بالداخل عشرات من القوارير الزجاجية الرفيعة.

-هل تعرفين ما هذه؟

تقول وهي ترفع بضع قوارير من السائل الأبيض المُتلألئ: بالطبع لا تعرفين.

تتفحصني إيفي لبعض الوقت. وتقول أخيرًا: لقد أخطأنا في المرة الأولى. لم نتوقَّع أن تحل العاطفة محل الصحّة البدنية بهذه الطريقة الدرامية. لقد توقَّعنا عقولًا أقوى منكما. (تتردَّد إيفي) بالطبع لقد كانت العينة المُتفوقة – أختك – متفوقة بلا حدود. لقد كنتِ دائمًا طفلة ساذجة، مزاجية أكثر مما كنتُ أرغب فيه. من ناحية أخرى، كانت إيمالين مليئةً بالحياة، لم نظن أبدًا أنها ستتدهور بهذه السرعة. لقد كانت إخفاقاتها بمثابة خيبة أملٍ شخصية كبيرة.

أتنفّس بحدة، ثم أختنق بشيءٍ ساخن ورطب في حلقي. دماء.. الكثير من الدماء.

تقول إيفي مُتنهِّدة: ومع ذلك هذا هو الوضع، يجب أن نكون قادرين على التكيُّف مع ما هو غير متوقَّع. التعامُل مع التغييرات عند الضرورة.

تضغط إيفي على المفتاح ويُسيطر شيءٌ ما عليّ. أشعر بعمودي الفقري يستقيم، وفكِّي يرتخي. الدم يحتدم في حلقي، ولا أعرف هل أتركه أم أبتلِعه. أسعل بعنف، ويتناثر الدم على وجهي، وذراعي. يقطر على صدري، وبشرتي الوردية الجديدة.

تنحني أُمي، تأخذ ذقني في يدِها وتُجبرني على النظر إليها. تقول بنعومة: أنت مُمتلئة بالعاطفة. أنت تشعرين بالكثير تجاه هذا العالم. أنت تُسمِّين الناس أصدقاءك. تتخيَّلين نفسك واقعة في الحب. (تهز رأسها ببطء) لم تكن تلك خُطتنا لك يا عصفورتي. لقد كان من المفترض أن تعيشي وحدك. لقد وضعناك في عزلةٍ عن قصد. (ترفُّ بجفنَيها) هل تفهمين؟

أنا بالكاد أتنفّس. أشعر أن لساني خشن وثقيل، غريب في فمي. أبتلع دمي، مذاقه مُقزز، سميك وفاتر، هلامي بسبب اللعاب.

تقول: لو كان آرون ابنًا لأي شخصٍ آخر، لكنتُ قد أعدمته. كنتُ سأعدمه الآن لو استطعت. لسوء الحظ أنا وحدي لا أملك السلطة.

شعور قوي يسيطر على جسدي، نصف مرعوبة ونصف سعيدة، لم أكن أعرف أن لديَّ أي أملٍ في أن يكون وارنر على قيد الحياة حتى هذه اللحظة. إنه شعور عظيم.

إنه يمد جذوره في داخلي، يشعل الأمل في دمي، شعور أقوى من هذه المخدرات، أقوى مني. أتشبَّث به من كل قلبي، وفجأة أستطيع أن أشعر بيدي. لا أعرف لماذا أو كيف، لكني أشعر بقوة هادئة تتصاعد في عمودي الفقري.

إيفي لا تلاحظ ذلك.

تقول: أنا نادمة على أخطائنا. آسفة على الإغفالات التي تبدو واضحةً جدًّا الآن. لم يكن بوسعنا أن نعرف منذ سنواتٍ عديدة أن الأمور ستنتهي على هذا النحو. لم نتوقع أن نتفاجأ بشيءٍ واهٍ مثل عواطفك. لم يكن بإمكاننا أن نعرف منذ البداية أن الأمور ستتصاعد إلى هذا الحد. لقد أقنع باريس الجميع بأن إحضارك إلى القاعدة في القطاع 45 سيكون مفيدًا لنا جميعًا، وأنه سيكون قادرًا على مُراقبتك في بيئة جديدة مليئة بالتجارب التي من شأنها تحفيز قدراتك على التطوُّر. ظننا أنا ووالدك أنها خطة غبية، والأغبى من ذلك هو وضعك تحت الإشراف المباشر لصبيٍّ يبلغ من العمر تسعة عشر عامًا كان تاريخك معه.. معقدًا! (تنظر بعيدًا وتهز رأسها) لكن أندرسون حقق النتائج. لقد أحرزتِ مع آرون تقدمًا بمعدل لم نكن نحلم به، واضطررنا إلى السماح بذلك، لكن – لا يزال – الأمر جاء بنتائج عكسية.

تتركز نظراتها للحظةٍ على رأسي الحليق.

–هناك عدد قليل من الناس – حتى في دائرتنا الداخلية – الذين يفهمون حقًّا ما نقوم به هنا. والدك يفهم. إبراهيم يفهم. لكن باريس – لأسباب أمنية – لم يتم إخباره بكل شيءٍ عنك. لم يكن بعدُ قائدًا أعلى عندما أعطيناه الوظيفة، وقرَّرنا أن نُبقيه على اطِّلاع على أساس الحاجة إلى المعرفة. وهذا خطأ آخر.

تقول إيفي، بصوتٍ حزين ومرعوب في الوقت نفسه.

تضغط بظهر يدها على جبهتها: ستة أشهر وكل شيء انهار! أنت تهربين، تنضمِّين إلى عصابة سخيفة. تَجُرِّين آرون إلى كل هذا، ويحاول باريس – الأحمق الغافل – قتلك.. مرتَين! كدتُ أن أقطع حنجرته بسبب حماقته، لكن رحمتي ربما كانت بلا جدوى، مع محاولتك قتله... أوه يا إيلا، (تتنهّد) قد سببتِ لي الكثير من المتاعب هذا العام. التقارير وحدَها التي كان عليَّ ملؤها!..! (تغلق عينَيها) لقد كنتُ أعاني من نفس الصداع لمدة ستة أشهر.

تفتح عينَيها. تنظر إليَّ لفترة طويلة.

تقول وهي تُشير إليَّ بالجهاز اللوحي في يدها: والآن.. هذا هو الأمر.. يجب استبدال إيمالين، ولسنا متأكدين حتى من أنك بديلٌ مناسب. جسمك يعمل بكفاءة قد تصل إلى خمسةٍ وستين بالمائة، وعقلك كارثة

كاملة. (تتوقف للحظة، وينبض الوريد في جبهتها) ربما يكون من المُستحيل عليك أن تفهمي ما أشعر به الآن. ربما لا يهمك أن تعرفي عمق خيبات أملي. لكن أنت وإيمالين عمَل حياتي. لقد كنت أنا من وجَدَ طريقة لعزل الجين الذي كان يسبب تحولات واسعة النطاق بين السكان. لقد كنتُ الشخص الذي تمكَّن من إعادة إنشاء التحول. لقد كنت الشخص الذي أعاد كتابة شفرتك الجينية.

تعبس، وتبدو للمرة الأولى كشخصٍ حقيقي. صوتها يخفت: لقد أعدتُ تشكيلك يا إيلا. أنت وأختك كنتما أعظم الإنجازات في مَسيرتي المهنية. (تهمس ملامسةً وجهي بأطراف أصابعها) إخفاقاتك هي إخفاقاتي.

أُصدر صوتًا قاسيًا غير إرادي.

تقف: هذا سيكون غير مريح بالنسبة لك. ولن أتظاهر بخلاف ذلك. لكن أخشى أنه ليس لدينا خيار. إذا كان هذا سينجح، سأحتاج منك أن تتمتعي بمساحة رأسٍ صحية وغير ملوثة. علينا أن نبدأ من جديد. عندما ننتهي، لن تتذكَّري أي شيءٍ سوى ما أقول لك أن تتذكَّريه. هل تفهمين؟

يخفق قلبي وأسمع دقاته الجامحة وغير المُنتظمة تتضخَّم على شاشة قريبة. يتردَّد صدى الأصوات في جميع أنحاء الغرفة مثل صفارة الإنذار.

تقول إيفي بحدة: درجة حرارتك ترتفع. ليست هناك حاجة للذُّعر. هذا هو الخيار الرحيم. لا يزال باريس يُطالب بقتلك بعد كل شيء. لكن باريس (تتردد) بارس يمكن أن يصبح دراميًّا. لقد عرفنا جميعًا مدى كرهه لك بسبب تأثيرك على آرون. إنه يلومك، كما تعلمين. (تُميل إيفي رأسها) إنه يظنُّ أنك جزءٌ من سبب ضعف آرون. بصراحة.. أحيانًا أتساءل عما إذا كان على حق.

قلبي ينبض بسرعة كبيرة الآن. أشعر بأن رئتيَّ جاهزتان للانفجار. الأضواء الساطعة فوق رأسي تنزف في عينيَّ.. في عقلي...

-والآن... سأقوم بتنزيل هذه المعلومات مباشرة في عقلك (أسمعها تنقر على الصندوق الفضي) هناك الكثير من البيانات التي يجب معالجتها، وسيحتاج جسمك إلى بعض الوقت لقبولها كلها. (تسكت قليلًا) قد يحاول عقلك رفض ذلك، لكن الأمر بيدَيك بإمكانك ترك الأمور تأخذ مجراها، هل تفهمين؟ لا نريد المخاطرة بربط الماضي بالحاضر. إنه أمر مؤلِم فقط في الساعات القليلة الأولى، ولكن إذا تمكَّنتِ من النجاة في تلك الساعات الأولى، فسوف تبدأ مُستقبِلات الألم لديكِ بالفشل، ويجب تحميل بقية البيانات دون وقوع أي مشاكل.

أريد الصراخ.

بدلًا من ذلك أطلق صوتًا ضعيفًا ومخنوقًا. تنهمر الدموع بسرعةٍ على خديَّ، تقف أُمي هناك، وأصابعها صغيرة وغريبة على وجهي، وأرى، لكن لا أستطيع أن أشعر، الإبرة الضخمة التي تدخل في اللحم الناعم

في صدغي. إنها تُفرغ المِحقنة وتعيد ملْأها بما يُشبه ألف مرة، وفي كل مرة يبدو الأمر وكأنني مغمورة تحت الماء، وكأنني أغرق ببطء، أختنق مرارًا وتكرارًا ولا يُسمح لي بالموت أبدًا.

أستلقي هناك، عاجزة وصامتة، عالقة في عذاب مؤلِم لدرجة أنني لم أعد أتنفّس، بل أنفاسي تتسارع في حلقي، بينما تنحني فوقي لتُشاهدني.

تقول بنعومة: أنت على حق، ربما هذا قاسٍ. ربما كان من الأفضل أن أتركك تموتين ببساطة. ولكن هذا لا يتعلق بك يا إيلا. هذا عني. (تقول وهي تمسح على شعري) والآن، هذا ما أحتاجه.

13

كينجي

يحدث كل شيء بسرعة كبيرة لدرجة أن الأمر يستغرق مني ثانية لأفهم ما حدث بالضبط.

ديلالو مات. مات ديلالو وأندرسون على قيد الحياة. عاد أندرسون من الموتى.

أعني.. إنه الآن مُلقًى على الأرض، مدفون تحت وطأة كل قطعة أثاث في هذه الغرفة. يُحدق كاسل باهتمامٍ من الجانب الآخر، وعندما أسمع أندرسون يلهث، أُدرك أن كاسل لا يُحاول قتله؛ إنه يستخدم الأثاث فقطً لاحتوائه.

أقترب قليلًا من الحشد الذي يتشكَّل حول جثة أندرسون. ثم أُلاحظ في البداية أن آدم ملتصق بالحائط مثل تمثال، وجهه مشلول من الرعب.

قلبي ينفطر لأجله.

أنا سعيد للغاية لأن آدم جرَّ جيمس إلى الفراش قبل ساعات. أنا سعيد للغاية لأن هذا الطفل لن يُضطر إلى رؤية أي من هذا الآن.

يشقّ كاسل طريقه أخيرًا عبر الغرفة. يقف على بُعد أقدامٍ قليلة من جسد أندرسون المُستلقي عندما يسأل السؤال الذي يدور في أذهاننا جميعًا...

يقول كاسل: كيف أنك لا تزال على قيد الحياة؟

يُحاول أندرسون الابتسام. تظهر ابتسامته مُلتوية.. مجنونة: أتعرِفُ ما أفضلُ شيءٍ بك يا كاسل؟

يقول اسم كاسل وكأنه مُضحك، وكأنه يقوله بصوتٍ عالٍ للمرة الأولى. يأخذ نفسًا عميقًا ومتقطعًا: أنت مُتوقَّع للغاية. تُحب أن تجمع المُشردين. أنت تُحب القصص المُبكية.

يشهق أندرسون شهيقًا مفاجئًا وخشنًا، وأُدرك أن كاسل ربما زاد الضغط. عندما يلتقط أندرسون أنفاسه يقول: أنت أحمق. أنت أحمق لأنك تثق بسهولة.

شهيق قاسٍ ومؤلِم آخر.

يقول وهو يكافح للكلام الآن: من تظنُّ أنه جاء بي إلى هنا؟ من تظن أطلعني (شهيق مرهق آخر) على كل شيءٍ كنتَ تناقشه؟

أتجمَّد.

شعور فظيع ومُثير للغثيان يجتاح صدري.

نستدير جميعًا كفريقٍ واحد لنواجِه نظيرة. تقف منفصلةً عن الجميع، كتجسيدٍ للهدوء، تأثيرها حاد، وجهها خالٍ من التعابير، تنظر إليَّ وكأنني قد أكون جدارًا.

لجزء من الثانية أشعر بدوارٍ شديدٍ لدرجة أنني أظن أنني قد أفقد الوعي.

أمنِّي نفسي.

هذا هو الأمر.. هذا ما يفعله بنا. غرفة مليئة بأناسٍ أقوياء للغاية ومع ذلك في هذه اللحظة.. هذه اللحظة الوجيزة من الصدمة هي التي تُدمرنا جميعًا. أشعر بالإبرة في رقبتي قبل أن أفهم ما يحدُث، ولا أملك سوى ثوانٍ قليلة لأتفحَّص الغرفة مُلقيًا نظرة على الخوف في وجوه أصدقائي قبل أن أسقط.

14

وارنر

أجلس في مكتبي، أستمع إلى أسطوانة قديمة، عندما يتلقى هاتفي اتصالًا يقطع وحدتي. أشعر بالقلق في البداية من أن تكون لينا.. تتوسل إليّ للعودة إليها. لكن سرعان ما تنطفئ هذه الفكرة، ليحلّ محلها موجة من الكراهية عندما أتعرف على الصوت على الطرف الآخر من الخط: والدي. يريدني أن أنزل إلى الطابق السفلي.

صوته وحدَه يشعل عاصفة من المشاعر بداخلي. تستغرق دقيقة كاملة لاستعادة السيطرة عليها.

عامان. عامان قضيتهما في التحول إلى الوحش الذي أرادني أن أكون عليه دائمًا. ألقي نظرة خاطفة في المرآة، ويكتنفني شعور جديد عميق بالاشمئزاز. كل صباح، أستقبل اليوم بتطلّع وحيد هو إنهاؤه، والهروب من هذا الوجود، هذه الأيام.

كان يعلم تمامًا ما كان يطلبه مني عندما عقد تلك الصفقة. لكنني لم أعرف. كنت في السادسة عشرة من عمري، ما زلت صغيرًا بما يكفي لأومن بالأمل، وقد استغل سذاجتي، لقد علم ما سيفعله بي الأمر، لقد علم أنه سيكسرني، وكان هذا كل ما أراده.

روحي.

بعته روحي مقابل بضع سنوات مع أمي، والآن، بعد كل شيء، لا أعلم حتى ما إذا كان الأمر يستحق ذلك. لا أعلم ما إذا كنت سأستطيع إنقاذها. لقد ابتعدت كثيرًا. لقد فاتني الكثير. أمي في حالة أسوأ بكثير الآن، ولم يستطع أي طبيب مساعدتها. لم ينفع أي شيء. كانت جهودي أسوأ من كونها بلا جدوى. تنازلت عن كل شيء لأجل لا شيء.

أتمنى لو كنت أعلم كيف كان هذان العامان سيغيرانني. أتمنى لو كنت أعلم مدى صعوبة العيش مع نفسي، والنظر في المرآة. لم يُحذرني أحد من الكوابيس أو نوبات الهلع أو الأفكار المظلمة المدمرة التي ستتبع ذلك. لم يوضح لي أحد ما يفعله الظلام، وكيف يلتهم نفسه أو كيف يتفاقم. بالكاد أتعرف على نفسي هذه الأيام. لقد دمر تحولي إلى أداة تعذيب ما تبقى من عقلي. والآن، هذا: أشعر بالفراغ طوال الوقت. أجوف.

لا يمكن إصلاحي.

لم أرغب في العودة إلى هنا. أردتُ المشي مباشرة إلى المحيط. أردت أن أتلاشى في الأفق. أردت أن أختفي.

بالطبع، لن يسمح بذلك أبدًا.

جرني إلى هنا وأعطاني لقبًا. لقد كُوفئت على كوني حيوانًا. احتُفِل بجهودي كوحش. بصرف النظر عن حقيقة أنني أستيقظ في منتصف كل ليلةٍ مخنوقًا بمخاوف غير منطقية ورغبة مفاجئة وقوية لقلب محتويات معدتي.

بصرف النظر عن أنني لا أستطيع إخراج هذه الصور من رأسي.

أُلقي نظرة على الزجاجة الباهظة الثمن من البوربون التي تركها لي والدي في غرفتي وأشعر بالاشمئزاز فجأة. لا أريد أن أكون مثله. لا أريد مسكنه، شكله المفضل من النسيان.

على الأقل قريبًا سيختفي والدي. في أي يوم الآن سيختفي، وسيصبح هذا القطاع لي. سأكون أخيرًا بمفردي.

أو شيئًا قريبًا من ذلك.

على مضض أرتدي سترتي الرياضية وأنزل بالمصعد.

عندما أصل أخيرًا إلى مقرّه بناءً على طلبه، لم يمنحني سوى نظرة خاطفة.

يقول: جيد. لقد أتيت.

لا أقول شيئًا.

يبتسم. أين أخلاقك؟ ألن تُحييّ ضيفتنا؟

بإحباط، أتتبع بصره. هناك شابة تجلس على كرسي في الزاوية المقابلة للغرفة ـ وفي البداية ـ لا أتعرّف عليها.

وعندما أفعل؛ يهرب الدم من وجهي.

يضحك والدي: تتذكران بعضكما البعض، أليس كذلك؟

كانت تجلس بهدوء شديد، ساكنة وصغيرة لدرجة أنني كدتُ ألا ألاحظها على الإطلاق. يقفز قلبي الميت لرؤية جسدها النحيل، شرارة من الحياة تحاول يائسة الاشتعال.

أهمس: جولييت.

آخر ذكرى لي عنها كانت منذ عامين، قبل مغادرتي المنزل مباشرة لأداء مهمة والدي المريضة والسادية. لقد انتزعها مني. حرفيًا أخذها من بين ذراعيّ. لم أرَ قط هذا النوع من الغضب في عينَيه، ليس هكذا، ليس على شخصٍ بريء كهذا.

لكنه كان متوحشًا.

لقد جنَّ جنونه.

لم نفعل أنا وهي شيئًا أكثر من مجرد التحدث مع بعضنا البعض. بدأت أتسلل إلى غرفتها كلما سنحت لي الفرصة، وتلاعبت ببث الكاميرات لمنحنا بعض الخصوصية. كنا نتحدث.. في بعض الأحيان لساعات. لقد أصبحت صديقتي.

لم ألمسها أبدًا.

قالت إنه بعد ما حدث مع الصبي الصغير، كانت تخاف لمس أي شخص. قالت إنها لا تفهم ما يحدث لها ولم تعد تثق بنفسها بعد الآن. سألتها عما إذا كانت تريد أن تلمسني، لتختبر الأمر وترى ما إذا كان سيحدث أي شيء، وبدا عليها الخوف وقلت لها لا تقلقي. وعَدْتُ أن كل شيء سيكون على ما يرام. وعندما أخذت يدها ـ بتردد في انتظار الكارثة...

لم يحدث شيء.

لم يحدث شيء سوى أنها انهارت في البكاء. ألقت بنفسها بين ذراعيّ وبكت وأخبرتني أنها كانت خائفة من وجود خطبٍ ما بها، وأنها تحولت إلى وحش. كان لدينا شهر واحد فقط، في المُجمل، ولكن كان هناك شيء فيها شعرت أنه مناسب لي، لقد وثقت بها منذ البداية. شعرت بالألفة كما لو كنت أعرفها دائمًا. لكنني كنت أعلم أيضًا أنها تبدو وكأنها فكرة دراماتيكية؛ لذلك احتفظت بها لنفسي. حكت لي عن حياتها. والدَيها الرهيبين. لقد شاركتني مخاوفها لذلك شاركتها مخاوفي معها، أخبرتها عن والدتي، وكيف لم أكن أعرف ما يحدث لها، كم كنت قلقًا بشأن وفاتها. اهتمت جولييت بي. استمعت لي بطريقة لم يفعلها أحد آخر. كانت أكثر علاقة بريئة مررت بها على الإطلاق، لكنها كانت تعني لي أكثر من أي شيءٍ آخر. لأول مرة منذ سنوات شعرت بأنني أقلُّ وحدة. في اليوم الذي اكتشفت فيه أنها ستُنقل، اقتربت منها، ضغطت وجهي فوق شعرها واستنشقت رائحتها وبكت. أخبرتني أنها كانت خائفة ووعدتُ بأنني سأحاول فعل شيء.. وعَدت أن أتحدث إلى والدي على الرغم من أنني كنت أعلم أنه لن يهتم، ثم فجأة.. أتى.

جرّها بعنفٍ من بين ذراعي، ثم لاحظت حينها أنه يرتدي قفازات. صرخ: ماذا تفعل بحق الجحيم؟ هل فقدت عقلك؟ هل فقدت نفسك تمامًا؟

قلت بفزع: أبي، لم يحدث شيء. كنت فقط أودِّعها.

اتسعت عيناه، ممتلئتين بالصدمة. وعندما تحدث كانت كلماته هامسة: كنت فقط.. كنت تودعها؟

قلت بغباء: إنها تغادر.

-هل تعتقد أنني لا أعرف ذلك؟

ابتلعت ريقي بصعوبة.

قال مُمَرّرًا يدَه على فمه: يا يسوع المسيح! منذ متى وأنت تفعل ذلك؟ منذ متى وأنت تنزل إلى هنا؟

دق قلبي بسرعة. ونبض الخوف من خلالي. هززتُ رأسي غير قادر على الكلام.

سألني والدي آمرًا وعيناه مشتعلتان: ماذا فعلت؟ هل لمستها؟

اندفع الغضب بداخلي، معيدًا لي صوتي حتى بينما احمرَّ وجهي من الإحراج: لا، بالطبع لا.

-هل أنت متأكد؟

-أبي.. لماذا أنت (أهزُّ رأسي مرتبكًا).. لا أفهم لماذا أنت مستاء للغاية؟ لقد كنت تدفعني لنظلَّ معًا أنا ولينا لشهور على الرغم من أنني أخبرتك مائة مرة أنني لا أحبها، ولكن الآن.. عندما أفعل حقًّا.. (أتردد ناظرًا إلى جولييت التي يختفي وجهها جزئيًّا خلف والدي) لقد كنت فقط أتعرف عليها. هذا كل شيء.

حدق إلي أبي باشمئزاز: كنت تتعرف عليها فقط؟ من بين كل فتيات العالم تقع في حب هذه الفتاة؟ قاتلة الأطفال التي ستُسجن؟ نتاج تجربة معملية مجنونة؟ ما خطبك؟

-أبي من فضلك، لم يحدث شيء. نحن مجرد أصدقاء. نتحدث فقط في بعض الأحيان.

قال وهو يضحك بصوت مجنون: مجرد أصدقاء. أتعلم ماذا؟ سأتركك تأخذ هذا معك. سأدعك تحتفظ بهذا بينما تكون بعيدًا. دعها تجلس معك. دعها تعلمك درسًا.

-ماذا؟ آخذ ماذا معي؟

صوب نحوي نظرة فتاكة: إنه تحذير، حاول فعل شيءٍ كهذا مرة أخرى، وسأقتلها. وسأتأكد من أنك تشاهد حدوث ذلك.

حدقت إليه، وقلبي يدق بعنف. هذا جنون. لم نفعل أي شيء حتى. كنت أعلم أن والدي ربما سيكون غاضبًا، لكنني لم أفكر أبدًا أنه سيهدد بقتلها. لو كنت أعلم لم أكن لأخاطر بذلك. والآن..

كان رأسي يدور. لم أفهم، لقد جرّها عبر الردهة ولم أفهم ماذا يحدث.

وفجأة صرخت.

صرخت ووقفتُ هناك عاجزًا بينما يجرها بعيدًا. نادته باسمي.. صرخَت لتستدعيني؛ هزّها وطلب منها أن تصمت، وشعرت بشيءٍ يموت بداخلي. شعرت به يحدث. شعرت بشيء ما ينكسر بداخلي وأنا أشاهدها تذهب. لم أكره نفسي قطّ بهذه الطريقة من قبل. لم أكن قطّ أكثر جبنًا.

والآن، ها نحن ذا. أشعر وكأنه مرّ دهرٌ على هذا اليوم. لم أظن أبدًا أنني سأراها مرة أخرى. تتأمّلني جولييت الآن، وتبدو مختلفة. عيناها تلمعان بالدموع. فَقَدَ جلدها لونه، وفقدَ شعرها بريقه. تبدو أنحفَ. تُذكّرني بنفسي.. جوفاء.

أهمس: مرحبًا.

تساقطت الدموع بصمتٍ على وجنتيها. يجب عليّ إجبار نفسي على البقاء هادئًا. يجب أن أجبر نفسي على عدم فقدان عقلي. لقد حذرتني والدتي ـ منذ سنوات ـ أن أخفي قلبي عن والدي، وفي كل مرة كنت أتراجع.. في كل مرة أسمح لنفسي بالأمل أنه قد لا يكون وحشًا؛ عاقبني بلا رحمة. لم أكن لأسمح له أن يفعل ذلك بي مرة أخرى. لم أردْه أن يعرف كم يؤلِمني أن أراها هكذا. كم من المؤلِم الجلوس بجانبها وعدم قول شيء. عدم فعل شيء.

بصعوبة أسأل مندهشًا، وأنا لا أكاد أتعرف على صوتي: ماذا تفعل هنا؟

يقول: إنها هنا لأنني طلبت منهم إحضارها خصيصى لنا.

أقول: إحضارها خصيصى لأجل ماذا؟ لقد قلت..

يهز كتفيه: أعرف ما قلته، ولكني أردت أن أرى هذه اللحظة. لمَّ شملكُما. لقد كنت دائمًا مهتمًا بلمِّ شملِكُما. أجد ديناميكية علاقتكما رائعة.

أنظر إليه، أشعر بالغضب ينفجر في صدري، وبطريقة ما أكتمه: أعدتها إلى هنا فقط لتُعذبني؟

-أنت تبالغ في تقدير نفسك يا ابني.

-إذن لماذا؟

يقول دافعًا كومة من الملفات عبر مكتبه: لدي مهمتك الأولى، أول مهمة حقيقية لك كقائد أعلى ووصي لهذا القطاع.

تفترق شفتاي من المفاجأة: ما علاقتها بهذا؟

تلمع عينا والدي: كل شيء له علاقة بها.

لا أقول شيئًا.

يقول: لدي خطة تتطلب مساعدتك. في هذه الملفات. (يشير إلى كومة الملفات أمامي) كل ما تحتاج إلى معرفته عن مرضها. كل تقرير طبي، كل سجل ورقي. أريدك أن تعيد تأهيل الفتاة. إصلاحها. ثم أريد منك استخدام قدراتها كسلاح لمصلحتنا الخاصة.

ألتقي بعينيه، وأخفق في إخفاء رعب الاقتراح: لماذا؟ لماذا تطلب مني هذا؟ لماذا تطلب مني أن أفعل شيئًا كهذا وأنت تعرف تاريخنا معًا.

-أنت الأنسب للوظيفة. يبدو من الغباء إضاعة وقتي في شرح هذا لك الآن، لأنك لن تتذكر معظم هذه المحادثة غدًا...

أعبس: ماذا؟.. لماذا لن أستطيع...

-لكنكما تظهران وكأنكما تمتلكان نوعًا من الترابط القوي، والذي قد ينمي ـ كما آمل ـ قدراتها على التطور بشكل أكثر اكتمالًا، وبسرعة أكبر.

-هذا لا معنى له.

يتجاهلني. يلقي نظرة على جولييت. عيناها مغمضتان، ورأسها مُستند إلى الحائط خلفها. تبدو نائمة تقريبًا، باستثناء الدموع التي لا تزال تسيل برفق على وجهها. يقتلني مجرد النظر إليها.

يقول والدي: كما ترى، لقد فقدت عقلها قليلًا الآن. مخدرة بشدة. لقد مرت بالكثير خلال العامين الماضيين. لم يكن أمامنا خيار سوى تحويلها إلى نوع من حيوانات التجارب. أنا متأكد أنك تستطيع تخيل كيف تسير الأمور.

يحدق إلى وجهي بابتسامة خفيفة على وجهه. أعلم أنه ينتظر شيئًا. رد فعل. غضبي...

أرفض أن أعطيه إياه.

ابتسامته تزداد اتساعًا، يقول بمرح: على أي حال.. سأعيدها إلى عزلتها لمدة ستة أشهر أخرى، ربما سنة.. حسب تطور الأمور. يمكنك استخدام هذه الفرصة للاستعداد. لمراقبتها.

لكنني ما زلت أكبح غضبي. لا أستطيع أن أُجبر نفسي على الكلام.

يقول: هل هناك مشكلة؟

-لا.

-تتذكر ـ بالطبع ـ التحذير الذي أعطيتك إياه في المرة الأخيرة التي كانت فيها هنا.

أقول بصوت بلا مشاعر كالميت: بالطبع.

ثم يقول بدون مقدمات: بالمناسبة، كيف حال لينا؟ أتمنى أن تكون بخير.

أقول: لا أعرف.

ألاحظ التغيير الطفيف في صوته، الغضب الذي ينطق به عندما يقول: ولمَ لا؟

-لقد أنهيت الأمر بيني وبينها الأسبوع الماضي.

-ولم تفكر في إخباري؟

ألتقي بنظراته أخيرًا: لم أفهم أبدًا لماذا أردتَ أن نكون معًا. إنها لا تصلح لي. لم تكن كذلك أبدًا.

-تعني أنك لا تُحبها؟

-لا يمكنني تخيل كيف يمكن لأي شخصٍ أن يفعل ذلك.

يقول: هذا هو بالضبط سبب كونها مثالية لك.

أرمش بجفني وقد فوجئت. للحظة بدا الأمر تقريبًا وكأن والدي يهتم بي. كما لو أنه يحاول حمايتي بطريقةٍ ملتوية وغبية.

في النهاية يتنهّد..

يلتقط قلمًا ورزمة أوراق ويبدأ في كتابة شيءٍ ما: سأرى ما يمكنني فعله لإصلاح الضرر الذي أحدثته. لا بد أن أمَّ لينا هستيرية الآن. وإلى ذلك الحين ابدأ العمل.

يميل برأسه نحو كومةِ الملفات التي وضعها أمامي.

التقطتُ مجلدًا من أعلى الكومة على مضض.

ألقي نظرة على المستندات، وأطَّلع على الخطوط العريضة العامة للمهمة، ثم أرفع رأسي إليه، مذهولًا: لماذا تجعل الأوراق الرسمية الأمر يبدو وكأن هذه كانت فكرتي؟

يتردد.. يضع قلمه: لأنك لا تثق بي.

حدقت إليه مكافحًا لفهم الأمر.

يحني رأسه: لو كنت تعلم أن هذه كانت فكرتي فلن تثق بها أبدًا، أليس كذلك؟ ستبحث عن الثغرات عن كثب.. المؤامرات. لن تتابع الأمر بالطريقة التي أريدك أن تتابعه بها. بالإضافة إلى ذلك.. (يلتقط قلمه مرة أخرى) إنه كضرب عصفورين بحجر واحد. لقد حان الوقت لكسر الدائرة أخيرًا.

أعيد المجلد إلى الكومة. بحذر أحاول تخفيف نبرة صوتي عندما أقول: ليس لدي أي فكرة عما تتحدث عنه.

يقول ببرود: أتحدث عن تجربتك الجديدة. مأساتك الصغيرة. هذا.. (*يقول مشيرًا إليّ أنا وجولييت*) *هذا يجب أن ينتهي، ومن غير المُرجح أن تبادلك مشاعرك عندما تستيقظ لتكتشف أنك لستَ صديقها بل جلّادها. أليس كذلك؟*

ولا أستطيع بعد ذلك أن أبقي الغضب أو هستيريا خارج صوتي عندما أقول: لماذا تفعل هذا بي؟ لماذا تُعذبني عمدًا؟

-هل من الجنون أن تتخيل أنني ربما أحاول أن أُسديك خدمة؟ (*يبتسم والدي*) *ألقِ نظرةً أكثر على تلك الملفات يا بني. إذا كنت تريد إنقاذ والدتك؛ فقد تكون هذه هي الفرصة.*

أصبحت مهووسًا مع الوقت.

لا يزال بإمكاني فقط التخمين حول المدة التي قضيتها هنا، أحدق إلى هذه الجدران دون راحة. لا أصوات، فقط الأصوات المشوّهة العرضية للكلام البعيد. لا وجوه، ولا شخص واحد ليُخبرني أين أنا أو ما ينتظرني. لقد شاهدت الظلال تطارد الضوء داخل وخارج زنزانتي لأسابيع، وحركاتهم عبر النافذة الصغيرة هي أملي الوحيد في تحديد الأيام.

تُفتح فتحة مستطيلة رفيعة في باب زنزانتي بقوة مفاجئة؛ حيث يدخل منها ما يبدو أنه ضوء اصطناعي على الجانب الآخر.

أُسجل ملاحظة ذهنية.

تُدفع كعكة واحدة ساخنة – بدون صينية، ولا ورق قصدير، ولا أدوات – من خلال الفتحة، ولا تزال ردود فعلي سريعة بما يكفي لأُمسك بها قبل أن تلمس الأرضية القذرة. لديَّ ما يكفي من الفطنة لأفهم أن القليل من الطعام الذي يُعطى لي كل يوم مسموم. ليس بما يكفي لقتلي؛ فقط بما يكفي لإبطائي. تنتابُني رعشات خفيفة، لكنني أُجبر عينيّ على البقاء مفتوحتَين وأنا أدير الكعكة الناعمة في يدي، وأبحث عن معلوماتٍ في طبقتها الخارجية المُتشققة. إنها غير مُميزة.. عادية. قد لا تعني شيئًا.

لا توجَد طريقة للتأكد.

تُنفذ هذه الطقوس مرتين في اليوم بالضبط. يتم إطعامي بكمية قليلة من الطعام لا طعم له مرتَين في اليوم. لساعات في كل مرة تتلعثم أفكاري؛ يسبح عقلي ويهلوس. أنا بطيء. خامل. في معظم الأيام أصوم. لتصفية رأسي، وتطهير جسدي من السم، وجمع المعلومات. يجب أن أجد طريقي للخروج من هنا قبل فوات الأوان. في بعض الليالي – عندما أكون في أضعف حالاتي – يذهب خيالي بعيدًا، يُعاني عقلي من رؤًى مروعة عما كان يمكن أن يحدث لها. إنه تعذيب لا أعرف ما فعلوه بها. لا أعرف أين هي، ولا أعرف كيف هي، ولا أعرف ما إذا كان أحدٌ يؤذيها. لكن الكوابيس ربما تكون الأكثر إزعاجًا.

على الأقل أظن أنها كوابيس. يصعب فصل الحقيقة عن الخيال، والأحلام عن الواقع؛ أقضي الكثير من الوقت والسم يسري في عروقي. لكن كلمات نظيرة لي قبل الندوة؛ تحذيرها من أن جولييت كانت شخصًا

آخر، وأن ماكس وإيفي هما والداها الحقيقيَّين البيولوجيين... لم أكن أريد تصديق ذلك حينها. بدا الاحتمال شاذًّا جدًّا ليكون حقيقيًّا.

قلت لنفسي: حتى والدي لدَيه حدود لن يتجاوزها. قلت لنفسي: حتى إعادة التأسيس لديها بعض الشعور بالأخلاق المُصطنعة.

لكني رأيتهما وأنا أُحمَل بعيدًا - رأيت الوجوه المألوفة لإيفي وماكسيميليان سومرز - القائدة العُليا لأوقيانوسيا وزوجها. وقد كنت أفكر فيهما منذ ذلك الحين. كانا العالِمَين الرئيسيَّين في مجموعتنا، مفكري إعادة التأسيس. كانا عسكريين - نعم - لكنهما كانا طبيبَين. كان الزوجان غالبًا يبقيان وحدهما.. لم تكن لدي سوى ذكريات قليلة عنهما حتى وقتٍ قريب جدًّا. حتى ظهرت إيلا في ذهني.

لكنني لا أعرف كيف أتأكد من حقيقة ما أراه، ليس لدي أي طريقة لأعرف أن هذا ليس مُجرد جزءٍ آخر من التعذيب. من المُستحيل معرفة ذلك. إنه الأسى.. يأكلني، أشعر وكأنني أتعرض للاعتداء من الجانبَين - العقلي والجسدي - ولا أعرف من أين أو كيف أبدأ في مقاومة ذلك. لقد بدأتُ في الكزِّ على أسناني بقوة شديدة لدرجة أنها تسببت لي في صداع نصفي. الإرهاق يلتهم عقلي ببطء. أنا متأكد إلى حدٍّ ما أن لديَّ ضلعين مكسورين على الأقل، وساعات الراحة الوحيدة التي أحصل عليها تكون وأنا واقف، وهو الوضع الوحيد الذي يُخفف الألم في صدري. سيكون من السهل التنازل.. الاستسلام. لكن لا يمكنني أن أفقد نفسي في هذه الألعاب العقلية.

لن أفعل.

لذلك أجمع المعلومات.

لقد قضيت حياتي كلها استعدادًا لظروف كهذه من قبل أشخاص مثلهم، وهم سيستغلون هذه المعرفة بالكامل. أعلم أنهم سيتوقعون مني إثبات أنني أستحق البقاء على قيد الحياة، ومن المفاجئ أن معرفة ذلك تمنحني شعورًا بالهدوء الضروري للغاية. لا أشعر بأيٍّ من قلقي المُعتاد - هنا وأنا أتسمَّم ببطء حتى الموت. بدلًا من ذلك أشعر بالأمان. بالألفة.

محصنٌ بالأدرينالين.

تحت أي ظروف أخرى كنت سأفترض أن وجباتي تُقدم مرة في الصباح ومرة في الليل، لكنني أعرف أنه لا ينبغي عليَّ افتراض شيءٍ؛ فقد كنت أرسم مُخططات الظل لفترة كافية لأعرف أنني لا آكُل في ساعاتٍ منتظمة، وأن الجدول غير المُنتظم مقصود.

يجب أن تكون هناك رسالة هنا: تسلسل من الأرقام، نمط من المعلومات، شيء لا أفهمه؛ لأنني أعلم أن هذا - مثله مثل كل شيءٍ آخر - هو اختبار.

أنا سجين لدى إحدى القادة الكبار.

ولا مجال للصُّدف في ذلك.

أجبر نفسي على أكل الكعكة الدافئة التي بلا طعم، وأكره الطريقة التي يلتصق بها الخبز المطاطي والمُعالَج بسقف حلقي. يجعلني أتمنى وجود فرشاة أسنان. لقد منحوني حوض استحمام ومرحاضًا خاصًّا، لكنني لا أملك سوى القليل لأحافظ به على معايير النظافة السليمة، والذي ربما يكون أكبر إهانة هنا. أكافح موجة من الغثيان وأنا أبلع اللقمة الأخيرة من الخبز، وتَخِز جسدي فجأة الحرارة. تتدحرج حبات العرق على ظهري، أكوِّر قبضتي لأمنع استسلامي بسرعة كبيرة للمخدرات.

أنا بحاجة إلى القليل من الوقت.

هناك رسالة هنا في مكانٍ ما، لكنني لم أُقرر بعدُ أين. ربما تكون في حركات الظلال، أو في عدد المرات التي تُفتح فيها الفتحة وتُغلق. قد تكون في أسماء الأطعمة التي أجبر على تناولها، أو في العدد المحدد لخطوات الأقدام التي أسمعها كل يوم، أو ربما تكون في الطَّرقات النادرة والمزعجة على بابي والتي تصاحب الصمت.

هناك شيء ما، شيء يحاولون إخباري به، شيء من المفترض أن أفكَّ شفرته.. ألهث، وأمد يدي بغير هُدًى بينما يمرُّ ألم حاد عبر معدتي.

يُمكنني اكتشاف هذا – على ما أظن – حتى مع جذْب المخدرات لي لأسفل.

أسقط للوراء على مرفقي. يرفُّ جفني ويغرق عقلي حتى وأنا أَعُد الأصوات خارج بابي.

خطوة ثقيلة

خطوتان يُسحبان.

خطوة ثقيلة أخرى

وهناك شيء ما، شيء مُتعمّد في الحركة يتحدث إلي. أنا أعرف هذا. أعرف هذه اللغة، أعرف اسمها، إنها هناك على طرف لساني لكن يبدو أنني لا أستطيع إدراكها. لقد نسيت بالفعل ما كنت أحاول القيام به.

ذراعيَّ مخدَّرتان، يضرب رأسي الأرض مُصدرًا صوتًا مكتومًا. تذوب أفكاري في الظلام.

وتجذبني الكوابيس من رقبتي.

15

كينجي

ظننت أنني قضيت وقتًا في بعض الأماكن الصعبة جدًّا في حياتي، لكن هذا الخراء لا يُشبه شيئًا آخر. الظلام دامس. لا تُوجَد أصوات سوى صرخات التعذيب البعيدة للسجناء الآخرين. الطعام عبارة عن قذارة مُقززة تُدفع من خلال فتحة في الباب. لا توجَد حمامات باستثناء أنهم يفتحون الأبواب مرة في اليوم فقط لفترة كافية كي تقتل نفسك وأنت تحاول العثور على المراحيض والحَمَّامات المُقززة. أنا أعلم ما هذا. أتذكر عندما كانت جولييت...

إيلا. *إيلا*.

إيلا كانت تحكي لي عن هذا المكان.

في بعض الليالي كنا نسهر لساعاتٍ نتحدث عن ذلك. أردت أن أعرف. أردت أن أعرف كل شيء. وهذه المحادثات هي السبب الوحيد الذي جعلني أعرف ما يَعنيه الباب المفتوح.

لا أعرف حقًّا منذ متى وأنا هنا.. أسبوع؟ ربما اثنين؟ لا أفهم لماذا لا يقتلونني. أحاول أن أُخبر نفسي – في كل دقيقة من كل يوم لعين – أنهم يفعلون ذلك فقط لتشويش عقولنا، وأنَّ العقل المُعذب هو مصير أسوأ من رصاصة في الدماغ، لكن لا يمكنني الكذب؛ هذا المكان بدأ يؤثر بي.

أشعر أنني أصبحتُ مريبًا.

بدأت أسمع أشياء. أرى أشياء. بدأت أُفزع نفسي مما قد يكون قد حدث لأصدقائي، أو ما إذا كنت سأخرج من هنا.

أحاول عدم التفكير في نظيرة.

عندما أفكر في نظيرة؛ أرغب في لكْم نفسي في وجهي. أريد أن أطلق النار على نفسي في حلقي.

عندما أفكر في نظيرة؛ أشعر بغضبٍ شديد لدرجة أنني أُصبح مقتنعًا – لدقيقة – أنني قد أتمكن من الخروج من هذه الأصفاد المُضاءة بالنيون بقوة الغضب فقط. لكن هذا لا يحدث أبدًا. هذه الأشياء غير قابلة للكسر، حتى إنها تُجردني من قوتي.

تُصدر توهُّجًا أزرقَ ناعمًا يومِض، وهو الضوء الوحيد الذي أراه على الإطلاق.

جيه قالت لي إن زنزانتها بها نافذة، زنزانتي ليس بها واحدة.

صوت طنين قاسٍ يملأ زنزانتي. أسمع نقرة ناعمة على الباب المعدني الثقيل. أقفز واقفًا على قدمي.

يُفتح الباب على مصراعَيه.

أَحاول شق طريقي إلى أسفل الممرِّ المُبتلِّ، والضوء الخافت النابض لأصفادي لا يُضيء بشكلٍ كافٍ لتوجيهي.

الاستحمام سريع وبارد. فظيع بكلِّ معنى الكلمة. لا تُوجَد مناشف في هذا المكان البائس، لذلك أتجمَّد حتى أتمكن من العودة إلى غرفتي، وألفُّ نفسي بالبطانية الخشنة. أفكر في تلك البطانية الآن، محاولًا الحفاظ على تركيز أفكاري ومنع أسناني من الاصطكاك وأنا أشق طريقي عبر الأنفاق المظلمة.

لا أرى ما يحدث بعد ذلك.

يأتيني شخص من الخلف ويضع قبضةً خانقة على رقبتي، يخنقني بتقنية مثالية لدرجة أنني لا أعرف حتى ما إذا كان الأمر يستحق النضال. أنا بالتأكيد على وشك الموت.

طريقة غريبة للغاية للرحيل، لكن هذا هو الأمر.. لقد انتهيت.

اللعنة!

16

جولييت إيلا

يقول السيد أندرسون إنه يمكنني تناول الغداء في منزله قبل أن ألتقي بعائلتي الجديدة. لم تكن هذه فكرته، ولكن عندما اقترح ذلك ابنه آرون ـ ذلك اسم الصبي ـ بدا السيد أندرسون موافقًا على ذلك.

أنا مُمتنة.

لست مستعدةً بعد للعيش مع مجموعة من الغرباء. أشعر بالخوف والتوتر والقلق بشأن العديد من الأشياء، ولا أعرف حتى من أين أبدأ. في الغالب أشعر بالغضب.. أنا غاضبة من والديَّ لموتهما. لتركِهما لي.

أنا يتيمة الآن.

لكن ربما لدي صديق جديد. أخبرني آرون أنه في الثامنة من عمره ـ يكبُرني بحوالي عامَين ـ لذلك لا توجد فرصة لأن نكون في الصف نفسه، لكن عندما قلت إننا سنذهب إلى نفس المدرسة على أي حال، قال لا، لن نذهب.

قال إنه لا يذهب إلى المدارس العامة. قال إن والده شديد الخصوصية بشأن هذه الأنواع من الأشياء، وأنه تعلم في المنزل من قِبَلِ مُدرِّسين خصوصيين طوال حياته.

نحن نجلس بجانب بعضنا البعض في السيارة في طريق العودة إلى منزله عندما يقول بهدوء: أبي لا يسمح لي بدعوة الناس إلى منزلنا. لا بد أنك تُعجبينه.

أبتسِم، خفية براحة. آمُل حقًّا أن يعني ذلك أنني سأحصل على صديق جديد. كنت خائفة جدًّا من الانتقال إلى هنا، خائفة جدًّا من أن أكون في مكان جديد وأن أكون بمفردي، ولكن الآن أبدأ في الشعور بأن الأمور ستكون على ما يُرام في أثناء الجلوس بجانب هذا الصبي الغريب الأشقر ذي العينين الخضراوين الفاتحتَين.

على الأقل الآن، حتى لو لم يُعجبني والداي الجديدان؛ سأعرف أنني لست وحدي تمامًا. هذا التفكير يجعلني سعيدةً وحزينة في الوقت نفسه.

أنظر إلى آرون وأبتسم. يبتسم لي في المقابل.

أتوقف للحظة لأتأمل منزله بإعجاب من الخارج عندما نصل إليه. إنه منزل كبير وجميل، قديم مطلي بأجمل الألوان الزرقاء. تُغطي نوافذه مصاريع بيضاء، ويحيط سياج أبيض بالفناء

الأمامي. تنمو الورود الوردية حول الحواف، لتطل من خلال الألواح الخشبية للسياج، ويبدو كل شيءٍ هادئًا وجميلًا لدرجة أنني أشعر على الفور بأنني في بيتي.

تختفي مخاوفي.

أنا مُمتنة جدًّا لمساعدة السيد أندرسون. ممتنة جدًّا للقاء ابنه. أدرك أن السيد أندرسون ربما أحضر ابنه لمقابلتي اليوم فقط ليُقدِّمني إلى شخص في مثل عمري. ربما كان يحاول أن يجعلني أشعر بأنني في بيتي.

تفتح الباب الأمامي امرأة شقراء جميلة. تبتسم لي، إنها مشرقة ولطيفة، تسحبني إلى أحضانها قبل أن تقول مرحبًا. تحتضنني كما لو أنها تعرفني منذ زمن، وهناك شيءٌ مريح للغاية في ذراعَيها الملفوفتَين حولي لدرجة أنني أُحرج الجميع بالبكاء.

لا يمكنني حتى النظر إلى أي شخص بعد أن ابتعدت عنها ـ قالت لي إن اسمها السيدة أندرسون، لكن يمكنني أن أناديها ليلي إذا أردت.. أمسح دموعي، خجلًا من رد فعلي المبالَغ فيه.

تقول السيدة أندرسون لآرون أن يأخذني إلى الأعلى إلى غرفته بينما تُعد لنا بعض الوجبات الخفيفة قبل الغداء.

ما زلت أشهق بالبكاء وأنا أتبعه إلى الأعلى.

غرفته جميلة. أجلس على سريره ناظرة إلى أغراضه. الغرفة نظيفة جدًّا باستثناء وجود قفاز بيسبول على الكمود، وكرتَين بيسبول متَّسختَين على الأرض. يلاحظ آرون أنني أنظر إليهم، فيحملهم على الفور. يبدو محرجًا وهو يدسُّهم في خزانته، وأنا لا أفهم لماذا. لم أكن منظمةً جدًّا. كانت غرفتي دائمًا...

أتردد...

أحاول أن أتذكر كيف كانت تبدو غرفة نومي القديمة، ولكن لسببٍ ما، لا يمكنني ذلك. أُقطِّب. أحاول مرة أخرى.

لا شيء.

ثم أدرك أنني لا أستطيع تذكُّر وجوه والديّ.

يَملؤني الرُّعب.

- ماذا هناك؟

صوت آرون حاد للغاية ـ شديد ـ لدرجة أنني أنظر إلى الأعلى مندهشة. يحدق إليَّ من الجانب الآخر من الغرفة، والخوف على وجهه ينعكس في المرايا على أبواب خزانته.

يقول مرة أخرى: ماذا هناك؟ هل أنتِ بخير؟

أتلعثم مُجيبة، شاعرة بعينيّ تمتلئان بالدموع مرة أخرى: أنا.. أنا لا.. لا أستطيع تذكر والديّ. هل هذا طبيعي؟

أكره أن أستمر في البكاء. أكره ألا أستطيع التوقف عن البكاء.

يسير آرون، ويجلس بجانبي على سريره ويقول: لا أعرف.

نصمت لفترة من الوقت، بطريقةٍ ما يساعدني ذلك. بطريقةٍ ما مجرد الجلوس بجانبه يجعلني أشعر بأنني أقل وحدة.. أقل رعبًا.

في النهاية، يتوقف قلبي عن الخفقان بسرعة.

أقول بعد أن أمسح دموعي: ألا تشعر بالوحدة.. لكونك تتعلم في المنزل طوال الوقت؟

يهز رأسه بالإيجاب.

-لماذا لا يسمح لك والدك بالذهاب إلى مدرسة عادية؟

-لا أعرف.

أسأل: ماذا عن حفلات أعياد الميلاد.. من تدعو إلى حفلات عيد ميلادك؟

يهز آرون كتفَيه. يقول محدقًا إلى يدَيه: لم أُقِم حفل عيد ميلاد قط.

ألتفتُ إليه بشكلٍ كامل: ماذا؟ حقًّا؟ لكن حفلات أعياد الميلاد مُمتعة للغاية. اعتدتُ على...

أرفُّ بجفنيّ وأقاطع نفسي.

لا أستطيع تذكر ما كنت على وشك قوله.

أُقطب محاولة أن أتذكر شيئًا، فشيئًا عن حياتي القديمة، ولكن عندما لا تتجسد الذكريات أمامي، أهز رأسي لإبعاد الأفكار. ربما أتذكر لاحقًا.

أقول وأنا آخُذ نفسًا سريعًا: على أي حال يجب أن تحتفل بعيد ميلادك. كل شخص ينبغي أن يكون له حفلات أعياد ميلاد. متى عيد ميلادك؟

ببطءٍ ينظر آرون إليّ. وجهه خاوٍ من التعابير حتى عندما يقول: أربعة وعشرون إبريل.

أقول مبتسمة: أربعة وعشرون إبريل، هذا رائع. يُمكننا تناول الكعك.

تمر الأيام في ذعر خانق، تصاعُد مروِّع نحو الجنون. تبدو عقارب الساعة وكأنها تُغلق حول عنقي، ومع ذلك لا أقول شيئًا، ولا أفعل شيئًا.

أنتظر.

أتظاهر.

لقد حُبست هنا لمدة أسبوعين، عالقة في سجن هذا الوهم، وهذا المبنى. لا تعرف إيف أن مؤامرتها لمسح ذكرياتي قد فشلت. تُعاملني كشخصٍ غريب، بتباعُد ولكن ليس بقسوة. طلبت مني أن أناديها بإيف، وأخبرتني أنها طبيبتي، ثم شرعت في الكذب - بتفاصيل كبيرة - حول كيف نجوت من حادث رهيب، وأنني أعاني من فقدان الذاكرة، وبحاجة إلى البقاء في السرير من أجل التعافي.

هي لا تعرف أن جسدي لا يتوقف عن الارتعاش، وأن بشرتي تُصبح مبللة بالعرق كل صباح، وأن حنجرتي تحترق من ارتجاع أحماض المعدة. لا تعرف ما يحدث لي. لا يمكنها فهم المرض الذي يُصيب قلبي. لا يمكنها فهم هذه الآلام.

التذكر.

هجماته التي لا ترحم.

تُهاجمني الذكريات في أحلامي، تُفزعني لأنتفض مستيقظة، يتشنج صدري من الذعر مرارًا وتكرارًا، حتى تشرق الشمس وأنا على أرضية الحمام، رائحة القيء ملتصقة بشعري، داخل فمي. لا يُمكنني سوى جر نفسي إلى السرير كل صباح وإجبار وجهي على الابتسام عندما تتحقق إيف مني عند شروق الشمس.

كل شيءٍ يبدو خاطئًا.

العالم يبدو غريبًا، الروائح تربكني. الكلمات لم تعُد مريحة بداخل فمي. يبدو صوت اسمي نفسه مألوفًا وغريبًا في الوقت نفسه. تبدو ذكرياتي عن الأشخاص والأماكن مشوهة، خيوط مُتداعية تتجمَّع لتُشكل سجادة متهالكة.

لكن إيف. *أمي*.

أتذكرها.

-إيف؟

أُخرج رأسي من الحمّام، مُتشبثة برداء استحمام فوق جسدي الرطب. أبحث في غرفتي عن وجهها: إيف، هل أنت هناك؟

-نعم؟

أسمع صوتها قبل ثوانٍ من ظهورها فجأة أمامي، حاملة مجموعة من الملاءات النظيفة في يدَيها. إنها تُبدل ملاءات سريري مرة أخرى.

-هل تحتاجين شيئًا؟

-لقد نفدت المناشف.

-أوه.. دعيني أصحح ذلك.

تقول وهي تُهرع خارج الباب، تمر ثوانٍ ثم تعود واضعة منشفةً دافئة جديدة في يدي. تبتسم ابتسامة صغيرة.

-شكرًا.

أقول مُجبِرة ابتسامتي على الاتساع، على إشعال الحياة في عينيّ، ثم أختفي في الحمام.

الغرفة غارقة في البخار؛ المرآة مُغبرة، متعرّقة. أمسك المنشفة بيد واحدة، وأراقب كيف تسابق قطرات الماء أسفل بشرتي العارية. التكثيف يرتديني مثل بدلة؛ أمسح الأصفاد المعدنية الرطبة المُغلقة حول معصمي وكاحلي، ضوءها الأزرق المتوهِّج هو تذكيري المُستمر بأنني في الجحيم.

أنهار فوق الأرض، أنفاسي ثقيلة.

أشعر بالحرارة الشديدة لدرجة أنني لا أستطيع ارتداء ملابسي، لكني لست مستعدة لمغادرة خصوصية الحمام بعد، لذلك أجلس هنا، مرتدية هذه الأصفاد فقط، وأسقط رأسي في يدي.

شعري طويل مرة أخرى.

اكتشفته هكذا.. طويلًا وثقيلًا وداكنًا - ذات صباح، وعندما سألتها عن الأمر كدت أُفسد كلَّ شيء.

تقول إيف وهي تتفحَّصني مُضيّقة عينَيها: ماذا تقصدين؟ لقد كان شعرك دائمًا طويلًا.

أرفّ بجفنيَّ في وجهها، مُتذكرةً أن أتظاهر بالغباء: أعرف.

تحدق إليّ لفترة أطول قبل أن تترك الأمر أخيرًا، لكنني ما زلتُ قلقةً من أن أدفع ثمن هذا الخطأ. في بعض الأحيان يكون من الصعب تذكُّر كيفية التصرف. فعقلي يُهاجَم كل يوم، تعتدي عليه العواطف التي لم أكن أعرف أنها موجودة، كان من المُفترَض أن تُمحى ذكرياتي، بدلًا من ذلك؛ فإنها تُجدَّد.

أتذكر كل شيء:

ضحكة أمي، معصمَيها الرفيعَين، رائحة الشامبو الذي تستخدمه، والألفة التي كانت تُحيطني بها.

كلما تذكرتُ أكثر، شعرت بأن هذا المكان أقل غرابةً بالنسبة لي، شعرت بأني أعرف هذه الأصوات والروائح - هذه الجبال التي أراها في الأفق - أكثر.

كما لو أن أجزاء نفسي البائسة المتفرقة تُخاط معًا مرة أخرى. كما لو أن الثقوب الهائلة في قلبي ورأسِي تلتئِم، تمتلئ ببطءٍ بالإحساس.

كان هذا المبنى منزلي. هؤلاء الناس.. عائلتي. استيقظتُ هذا الصباح متذكرةً الدرجة المُفضلة لأمي من أحمر الشفاه.

أحمر بلون الدماء.

أتذكر مشاهدتها وهي تطلي به شفتَيها في بعض الأمسيات. أتذكر اليوم الذي تسللت فيه إلى غرفتها وسرقت الأنبوب المعدني اللامع؛ أتذكَّر عندما وجدتني، يدي وفمي مُلطَّخان باللون الأحمر، ووجهي، محاوَلةُ تقليدٍ غريبة لها.

كلما تذكرتُ والديَّ أكثر، بدأتُ أخيرًا أفهم نفسي.. مخاوفي الكثيرة وشعوري بانعدام الأمان، المرَّات العديدة التي شعرت فيها بالضياع، بأنني أبحث عن شيءٍ لا يُمكنني تسميته.

إنه شعور مُدمر.

ومع ذلك...

في هذا الواقع الجديد المُضطرب، الشخص الوحيد الذي أعرفه الآن هو (هو). ذكرياتي عنه – ذكرياتنا – فعلَتْ شيئًا بي. لقد تغيرتُ في أعماقي، أشعر بالاختلاف، بالثِّقَل كما لو أن قدميَّ قد غُرستا بشكلٍ أكثر ثباتًا، وكأنهما تحرَّرتا باليقين، تحرَّرتا في أن تنمو لهما جذور في ذاتي، تحرَّرتا بالثقة بشكلٍ قاطع في قوة قلبي وثباته.

إنه اكتشاف قوي، أن تجد أنه يُمكنك الوثوق بنفسك – حتى عندما لا تكون نفسك – لاتخاذ القرارات الصحيحة. أن تعرف على وجه اليقين الآن أنه كان هناك خطأ واحد على الأقل لم ترتكِبه.

آرون وارنر أندرسون هو الخيط العاطفي الوحيد في حياتي الذي كان منطقيًّا طوال الوقت. إنه الثابت الوحيد. الحُب الوحيد الثابت والصادق الذي ملكته.

آرون، آرون، آرون، آرون.

لم أكن أعرف كم فقدتُه، وكم اشتقتُ إليه. لم أكن أعرف مدى اليأس الذي قاتلْنا به، كم من السنوات حاربنا من أجل لحظات – دقائق – نكونها معًا.

يملؤني ذلك بفرحٍ مؤلِم.

ولكن عندما أتذكَّر كيف تركت الأمور بيننا، أريد أن أصرخ.

لا أعرف إن كنت سأراه مرةً أخرى.

ومع ذلك، أنا مُتمسكة بالأمل في أنه حي، هناك، في مكانٍ ما. قالت إيف أنها لا تستطيع قتله. قالت إنها وحدَها ليس لديها السلطة لإعدامه. وإذا كان آرون لا يزال على قيد الحياة، فسأجد طريقةً للوصول إليه. لكن عليَّ أن أكون حذرة. الخروج من هذا السجن الجديد لن يكون سهلًا؛ إيف تكاد لا تسمح لي بالخروج من غرفتي. الأسوأ من ذلك، أنها تُخدرني خلال النهار، مما يسمح لي ببضع ساعات واعية فقط. لا يوجَد وقت كاف *للتفكير*، ناهيك عن التخطيط للهروب، أو تقييم مُحيطي، أو التجول في الممرات خارج بابي.

مرة واحدة فقط سمحت لي بالخروج.

نوعًا ما.

سمحت لي بالخروج إلى شرفة تطل على الفناء الخلفي. لم يكن الأمر عظيمًا، لكن حتى هذه الخطوة الصغيرة ساعدتني في فهم مكاننا قليلًا وكيف قد يبدو تصميم المبنى.

كان التخمين مُثبّطًا.

بدا لي وكأننا في وسط مستوطنة – مدينة صغيرة – في وسط لامكان. انحنيتُ فوق حافة الشرفة، مدّدت عنقي لأرى اتساعها، لكن المنظر كان واسعًا جدًّا لدرجة أنني لم أتمكن من رؤية كل شيءٍ حولي.

رأيت ما لا يقلُّ عن عشرين مبنًى مختلفًا من مكاني، جميعها مُتصلة بطرقات، ينتقل بينها الأشخاص في سيارات كهربائية صغيرة. كانت هناك أرصفة تحميل وتفريغ، وشاحنات ضخمة تدخل وتخرج، وكان هناك مدرج طائرات في الأفق، صف من الطائرات النفاثة متوقفة بدقة في ساحة خرسانية. فهمت حينها أنني كنتُ أعيش في وسط إدارة ضخمة.. شيء أكثر رعبًا بكثير من القطاع 45.

هذه قاعدة دولية.

لا بد أن تكون هذه إحدى العواصم. مهما كان هذا – مهما كان ما يفعلونه هنا – فهو يجعل القطاع 45 يبدو وكأنه مزحة.

هنا؛ حيث التلال لا تزال خضراء وجميلة بطريقةٍ ما، حيث الهواء نقي وبارد وكل شيءٍ يبدو حيًّا. ربما تكون حساباتي خاطئة، لكنني أظن أننا نقترب من نهاية إبريل، والأجواء خارج نافذتي مختلفة عن أي شيء رأيته على الإطلاق في القطاع 45: سلاسل جبلية شاسعة مغطاة بالثلج، تلال مكسوّة بالنباتات الخضراء، أشجار ثقيلة بأوراق جديدة مشرقة، وبحيرة ضخمة متلألئة تبدو قريبة بما يكفي بحيث يمكنني الركض إليها. تبدو هذه الأرض صحية. نابضة بالحياة.

لقد ظننت أننا فقدنا عالمًا كهذا منذ زمن بعيد.

بدأت إيف تُخدرني أقل هذه الأيام، ولكن في بعض الأيام تبدو رؤيتي وكأنها تتلاشى عند الحواف، مثل صور الأقمار الصناعية التي تُعاني من خللٍ ما في انتظار تحميل البيانات.

أتساءل أحيانًا عما إذا كانت تسممني.

أنا أتساءل عن هذا الآن، وأتذكر وعاء الحساء الذي أرسلته إلى غرفتي على الإفطار. لا يزال بإمكاني الشعور بالبقايا اللزجة وهي تُغلف لساني، سقف فمي.

الانزعاج يُشعرني بالغثيان.

أُجبر نفسي على النهوض من أرضية الحمام، أطرافي بطيئة وثقيلة. يستغرق الأمر مني لحظة للاستقرار. تتركني آثار هذه التجربة جوفاء.

غاضبة.

يتبادر إلى ذهني صورة لوجْهِ إيف كما لو أنهُ من العدم، أتذكر عينَيها، بُنِّيتان عميقتان بلا قاع، نفس لون شعرها. لديها قصة شعر قصيرة حادة، وكأنها ستارة ثقيلة تهبُّ باستمرار لتلمس ذقنها. إنها امرأة جميلة، هي أجمل في الخمسين مما كانت عليه في العشرين.

إنها قادمة.

تتحدث إليَّ بكلمةٍ فجأة، ويرتفع شعور بالذّعر في عمودي الفقري. بعد ثانية واحدة، هناك طرْق حادّ على باب حمّامي.

-نعم؟

-إيلا، كنتِ في الحمام لمدة نصف ساعة تقريبًا، وأنت تعرفين كيف أشعر بشأن إضاعة الوقت...

أجبر نفسي على الضحك وأقول: إيف، أكاد أنتهي، سأخرج على الفور.

صمت.

يُمدِّد الصمت الثواني إلى عمر كامل. يقفز قلبي لأعلى، في حنجرتي، خافقًا في فمي.

تقول ببطء: حسنًا، خمس دقائق أخرى.

أُغلق عينيّ وأنا أزفر، واضعةً المنشفة على النبض المتسارع عند رقبتي. أُجفف نفسي بسرعة قبل أن أعصر الماء المُتبقي من شعري وأعود إلى ردائي.

أفتح باب الحمام أخيرًا مُرحّبة بدرجة الحرارة الباردة الصباحية على بشرتي المحمومة. لكن بالكاد أستطيع أن أتنفَّس قبل أن تكون في وجهي مرة أخرى.

تقول: ارتدي هذا.

إنها مبتسمة لكن ذلك لا يُناسبها. تبدو مجنونة: أنت تُحبِّين ارتداء الأصفر.

أرمش وأنا آخُذ الفستان منها، وأشعر بموجةٍ مفاجئة ومُربكة من الديجافو. أقول: بالطبع. أُحب ارتداء الأصفر.

تزداد ابتسامتها رقة، مُهدِّدةً بتحويل تعابيرها.

أومئ نحو جسدي: هل يُمكنني فقط...؟

تقول باندهاش: أوه، صحيح. (تبتسم لي ابتسامة أخرى) سأكون بالخارج.

ابتسامتي هشَّة.

تُراقبني. إنها تُراقبني دائمًا. تدرس ردود أفعالي، توقيت استجاباتي. تتفحَّصني باستمرار للحصول على المعلومات. تريد تأكيدًا على أنه تم محوها بشكلٍ صحيح.. أُعيد تشكيلها.

ابتسمت أكثر.

تتراجع خطوة إلى الوراء أخيرًا، تقول بلطف: فتاة جيدة.

أقف في وسط غرفتي وأشاهد مغادرتها، والفستان الأصفر لا يزال مضغوطًا إلى صدري.

شعرت من قبل بأنني محاصرة، تمامًا مثل هذه المرة. كنت محتجزة ضد إرادتي، وأُعطِيتُ ملابس جميلة وثلاث وجبات يوميًّا، وطُلِب منّي أن أكون شيئًا لم أكنه، وقاومتُ ذلك.. قاومت ذلك بكلِّ ما أملك.

لم يكن ذلك مفيدًا لي على الإطلاق.

أقسمت أنه إذا كان بإمكاني فعل ذلك مرة أخرى، فسأتصرف بشكلٍ مختلف. قلت إذا كان بإمكاني العودة إلى تلك اللحظة؛ فسأرتدي الملابس، وآكُل الطعام، أجارِيهم حتى أتمكن من معرفة مكاني وكيفية التحرُّر منه.

إذن هذه فرصتي.

هذه المرة، قررتُ مجاراتهم.

17

كينجي

استيقظت لأجد نفسي مقيدًا ومُكممًا، يملأ أُذني هديرٌ صاخب. أغمضت عيني ثم فتحتها لأوضِّح الرؤية. كنت مقيدًا بإحكامٍ شديد لدرجة أنني لم أستطع الحركة، لذا استغرق الأمر مني ثانية لأدرك أنني لا أرى ساقي.

لا ساقان. ولا ذراعان أيضًا.

ضربني إدراك أنني غير مرئي بقوةٍ مُرعبة وكاملة.

أنا لم أفعل هذا.

لم أحضر نفسي إلى هنا، وأقيد نفسي وأُكمم نفسي وأجعل نفسي غير مرئي.

هناك شخص واحد فقط سيفعل ذلك.

أنظر حولي يائسًا، محاولًا تحديد مكاني وما هي فرص هروبي، ولكن عندما أتمكَّن أخيرًا من تحريك جسدي إلى جانبٍ واحد – فقط لفترة كافية لأمد رأسي– أدرك برجفةٍ مرعبة أنني على متن طائرة.

ثم.. أسمع أصواتًا.

إنهما أندرسون ونظيرة.

أسمعهما يُناقشان شيئًا حول اقتراب الهبوط، ثم بعد دقائق، أشعر به عندما تلامس عجلات الطائرة الأرض.

تهبط الطائرة لبعض الوقت ويبدو الأمر وكأنه يستغرق دهرًا، قبل أن تتوقف المُحركات أخيرًا.

أسمع أندرسون يُغادر. تتأخّر نظيرة قليلًا، وتقول شيئًا عن الحاجة إلى هندمة نفسها. توقف الطائرة وكاميراتها، ولا تُعيرني أيَّ اهتمام.

أخيرًا، أسمع خطواتها تقترب من رأسي. تستخدِم إحدى قدمَيها لتقلِبَني على ظهري، وبعد ذلك مباشرة، يُلغَى التَّخفِّي الذي كنت عليه. تُحدق بي لفترةٍ أطول قليلاً، ولا تقول شيئًا.

أخيرًا، تبتسِم.

تقول وهي تُحرر فمي: مرحبًا، كيف حالك؟

وعندها أقرِّر مباشرة أنه يجب عليّ قتلُها.

تقول: حسنًا، أعلم أنك غاضب على الأرجح...

أتحرك بعُنف ضد قيودي: غاضب؟ تظنين أنني غاضب؟ يا يسوع المسيح! فكي قيودي اللعينة هذه يا امرأة...

-سأفكّ قيودك عندما تهدأ...

-كيف تتوقَّعين مني أن أكون هادئًا؟

-أنا أحاول إنقاذ حياتك الآن، لذا في الحقيقة، أتوقَّع الكثير منك.

أتنفَّس بصعوبة: انتظري.. ماذا؟

تعقد ذراعَيها وتُحدق إليّ: كنت أحاول أن أشرح لك أنه لم يكن هناك أي طريقة أخرى للقيام بذلك حقًّا. ولا تقلق، أصدقاؤك بخير. يجب أن نتمكن من إخراجهم من المصحَّة قبل حدوث أي ضررٍ دائم لهم.

-ماذا؟ ماذا تقصدين *بضررٍ دائم*؟

تنهَّدت نظيرة: على أي حال، كانت هذه هي الطريقة الوحيدة التي استطعت التفكير فيها لسرقة طائرة دون أن ألفت الانتباه، كنت بحاجة إلى تعقُّب أندرسون.

-إذن كنتِ تعلمين أنه على قيد الحياة، طوال هذا الوقت، ولم تذكُري شيئًا عن ذلك؟

رفعت حاجبَيها: بصراحة، ظننتُ أنك تعلم.

أصرخ: كيف بحقِّ الجحيم كان يُفترض بي أن أعرف؟ كيف كان يفترض بي أن أعرف *أي شيء*؟

تقول: توقف عن الصراخ. لقد تحمَّلتُ كل هذا العناء لإنقاذ حياتك، وأقسم بالله سأقتُلك إذا لم تتوقَّف عن الصراخ الآن.

أقول: أين نحن بحقِّ الجحيم؟

وبدلًا من أن تقتلني تضحك: أين تظنُّنا؟ (تهز رأسها) نحن في أوقيانوسيا. نحن هنا للعثور على إيلا.

18

وارنر

تقول ببساطة: نستطيع أن نعيش في البحيرة.

كدت أضحك: ماذا؟ عمَّ تتحدثين؟

تقول: أنا جادَّة، سمعت أُمي تتحدث عن كيفية جعل الناس يعيشون تحت الماء، وسأطلب منها أن تُخبرني، وبعد ذلك يمكننا العيش في البحيرة.

أتنهّد: إيلا، لا يُمكننا العيش في البحيرة.

-لمَ لا؟

تستدير ناظرة إليَّ بعينين متَّسعتَين ساطعتَين بشكلٍ مُذهل.. أزرق مائل للاخضرار. مثل الكرة الأرضية، أفكر. مثل العالم كله.

-لماذا لا نستطيع العيش في البحيرة؟ تقول أمي إن...

-توقفي عن ذلك، إيلا. توقفي...

استيقظتُ فجأة، وانتفضتُ معتدلًا بينما أفتح عينيَّ بسرعة، رئتاي تئنَّان من أجل الهواء. أشهق بسرعةٍ كبيرة ثم أغرق في السعال، أختنق لدخول الأكسجين بسرعةٍ في رئتي، ينحني جسدي للأمام، صدري يرتفع، ويداي ترتطمان بالأرضية الباردة الخرسانية.

إيلا.

إيلا.

يغزو ألمٌ حاد صدري. لقد توقفتُ عن تناول الطعام المسموم منذ يومَين، لكن الرؤى ما زالت موجودة حتى وأنا مُستيقظ. هناك شيء مُفرطُ الواقعية حول هذه الرؤى على وجه الخصوص، تتدافع الذكريات نحوِي باستمرار، تضرب أحشائي بسرعة وحدَّة، تنحبِس أنفاسي إثر هذا التدفُّق المُربك للعاطفة.

لأول مرة.. بدأتُ أومِن.

ظننتُ أنها كوابيس، هلوسات حتى. لكنني الآن أعرف.

يبدو الآن أن الأمر من المُستحيل إنكارُه.

سمعتُ أمي تتحدث عن كيفية جعل الناس يعيشون تحت الماء..

لم أفهم في البداية سبب احتجازي من ماكس وإيفي أسيرًا هنا، لا بدَّ أنهما يُلومانني على شيءٍ ما.. شيء فعلَه والِدي، شيء شاركت فيه دون عِلم، ربما شيء مثل تعذيب ابنتِهما إيمالين.

عندما أُبعِدت لمدة عامَين؛ لم يُخبرني أحد على الإطلاق إلى أين سأذهب. لم تُكشَف أي تفاصيل عن مَوقعي مطلقًا، عشتُ في سجنٍ حقيقي خلال تلك الفترة الزمنية، ولم يُسمح لي أبدًا بالخروج، لم يُسمح لي أبدًا بمعرفة أكثر مما هو ضروري للغاية حول المُهمة المطروحة. كانت فترات الراحة التي حصلت عليها مُراقبةً عن كثَب، وكان يُطلَب منِّي ارتداء عصابةٍ على عينيَّ في أثناء دخولي وخروجي من الطائرة النفَّاثة، وهو ما جعلَني دائمًا أفكر أنني أعمل في مكانٍ يسهل التعرُّف عليه. لكن هاتَين السنتَين شهدتا أيضًا بعضًا من أحلَكِ الأيام وأكثرها حُزنًا في حياتي؛ كل ما كنتُ أعرفه هو حاجتي الملحَّة إلى النسيان. لقد كنتُ مدفونًا في كراهية الذات لدرجة أنه بدا من الصواب أن أجِد العزاء في أحضان شخصٍ لا يعني لي شيئًا. كنتُ أكره نفسي كلَّ يوم. كان الوجود مع لينا بمثابة راحةٍ وتعذيبٍ في نفس الوقت.

على الرغم من ذلك، شعرتُ بالخدر طوال الوقت.

بعد أسبوعَين هنا، بدأتُ أتساءل عما إذا كان هذا السجن هو الذي عرفته من قبل. إذا كان هذا ليس المكان نفسه الذي قضيتُ فيه هاتين السنتين الرهيبتَين من حياتي. من الصعب شرح الأسباب غير الملموسة وغير المنطقية التي تجعل المنظر خارج نافذتي يبدو مألوفًا بالنسبة لي. لكنَّ عامَين هو وقتٌ طويل لتتعوَّد على إيقاعات الأرض، حتى وإن لم تكن تفهمها.

أتساءل عما إذا كانت إيمالين هنا في مكانٍ ما.

من المنطقي أن تكون هنا، بالقُرب من المنزل.. بالقرب من والدَيها؛ حيث تقدُّمُهم الطبي والعلمي هو السبب الوحيد لوجودها على قيد الحياة. أو شيء قريب من الحياة على أي حال.

من المنطقي أن يُعيدا جولييت – *إيلا* كما أذكر نفسي – إلى هنا، إلى منزلها. السؤال هو:

لماذا أحضراها إلى هنا؟ ماذا يأمُلان أن يفعلا بها؟

ومع ذلك؛ إذا كانت والدتُها تُشبه والدي بأي شكلٍ من الأشكال، فأظن أنني أعرف ما يدور في أذهانهم.

أرفع نفسي عن الأرض، وآخُذ نفسًا عميقًا لتهدئة روعي. يعتمد جسدي بالكامل على الأدرينالين وحدَه، يشعر بالرغبة في النوم والأكل لدرجة أن عليَّ أنْ أتحمَّل...

ألَمَ.

أشعر به سريعًا ومفاجئًا، أشهق حتى وأنا أتعرَّف على الطعنة المألوفة. ليس لديَّ أي فكرة عن المدة التي ستستغرقها أضلاعي للشفاء التام. أضغط فكيَّ معًا وأنا أقف، أتحسَّس طريقي بِعمًى فوق الأحجار الخشنة. يداي ترتجفان وأنا أستعيد اتِّزاني، أتنفَّس بصعوبة مرة أخرى، وعيناي تجوبان الزنزانة المألوفة.

أفتح صنبور المياه وأغسل وجهي بالماء المُثلج.

التأثير فوري. أستعيد تركيزي كاملًا.

بخلاف ذلك، أخلع ملابسي بالكامل. أضع قميصي الداخلي تحت الماء الجاري وأستخدِمه لفرك وجهي ورقبتي وبقية جسمي. أغسل شعري. وأشطف فمي. وأنظف أسناني. ثم أفعل القليل الذي أستطيع فِعله

لبقية ملابسي، أغسلها بيدي وأعصرها حتى تجف. أرتدي ملابسي الداخلية على الرغم من أنّ القطن لا يزال رطبًا قليلًا، وأكتم رعشتي في الظلام. الجوع والبرد أفضل على الأقل من التخدير والهذيان.

هذه هي نهاية الأسبوع الثاني من الحبس، واليوم الثالث هذا الأسبوع بدون طعام. أشعر بالرضا لامتلاكي لعقلٍ صافٍ، حتى مع تقرُّح جسدي ببطء. لقد كنتُ نحيلًا أكثر من المعتاد بالفعل، ولكن الآن أشعر بأن خطوط جسدي حادَّة بشكلٍ غير معتاد، حتى بالنسبة لي، وقد اختفت كل النعومة من أطرافي. الأمر ليس سوى مسألةِ وقتٍ قبل أن تضمر عضلاتي وأُلحِقَ ضررًا لا يمكن إصلاحه بأعضائي. لكن ليس لديَّ أي خيار الآن. أنا بحاجة إلى الوصول إلى عقلي.

لأن أفكر.

وهناك شيءٌ ما حول عقوبتي يبدو غريبًا.

كلما فكرتُ في الأمر أكثر؛ قلَّ معنى أن يرغب ماكس وإيفي في أن أُعاني على ما فعلتُه بإيمالين. لقد كانا من تبرَّعا بطفلتَيهما لإعادة التأسيس في المقام الأول. وقد عُهِد إليَّ بمهمة الإشراف على إيمالاين.. في الواقع ربما كان الأمر مهمةً تمَّت الموافقة عليها. سيكون من المنطقي أن أكون هنا بتهمة الخيانة. سيرغب ماكس وإيفي – مثل أي قادةٍ آخرين – في أن أعاني بسبب خيانتي لإعادة التأسيس.

ولكن حتى هذه النظرية تبدو خاطئة. غير متجانسة.

كان عقاب الخيانة دائمًا هو الإعدام العلني. سريع. فعَّال. يجب أن أُقتل –مع القليل من الضجَّة – أمام جنودي. ولكن هذا (حبس الناس هكذا، تجويعهم ببطءٍ بينما تُجردهم من عقولهم وكرامتهم).. هذا همجي. هذا ما تفعله إعادة التأسيس بالآخرين، وليس بأفرادها.

هذا يُشبه ما فعلوه بإيلا. لقد عذَّبوها. أجرَوا عليها اختبارات. لم تُحبس لإظهار ندمِها. كانت معزولةً لأنها جزء من تجربة مستمرة.

وأنا في وضعٍ استثنائي لأعرف أن سجينًا كهذا السجين يحتاج إلى متابعةٍ مستمرة.

ظننتُ أنني سأبقى هنا لبضعة أيام.. ربما أسبوعًا، يجب أن يكون حبسي لوقتٍ غير معلوم شيئًا صعبًا بالنسبة لهم.

لقد تمكَّنوا من التفوُّق عليَّ قليلًا في الأسبوعَين الماضيَيْن، وهو إنجاز حقَّقوه عن طريق تسميم طعامي. لم أحتجْ إلى أكثر من أسبوع لشقِّ طريق خروجي من سجونٍ ذات أمنٍ مُشدد في أثناء تدريبي، لا بدَّ أنهم عرفوا ذلك. لقد منحوا أنفسهم ميزةً من خلال إجباري على الاختيار بين الطعام والتفكير بوضوحٍ كل يوم.

وما زلت لا أُبالي.

كلما طالت مدة بقائي هنا، اكتسبتُ نفوذًا أكبر. إذا كانوا يعرفون ما أنا قادر عليه، فيجب أنهم يعرفون أيضًا أن هذا الوضع لا يمكن الاستمرار فيه. لا يمكنهم استخدام الصدمة والسموم لزعزعتي إلى أجلٍ غير مُسمى. لقد مضى عليَّ الآن وقتٌ كافٍ لأُقيم مُحيطي، وقد كنتُ أسجل المعلومات لمدة أسبوعَين تقريبًا:

حركة الشمس، وأوجه القمر، وطريقة عمل الأقفال، والحوض، والمُفصلات غير المُعتادة للباب. كنت أشك – لكني الآن أعلم على وجه اليقين – أنني في نصف الكرة الجنوبي، ليس فقط لأنني أعلم أن ماكس وإيفي ينحدِران من أوقيانوسيا، ولكن أيضًا لأن الكوكبة الشمالية خارج نافذتي مقلوبة.

لا بد أنني في قاعِدتها.

منطقيًّا، أعلم أنني ربما كنت هنا عدة مراتٍ في حياتي، لكن الذكريات غير واضحة. سماء الليل هنا أكثر صفاءً مما هي عليه في القطاع 45. النجوم أكثر إشراقًا. يعني انعدام التلوُّث الضوئي أني بَعيد عن المدنية، ويؤكد المنظر خارج النافذة أني مُحاط – من جميع الجهات – بالمناظر الطبيعية البرية لهذه المنطقة. هناك بُحيرة ضخمة براقة ليست بعيدة، والتي...

شيء ما ينبثق في ذهني.

ذاكرة سابقة، تتَّسع:

تتجاهل الأمر وتُلقي حجرًا في البحيرة. يهبط مشيرًا رذاذًا خافتًا.

تقول: حسنًا، سنفرُّ فقط.

أقول: لا يمكننا الهروب، توقَّفي عن قول ذلك.

-نحن أيضًا نستطيع.

-لا يوجد مكان نذهب إليه.

-هناك الكثير من الأماكن التي يمكننا الذهاب إليها.

أهز رأسي: أنت تعرفين ماذا أقصد. سيجدوننا أينما ذهبنا. إنهم يراقبوننا طوال الوقت.

تقول ببساطة: يمكننا العيش في البحيرة.

أكاد أضحك: ماذا؟.. عن ماذا تتكلَّمين؟

تقول: أنا جادة، سمعت أمي تتحدث عن كيفية جعل الناس يعيشون تحت الماء، وسأطلب منها أن تُخبرني، وبعد ذلك يمكننا العيش في البحيرة.

أتنهد: إيلا، لا يمكننا العيش في البحيرة.

-لِمَ لا؟

تستدير ناظرةً إلي بعينَين مُتسعتَين ساطعتَين بشكل مذهل.. أزرق مائل للاخضرار. مثل الكرة الأرضية، أفكر. مثل العالم كلِّه.

-لماذا لا نستطيع العيش في البحيرة؟ تقول أمي إن...

-توقفي عن ذلك، إيلا. توقفي...

أشعر بالعرق البارد فوق جبهتي، تغمر القشعريرة بشرتي. *إيلا.*

إيلا إيلا إيلا...

مُجددًا.

يبدأُ كل شيءٍ عن الاسم يبدو مألوفًا. حركة لساني وأنا أُشكِّل الكلمة مألوفة. الأمر كما لو أن الذاكرة في عضلاتي، وكأن فمي قد صنع هذا الشكل ألفَ مرة.

أجبر نفسي على أخذ نفسٍ عميقٍ ومطمئن.

أنا بحاجةٍ إلى العثور عليها. *يجب أن أجدها.*

هذا ما أعرفه:

يستغرق الأمر أقلَّ من ثلاثين ثانية حتى تختفي خُطى الأقدام في الردهة، وهي دائمًا متشابهة؛ نفس الخطوة، نفس الإيقاع.. مما يعني أن هناك شخصًا واحدًا فقط يهتم بي. الخطوات طويلة وثقيلة؛ مما يعني أن المرافق طويل القامة، وربما يكون ذكرًا. ربما ماكس نفسه، إذا اعتبرا أنني سجين ذو أولوية عالية. ومع ذلك فقد تركاني غير مُقيد، وغير مُصاب.. *لماذا؟*

وعلى الرغم من أنني لم أحصل على سريرٍ أو بطانية؛ إلا أن لديَّ مياهًا من الحوض.

لا يوجَد كهرباء هنا. لا يوجَد مقابس أو أسلاك. ولكن لا بد من وجود كاميرات مُخبأة في مكانٍ ما، تراقِب كل تحركاتي. هناك مصرفان: أحدهما في المغسلة والآخر أسفل المرحاض. هناك نافذة بمساحة قدَم مربع – على الأرجح زجاج مقاوم للرصاص، ربما يبلغ سمكه من ثمانية إلى عشرة سنتيمترات – وفتحة تهوية صغيرة واحدة في الأرض. لا تحتوي الفتحة على مسامير ظاهرة؛ مما يعني أنه يجِب أن تكون مثبتة من الداخل، والشرائح ضيقة جدًّا بالنسبة لأصابعي، وشفرة الفولاذ ملحومة بشكلٍ واضح في مكانها. ما يزال كل هذا مجرد مستوى أمانٍ متوسط لفتحة تهوية السجن. مع قليلٍ من الوقت والوضوح أكثر، سأجد طريقةً لإزالة الحاجز وإعادة استخدام الأجزاء. في النهاية، سأجد طريقةً لتفكيك كل شيءٍ في هذه الغرفة. سأقوم بتفكيك المرحاض المعدني والمغسلة المعدنية الضعيفة. سأصنع أدواتي وأسلحتي الخاصة وأجد طريقةً لتفكيك الأقفال والمفصَّلات ببطءٍ وبحذَر. أو ربما أُتلف الأنابيب وأغرق الغرفة والممرَّ المجاور لها؛ مما يُجبر أحدهم على القدوم إلى الباب.

كلما أسرعوا في إرسال شخصٍ إلى غرفتي، كان ذلك أفضل. إذا تركوني وحدي في زنزانتي لفترةٍ طويلة، فذلك لحمايتهم هم، وليس لجعلي أعاني. فأنا أتفوَّق في القتال اليدوي.

أعرف نفسي. أعرف قدرتي على تحمّل التعذيب الجسدي والعقلي المُعقد. إذا أردتُ يُمكنني أن أعطي نفسي أسبوعين – أو ربما ثلاثة أسابيع – للتخلِّي عن الوجبات المسمومة والاعتماد على الماء وحده قبل أن أفقِد عقلي أو قُدرتي على الحركة. أنا أعلم كم أستطيع أن أكون بارعًا إذا أُتيحت لي الفرصة، وهذا – هذا الجهد لسجني – يجب أن يكون مُرهقًا.

هناك عناية كبيرة في اختيار هذه الأصوات، والوجبات، والعادات، حتى في انعدام التواصُل الحَذِر هذا.

ليس هناك أي منطق في أن يُكلفوا أنفسهم عناء كل هذه المتاعب من أجل الخيانة. لا بد أنني أَعذّبُ لشيءٍ آخر.

أُفتِّش دماغي بحثًا عن الدافع، لكن ذكرياتي مشوَّشة بشكلٍ مفاجئ فيما يتعلق بماكس وإيفي. لا تزال تتشكَّل.

بصعوبةٍ إلى حدٍّ ما أستطيع استحضار ومضاتٍ من الصور.

مصافحة قصيرة مع والدي.

انفجار من الضحك.

دفقة مرحة من موسيقى العطلات.

مُختبر وأمي.

أتصلَّب.

مُختبر وأمي.

أركِّز أفكاري، وأركِّز على الذكريات: أضواء ساطعة، خُطى مكتومة، صوتي يسأل والدي سؤالًا ثم.. بشكلٍ مؤلمٍ..

يُصبح ذهني فارغًا.

أُقطب، أحدِّق إلى يديَّ.

لا شيء.

أعرف الكثير عن القادة الآخرين وعائلاتهم. لقد كان من واجبي أن أعرف. ولكن هناك نقص غير مُعتاد في المعلومات فيما يتعلق بأوقيانوسيا، وللمرة الأولى يصدِمني الخوف، هناك خطَّان زمنِيَّان يندمجان في ذهني – حياة مع إيلا وحياة بدونها – ولا أزال أتعلَّم فرز المعلومات بحثًا عن شيءٍ حقيقي.

لا يزال التفكير في ماكس وإيفي الآن يبدو أنه يُجهد شيئًا في دماغي. كما لو كان هناك شيءٌ ما، شيءٌ ما بعيد المنال، وكلما أجبرتُ عقلي على تذكرهما – وجوههما، أصواتهما – تألَّمتُ أكثر.

لماذا كل هذه المتاعب لسجني؟

لماذا ***لا*** *يقتلونني ببساطة؟*

لديَّ الكثير من الأسئلة التي تجعل رأسي يدور.

في تلك اللحظة يهتز الباب. صوت المعدن على المعدن حادٌّ ومُزعج، الأصوات تُثير أعصابي.

أسمع صوت فتح القفل، وأشعر بهدوءٍ غير مُعتاد. لقد خُلقتُ لتحمُّل هذه الحياة، ضرباتها، وطرقها المريضة السادية، ولم أخشَ الموت أبدًا.

لكن عندما يُفتَح الباب على مصراعيه، أُدرك خطئي.

تخيلتُ ألف سيناريو مُختلف. لقد هيَّأت نفسي لمجموعة لا حصر لها من الخصوم. لكني لم أستعِدّ لهذا.

يقول وهو يخطو إلى النور ضاحكا: مرحبًا يا فتى عيد الميلاد، هل اشتقتَ إليَّ؟
أجد نفسي فجأة غير قادر على التحرُّك.

19

جولييت إيلا

تصرخ إيمالين: توقَّفا.. توقفا يا إلهي، هذا مُقزز، توقَّفا. توقَّفا عن لمس بعضكما البعض! أنتما مُثيران للاشمئزاز.

يقرص أبي مؤخرة أُمي أمامنا مباشرة.

تصرخ إيمالين: يا إلهي، قلتُ توقف!

إنه صباح السبت، السبت هو اليوم الذي نصنع فيه الفطائر، لكن أبي وأمي لا يبدآن في الواقع في طهي أي شيء، لأنهما لا يتوقَّفان عن تقبيل بعضهما البعض. تكره إيمالين ذلك.

أظن أنه لطيف.

أجلس على المنضدة وأدعم وجهي بيدي، وأشاهد. أفضِّل المشاهدة. تحاول إيمالين باستمرار جعلِي أعمل، لكنني لا أريد ذلك. أُحب الجلوس أكثر من العمل.

-لا أحد يصنع الفطائر.

تبكي إيمالين، وتدور حول نفسها بغضبٍ شديد لدرجة أنها تُسقط وعاءً من العجين على الأرض: لماذا أقوم بكلِّ العمل؟

يضحك الأب: حبيبتي، نحن جميعًا معًا. (يلتقِط الوعاء الساقط، ومجموعة من المناشف الورقية) أليس ذلك أكثر أهمية من الفطائر؟

تقول إيمالين بغضب: لا، من المُفترض أن نصنع الفطائر. إنه يوم السبت، مما يعني أنه مِن المفترض أن نصنع الفطائر، وأنت وأُمي تقبِّلان بعضكما فقط، وإيلا كسولة...

أقول وأنا أقف: مهلًا...

-ولا أحد يفعل ما يفترض أن يفعله، وبدلًا من ذلك أقوم بذلك بمفردي...

يضحك كلٌّ من أبي وأمي الآن.

تصرخ إيمالين والدموع تسيل على وجهها: إنه ليس مُضحكًا، إنه ليس مضحكًا، ولا أحِب ذلك عندما لا يستمع إلي أحد، وأنا لا...

قبل أسبوعَين، كنتُ مستلقيةً على طاولة عمليات، عاجزة، عارية، وأفقد الدم من فتحةٍ في مؤخرة رأسي بحجم جرح طلقةٍ نارية. كانت رؤيتي ضبابية. لم أستطع سماع الكثير سوى صوت تنفُّسي، ساخن وثقيل

ويتردَّد في كل مكان، يتراكم من حولي. فجأة، ظهرت إيف في مجال رؤيتي. حدقت إلي؛ بدت مُحبطة. كانت تحاول إكمال عملية *إعادة التكيف الجسدي* كما تُسميها.

لسببٍ ما، لم تستطع إنهاء المهمة.

كانت قد فرَّغت بالفعل محتويات ستة عشر حقنةٍ في دماغي، وكانت قد صنعت عدة شقوق صغيرة في بطني، وذراعي، وفخذي. لم أستطع رؤية ما فعلته بالضبط بعد ذلك، لكنها تحدَّثت من حينٍ لآخر في أثناء عملها، وادَّعت أن الإجراءات الجراحية البسيطة التي تقوم بها ستقوِّي مفاصلي وتُعزز عضلاتي. أرادت أن أكون أقوى، وأن أكون أكثر مرونةً على مستوى الخلايا. كان ذلك إجراءً وقائيًّا، كما قالت. كانت قلقةً من أن بِنيتي ضئيلة جدًّا؛ وأن عضلاتي قد تتدهور في وقت مبكر في مواجهة التحديات البدنية الشاقة. لم تقل ذلك، لكنني شعرتُ بذلك: أرادت أن أكون أقوى من أختي.

همست: إيمالين.

من حُسن حظي أنني كنتُ منهكة للغاية، منكسرة للغاية، مُخدرة للغاية بحيث لا أستطيع التحدّث بوضوح. كان من حُسن حظي أنني كنتُ مُستلقية فقط، عيناي ترفرفان تُفتحان وتُغلقان. وشفتاي المُتشقِّقتان تجعلان من المستحيل فِعل أكثر من همهمة الاسم. كان من حُسن حظِّي أنني لم أستطع فهم ذلك على الفور، أنني كنت لا أزال أنا. لا أزال أتذكَّر كل شيءٍ على الرغم من وعود إيف بمحو ما تبقى من عقلي.

ومع ذلك، قلتُ الشيء الخطأ.

توقفَت إيف عمَّا كانت تفعله. انحنت فوق وجهي وتفحَّصتني بدقة.

أرمش.

لا تفعلي.

تظهر الكلمات في رأسي كما لو أنها زُرعت هناك منذ زمنٍ بعيد، كما لو أنني كنتُ أتذكر، أتذكر...

تراجعت إيف إلى الوراء وبدأتْ على الفور في التحدُّث في جهاز أمسكته في قبضتها. كان صوتها مُنخفضًا وخشنًا ولم أتمكَّن من تمييز ما قالته.

رمشت مرة أُخرى بارتباك. فتحتُ شفتيَّ لأقول شيئًا، عندما...

لا تفعلي.

جاءت الفكرة بشكلٍ أوضح هذه المرة.

بعد لحظة، كانت إيف في وجهي مرة أخرى، هذه المرة تُغرقني بالأسئلة.

أين ولدت؟

كم عمرك؟

من هم والديك؟

أين تعيشين؟

أصبحتُ فجأةً واعيةً بما يكفي لأفهم أن إيف تتحقّق من عملها. أرادت التأكّد من أن دماغي قد مُحِي تمامًا. لم أكن متأكِّدة ممَّا عليَّ قوله أو فعله، لذلك لم أقل شيئًا.

بدلًا من ذلك، رمشت.

رمشتُ كثيرًا.

أخيرًا وعلى مضضٍ ابتعدَت إيف، لكنها لم تبدُ مقتنعةً تمامًا بغبائي. وعندما ظننتُ أنها قد تقتُلني فقط لتكون آمنة، توقفت.. حدَّقتُ إلى الحائط.

ثم غادرت.

كنتُ أرتجف فوق طاولة العمليات لمدة عشرين دقيقة قبل أن يغمُر الغرفة فريق من الأشخاص. قاموا بفكِّ الأحزمة من فوق جسدي، وغسلوا ولفُّوا جراحي المفتوحة.

أظنُّ أنني صرخت.

في النهاية، أرهقني مزيج الألَم والتعَب والتنقيط البطيء للمواد المُسكِّنة، وفقدتُ الوعي.

لم أفهم أبدًا ما حدث في ذلك اليوم.

لم أستطع أن أسأل، لم تُفسر إيف، ولم يعُد الصوت الغريب الحاد في رأسي. ولكن بعدها خدَّرتني إيف كثيرًا في أسابيعي الأولى في هذا المَبنى إذ لم تكن هناك أي فرصة.

اليوم – لأول مرةٍ منذ ذلك اليوم – أسمع الصوت مرة أخرى.

أقف في وسط غرفتي، هذا الفستان الأصفر الرقيق لا يزال بين ذراعي، عندما يُهاجمني الصوت.

إنه يحبس أنفاسي.

إيلا!

أدور حولي، وأتنفَّس بسرعة. الصوت أعلى من أي وقتٍ مضى، مُخيف في شدَّته. ربما كنتُ مُخطئة بشأن تجربة إيف، ربما هذا جزءٌ منها، ربما الهلوسة وسماع الأصوات هو مقدمة للنسيان...

لا!

–من أنت؟

أقول والفستان يسقط على الأرض. يحدُث الأمر لي كما لو مِن مسافة. أقف في ملابسي الداخلية، أصرخ في الغرفة الفارغة، وهزة عنيفة تعصف بجسدي.

أضع الفستان الأصفر فوق رأسي بعُنف، طبقاته الخفيفة مثل الحرير على بشرتي. في حياةٍ أخرى، كنت سأُحب هذا الفستان. إنه جميل ومريح في نفس الوقت، المزيج المِثالي من الملابس. ولكن ليس هناك وقت لِمثل هذا النوع من التفاهة الآن.

اليوم، هذا الفستان مجرد جزء من الدور الذي يجب أن ألعبه.

لقد سكت الصوت في رأسي، لكن قلبي لا يزال ينبض بسرعة. أشعر بأنني مدفوعة إلى الحركة بالغريزة وحدَها، وبسرعة أرتدي زوجًا من أحذية التنس البيضاء البسيطة، وأربط الأربطة بإحكام. لا أعرف لماذا، ولكن اليوم.. الآن.. لسببٍ ما.. أشعر أنني قد أحتاج إلى الركض.

نعم.

أنتصِب.

يُضَخ الأدرينالين في عروقي، وتشعر عضلاتي بالتوتر، تحرقني لدرجةٍ جديدة بالنسبة لي. هذه هي المرة الأولى التي أشعر فيها بأيِّ آثارٍ إيجابية لإجراءات إيف. تُشعرني هذه القوة وكأنها زُرِعت في عظامي، كما لو أنني يُمكنني إطلاق نفسي في الهواء، كما لو أنني يُمكنني تسلُّق جدارٍ بيدٍ واحدة.

لقد عرفت القوة الخارقة من قبل، لكن تلك القوة كانت دائمًا تُشعرني وكأنها تأتي من مكانٍ آخر، وكأنها شيءٌ يجب أن أستفيد منه وأطلق سراحه. بدون قدراتي الخارقة – عندما أُطفئتْ قواي – تُرِكتُ مع جسد غير مُثير للإعجاب، هزيل. كنت محرومة من التغذية لسنوات، مُجبَرة على تحمّل ظروف جسدية وعقلية قاسية، وعانى جسدي من ذلك. كنتُ قد بدأت للتوِّ في تعلُّم أشكالٍ التمارين المناسبة في الشهرين الماضيين، وفي حين أن التقدم الذي أحرزتُه كان مفيدًا، إلا أنه كان مجرد خطوة أولى في الاتجاه الصحيح.

لكن هذا...

مهما فعلتْ إيف بي؟ هذا مختلف.

قبل أسبوعَين كنتُ في ألَم شديد لدرجة أنني بالكاد استطعتُ التحرك. في صباح اليوم التالي، عندما تمكنتُ أخيرًا من الوقوف بمُفردي، لم أرَ أي فرق واضح في جسدي إلا أن جسدي كان مُمتلئًا بكدماتٍ بسبعِ درجات من اللون الأرجواني من أعلى لأسفل. كل شيءٍ مؤلم. كنتُ أمشي في عذاب.

قالت لي إيف – بصفتها طبيبتي – إنها أبقتني مُخدَّرةً حتى أُضطر إلى البقاء ساكنة من أجل الشفاء بشكلٍ أسرع، لكن لم يكن لديَّ سبب لتصديقها، لا أزال لا أُصدقها. ولكن هذه هي المرة الأولى منذ أسبوعَين التي أشعر فيها بأنني طبيعية تقريبًا. لقد تلاشت الكدمات نسبيًّا. فقط مواقع الشق، نقاط الدخول الأكثر إيلامًا، لا تزال تبدو صفراء قليلًا.

ليس سيئًا.

أشدُّ قبضتي وأشعر بالقوة، بالقوة حقًّا، حتى مع الأصفاد المُتوهِّجة حول معصمي وكاحلي. لقد اشتقتُ بشدة إلى قواي، اشتقتُ إليها أكثر مما ظننتُ أنني يمكن أن أفتقِد شيئًا قد قضيتُ سنوات عديدة أكرهه في نفسي. ولكن لأول مرةٍ منذ أسابيع أشعر بالقوة. أعلَم أن إيف فعلت بي هذا – فعلت هذا لعضلاتي – وأعلَم أنه يجب أن أشكَّ فيها، لكن الشعور بالرضا جيد جدًّا لدرجة أنني لا أستطيع منع نفسي من التمتُّع بها.

والآن، أشعر وكأنني يُمكنني..

اركضي.

أتجمَّد في مكاني.

اركضي.

ألتفتُ مُراقِبةً الجدران والسقف: ماذا؟ أركض إلى أين؟

للخارج.

تنطلق الكلمة من خلالي، تتردَّد عبر قفصي الصدري، للخارج.. كما لو أن الأمر بهذه البساطة، كما لو أنه يُمكنني فتح مقبض الباب وأتخلَّص من هذا الكابوس. لو كانت مُغادرة الغرفة بهذه السهولة لفعلتُ ذلك، لكن إيف تُعزز الأقفال على باب غُرفتي بعدة طبقات من الأمان. رأيتُ آليات ذلك مرة واحدة فقط، عندما أعادتني إلى غرفتي بعد السماح لي بالنظر إلى الخارج لبضع دقائق. بالإضافة إلى الكاميرات السرية والشاشات الشبكية؛ يوجَد ماسح حيوي يقرأ بصمات إيف للسماح لها بالوصول إلى الغرفة. قضيت ساعات في محاولة فتح باب غرفتي، دون جدوى.

للخارج.

مرة أخرى، تلك الكلمة، صاخبة وقاسية داخل رأسي. هناك شيءٌ مُرعب في الأمل الذي يزحف خلالي عند التفكير في الهروب. يتشبَّث بي ويسحبني ويُغريني بأن أكون مجنونةً بما يكفي للاستماع إلى الهلوسات الغبية التي تُهاجم عقلي.

أفكر: قد يكون هذا فخًّا.

قد يكون كل هذا فعل إيف، شيءٌ يصبُّ في مصلحتها.

مع ذلك.

لا أستطيع منع نفسي.

أعبر الغرفة في عدة خطوات سريعة. أتردَّد، تحوم يدي فوق المِقبض، ومع الزفير الأخير أستسلِم.

ينفتح الباب بسهولة.

أقف في المدخل المَفتوح، قلبي ينبض بشكلٍ أسرع. تندفِع عبري موجة قوية من الشعور، وأبحث حولي بيأسٍ مُتفحصة العديد من الممرَّات التي تمتدُّ أمامي.

يبدو هذا مستحيلًا.

لا فكرة لديَّ إلى أين أذهب. لا فكرة إذا كنتُ مجنونة للاستماع إلى الصوت المتلاعب في رأسي بعد أن قضت أمي المجنونة ساعات في حقن أشياء في عقلي.

فقط عندما أتذكَّر أنني سمعتُ هذا الصوت لأول مرة ليلةَ وصولي - قبل لحظاتٍ من بدء إيف تعذيبي - بدأت أشكُّ في شكوكي.

أموت.

كان هذا ما قالَه لي الصوت في تلك الليلة الأولى. أموت.

كنتُ مُستلقيًا على طاولة عمليات، غير قادرة على الحركة أو التحدُّث. كنت أستطيع فقط الصراخ داخل رأسي وأردت أن أعرف أين كانت إيمالين. حاولت أن أُناديها.

قال الصوت: أموت.

خوف بارد يملأ دمي.

همستُ: إيمالين؟ هل هذا أنت؟

النجدة.

أخطو خطوةً واثقة إلى الأمام.

20

وارنر

يقول والدي: يبدو أنني وصلتُ مبكرًا قليلًا، أعلم أن عيد ميلادك غدًا، لكنني لم أستطِع الصبر أكثر من ذلك.

حدقتُ إلى والدي وكأنني أرى شبحًا. أو أسوأ من ذلك، عفريتًا مُزعجًا. لا أستطيع التحديد، ولسببٍ ما لا يبدو أنه يُمانع صمتي.

ثم...

يبتسِم.

ابتسامة حقيقية تُخفف حدَّة ملامحه وتُضيء عينَيه. نحن في شيءٍ يُشبه غرفة جلوس، مساحة مفتوحة مُشرقة بها أرائك وأكواب وطاولة مُستديرة ومكتب كتابة صغير في الزاوية. هناك سجادة سميكة. الجدران صفراء باهتة لطيفة، تشرق الشمس من خلال نوافذ كبيرة. يظهر شكلُ والدي من الخلف. يبدو خياليًّا، متوهّجًا وكأنه ملاك.

هذا العالم يملك حسَّ فكاهة مريضًا.

ألقى عليَّ روبًا عندما دخل زنزانتي، لكنه لم يُقدّم لي أي شيءٍ آخر. لم تُتَح لي الفرصة لتغيير ملابسي. لم يُعرَض عليَّ طعام أو ماء. أشعر أنني غير مُرتدٍ للملابس بشكلٍ كافٍ – ضعيف – وأنا أجلس أمامه بلا شيءٍ سوى ملابس داخلية باردة ورداء رقيق. ليس لديَّ حتى جوارب. خُف. *شيء ما*.

ويُمكنني فقط أن أتخيَّل شكلي الآن؛ حيث مضى أسبوعان تقريبًا منذ آخِر مرة حلقتُ شعري أو قصصتُه. تمكنتُ من الحفاظ على نظافتي في السجن، لكن شعري أصبحَ أطول قليلًا الآن. ليس كما كان من قبل، لكنه أقرب لذلك، ووجهي...

ألمس وجهي تقريبًا دون تفكير.

أصبح لمس وجهي عادةً إلى حدٍّ ما خلال الأسبوعَين الماضيين. لديَّ لحية. ليست لحية كثيفة، لكنها تكفي لمُفاجأتي في كل مرة. ليس لديَّ أي فكرة عن شكلي الآن.

جامح ربما.

أخيرًا أقول: من المُفترض أن تكون ميتًا.

يقول مبتسمًا: مفاجأة.

أُحدِّق إليه فقط.

يتكئ والدي على الطاولة ويضع يدَيه في جيبَي بنطاله بطريقةٍ تجعله يبدو صبيانيًّا.. ساحرًا.

هذا يجعلني أشعر بالغثيان.

أُبعد نظري عنه، وأبحث في الغرفة عن المساعدة. تفاصيل.. شيء يُثبتني، شيء يفسر ***وجوده***، شيء يُسلحني ضدَّ ما قد يأتي.

أصل إلى طريق مسدود.

يضحك: أتعلم، يُمكنك إظهار القليل من المشاعر. في الواقع كنت أظنك ستكون سعيدًا برؤيتي.

لفت هذا انتباهي. أقول: لقد كنتُ مخطئًا، لقد سُررتُ لسماع نبأ وفاتك.

يُميل رأسه: هل أنت متأكد؟ هل أنت متأكد أنك لم تذرف دمعة واحدة من أجلي؟ لم تفتقدني حتى قليلًا؟

كل ما يتطلَّبه الأمر هو لحظة تردُّد. التأخير لمدة نصف ثانية حيث أتذكَّر الأسابيع التي قضيتُها محاصرًا في سجنٍ من الحزن نصف المُكتمل، أكره نفسي على حُزني عليه، وأكره أنني اهتممتُ به من الأساس.

أفتح فمي لأتحدّث ويُقاطعني بابتسامةٍ منتصرة: أعلم أن هذا يجب أن يكون مزعجًا بعض الشيء. وأعلم أنك ستتظاهر بعدَم الاهتمام. لكننا نعلم جميعًا أن قلبك الرحيم كان دائمًا مصدر كل مشاكلنا، ولا فائدة من محاولة إنكار ذلك الآن. لذا سأكون كريمًا وأعرض أن أتغاضى عن سلوكك الخائن.

أتجمَّد في مكاني.

لم يعُد والدي يبتسِم الآن: لم تظن أنني سأنسى، أليس كذلك؟ محاولتك الإطاحة بي.. بحكومتي، وبقارَّتي.. ووقوفك جانبًا مثل قطعة قمامة بائسة بينما تُحاول حبيبتك قتلِي.. وتظن أنني لن أذكر ذلك أبدًا؟

لا أستطيع النظر إليه بعد الآن. لا أحتمِل رؤية وجهه الذي يُشبه وجهي تمامًا. بشرته لا تزال مثالية، بلا ندوب. كما لو أنه لم يُصَب بأذًى قط. لم يتلقَّ رصاصةً في جبهته.

أنا لا أفهم ذلك.

-لا؟ ألن تُجيب؟ في هذه الحالة قد تكون أذكى مما ظننت.

ها هو.. هذا يبدو أكثر شبهًا به.

-ولكن الحقيقة تبقى أننا الآن عند مُفترق طرق مُهم. اضطررت لاستدعاء عددٍ من الخدمات لنقلك إلى هنا دون أن يُصيبك أذًى. كان المجلس سيصوِّت على إعدامك بتهمة الخيانة، ولكن تمكنتُ من إقناعهم بخلاف ذلك.

-لماذا كلفت نفسك عناء المحاولة؟

تَضيقُ عيناه وهو يُقيِّمني. يقول: أنقذت حياتك وهذا هو ردُّ فعلك؟ الوقاحة؟ عدم الامتنان؟

أقول بحدة: هذا، هو مفهومك لإنقاذ حياتي؟ رميتَني في السجن وسمَّمْتنِي حتى الموت؟

تصير نظرته باردة: كان يجب أن تكون نزهة. سيكون من الأفضل لك الموت حقًّا إذا كانت تلك الظروف كافية لكسر عزيمتك.

لا أقول شيئًا.

يُشيح والدي بنظرِه بعيدًا: بجانب ذلك كان علينا مُعاقبتك بطريقةٍ ما. لا يمكن ترك أفعالك دون رادع. كان لدَينا الكثير من الفوضى التي يجِب تنظيفها، أين ظننتني كنتُ طوال هذا الوقت؟

-كما قلت، ظننتُك ميتًا.

يقول وهو يأخذ نفسًا: قريبًا من ذلك، ولكن ليس تمامًا. لقد أمضيتُ وقتًا طويلًا في النقاهة. هنا. نُقِلت جوًّا إلى هنا حيث استقبلني آل سومرز. يرفع حافة بنطاله وأُلقي نظرة خاطفة على وميضِ الفضة المعدني حيث يجِب أن يكون كاحِلَه) «لديَّ قدمان جديدتان، (يضحك) هل تُصدق ذلك؟»

لا أستطيع. لا أستطيع تصديق ذلك.

أنا مذهول.

يبتسم، راضيًا بوضوح عن ردِّ فعلي: لقد سمحنا لك ولأصدقائك بالتفكير في أنكم حقَّقتم انتصارًا لفترة كافية لمنحي الوقت للتعافي. أرسلنا بقية الأطفال إلى هناك لتشتيت انتباهكم، لجعل الأمر يبدو وكأن إعادة التأسيس قد تقبل قائدها الجديد المُعيَّن ذاتيًّا. (يهز رأسه) طفلة تبلغ من العمر 17 عامًا تعلن نفسها حاكمةً لأمريكا الشمالية.

يقول تقريبًا لنفسه، ثم ينظر لأعلى: كانت تلك الفتاة حقًّا مُميزة، أليس كذلك؟

يشتعل الذُّعر في صدري: ماذا فعلت بها؟ أين هي؟

تختفي ابتسامة والدي: لا، بالتأكيد لا.

-ماذا يعني ذلك؟

-يعني لا *بالتأكيد*، تلك الفتاة انتهت. لقد رحلت. لا مزيد من التسكع في فترة ما بعد الظهيرة مع أصدقائك من أوميجا بوينت. لا مزيد من الركض عاريًا مع صديقتك الصغيرة. لا مزيد من الجنس في فترة ما بعد الظهر بينما يُفترَض بك العمل.

أشعر بالغثيان والغضب في نفس الوقت: لا تجرؤ على.. لا تتحدَّث عنها هكذا على *الإطلاق*. ليس لديك الحق...

يتنهّد بعمق وبصوتٍ عالٍ. يُتمتم بشيء سيِّئ: متى ستتوقف عن هذا؟ متى ستكبَر؟

يتطلَّب الأمر كل ما لديَّ لأكتم غضبي. لأجلس هنا بهدوء ولا أقول شيئًا. بطريقةٍ ما، يجعل صمتي الأمور أسوأ.

يقول وهو يقف على قدمَيه: اللعنة، آرون. أظل أنتظر أن تمضي قدمًا. أن تتجاوزها، أن تتطوَّر. (يصرخ تقريبًا الآن) لقد مضى أكثر من عقدٍ على نفس هذا الهراء.

أكثر من عقد.

زلَّة لسان.

أقول وأنا أتفحَّصه بعناية: ماذا تقصد، «أكثر من عقد»؟

يقول مُختزِلًا الكلام: أنا أَبالِغ، أبالِغ لأوضِّح وجهة نظري.

-*كاذب*.

لأول مرة، تلمع نظرة غير مؤكدة في عينَي والدي.

أقول بهدوء: هل ستعترف؟ هل ستعترف لي بما أعرفه بالفعل؟

يضغط فكَّيه معًا، ولا يقول شيئًا.

أقول: اعترف. جولييت اسم مستعار. جولييت فيرارز هي في الحقيقة إيلا سومرز، ابنة إيفي وماكسيميليان سوم...

-كيف...؟

يبدأ والدي في الكلام، ثم يتوقَّف، يُحول بصرَه بعيدًا ثم يعود ويلقِي عليّ نظرة سريعة مرة أخرى وكأنه يقرر شيئًا ما.

أخيرًا يُومئ برأسه ببطء.

يقول بهدوء: أتعلَم ماذا؟ من الأفضل أن يكون الأمر كذلك. من الأفضل أن تعرف، من الأفضل أن تفهَم بالضبط لماذا لن تراها مرةً أخرى.

-هذا ليس قرارك.

-ليس قراري؟

يغضب ويختفي هدوءُه سريعًا. تظهر وتختفي النيران في عينَيه، وسرعان ما ينهار قِناعه الهادئ.

يقول: هذه الفتاة كانت لعنة وجودي لمدة اثنَي عشر عامًا. لقد تسببَتْ لي في مشاكل أكثر مما يُمكنك حتى أن تفهمها، وأقلُّها أنها كانت تُشتت انتباه ابني الأحمق لجزءٍ كبير من العقد الماضي. على الرغم من كل جهدي لفصلكما - لإزالة هذا السرطان من حياتنا - فقد أصررتَ مرارًا وتكرارًا على الوقوع في حُبها. (يحدق إليَّ، وعيناه تبرقان من الغضب) لم تكن لك يومًا، لم تكن مُخصَّصة لأيٍّ من هذا. حُكِم على تلك الفتاة بالإعدام، (يقول بوحشية) في اللحظة التي أسميتُها جولييت.

قلبي ينبض بقوة، أشعر وكأنني أحلم. يجب أن يكون هذا كابوسًا. يجب أن أُجبر نفسي على الكلام. لأقول:

-ما الذي تتحدَّث عنه؟

يلتوي فمُ والدي مُشكلًا ما يُشبه الابتسامة.

يقول: إيلا صُمِّمت لتُصبح أداة للحرب - هي وأختها على حدٍّ سواء - منذ البداية. قبل عقود من استيلائنا على السلطة بدأت الأمراض في تدمير السكان. كانت الحكومة تحاول إخفاء المعلومات، لكننا كنا نعرف. رأيت الملفات السرية. تعقبتُ أحد المخابئ السرية. كان الناس يتعطلون.. ويتحولون.. لدرجة أنه بدا وكأن هذا المرحلة التالية من التطور. كانت إيفي الوحيدة التي رأت المرض كأداة، كانت هي أول من بدأ

دراسة غير الطبيعيِّين. كانت هي السبب في إنشائنا للمصحَّات – أرادت الوصول إلى المزيد من أنواع الأمراض – وكانت هي من تعلَّم كيفية عزل وإعادة إنتاج الحمض النووي الفضائي. كانت فكرتها هي استخدام النتائج لمساعدة قضيتنا. إيلا وإيمالين (يقول بغضب) كانتا دائمًا مجرد تجارب علمية لإيفي. لم تكن إيلا مُخصَّصة لك. لم تكن مُخصَّصة لأي شخص، (يصرخ) أخرِجْها من رأسك.

أشعر بالتجمُّد بينما تستقر الكلمات من حولي. بداخلي. الاكتشاف ليس جديدًا تمامًا ومع ذلك.. الألم شديد. يبدو أن الوقت يتباطأ، يتسارع، يدور للخلف. أُغلق عيني. تتجمَّع ذكرياتي وتتوسَّع، وتنفجر بمعنى جديد بينما تُهاجمني كلها دفعة واحدة...

إيلا عبر السنوات.

صديقة طفولتي.

إيلا، التي انتُزعت مني عندما كنت في السابعة من عمري. إيلا وإيمالين، اللتان قيل لي إنهما غرقتا في البحيرة. أخبروني أن أنسى، أن أنسى الفتاتين تمامًا، وأخيرًا، بعد أن ملُّوا من الإجابة على أسئلتي، أخبروني أنهم سيجعلون الأمر أسهل بالنسبة لي. تبعتُهما إلى غرفةٍ حيث وعدا بشرح كلِّ شيء.

ثم بعد ذلك...

وجدتُ نفسي مقيدًا إلى كرسي، ورأسي مثبتٌ في مكانه بمشابك معدنية ثقيلة. تومِض المصابيح الساطعة وتُصدر صوت طنينٍ فوقي.

سمعت أصوات أجهزة الرصد وهي تُصدر أصوات صفير، وأصواتًا مكتومة لأُناسٍ من حولي. الغرفة تبدو أنها كبيرة وواسعة ولا معة. أسمع أصوات تنفُّسي العالية المُزعجة، وضربات قلبي القوية والثقيلة.

أرتجف قليلًا من الشعور غير المرغوب فيه بيدِ والدي على ذراعي، وهو يُخبرني أنني سأشعر بتحسُّن قريبًا.

أرفع رأسي نحوَه وكأنني أخرج من الحلم.

يقول: ما الأمر؟ ماذا حدث للتو؟

أفتح شفتيَّ للتحدّث، وتساءلتُ عما إذا كان من الآمن إخباره بالحقيقة.

لقد قررت أنني سئمتُ من الأكاذيب.

أقول: لقد كنتُ أتذكرها.

وجه والدي يُصبح خاليًا من التعابير بشكلٍ غير متوقَّع، وهذا هو رد الفعل الوحيد الذي أحتاجُه لفهم القطعة الأخيرة المفقودة.

أقول له: لقد كنتَ تسرق ذكرياتي، (صوتي هادئ بشكلٍ غير طبيعي) طوال هذه السنوات. لقد كنتَ تعبث بعقلي. كان هذا أنت.

لا يقول شيئًا، لكنني رأيتُ التوتَّر في فكِّه، ووثبة مفاجئة في الوريد تحت جلده: ماذا تتذكر؟

أهزُّ رأسي مذهولًا وأنا أنظر إليه: كان يجب أن أعرف. بعد كل ما فعلته بي.. (أسكت، يزوغ بصري، فاقدًا للتركيز للحظة) بالطبع لن تسمح لي أن أكونَ المُسيطر على عقلي الخاص.

يقول بصعوبة بالِغة في السيطرة على الغضب في صوته الآن: ماذا تتذكر بالضبط؟ ما الذي تعرفه أيضًا؟

في البداية، لم أشعر بأي شيء.

لقد درَّبتُ نفسي جيدًا جدًّا. علَّمتني سنوات من التدريب على دفن مشاعري كردِّ فعلٍ تلقائي – خاصة في حضوره – يستغرق الأمر بضعَ ثوانٍ حتى تظهر المشاعر. تتشكَّل ببطء، أيادي لا نهاية لها تخرج من قبورٍ لا نهاية لها لتؤجِّج نيران غضبٍ قديم لم أسمح لنفسي حقًّا بلمسِه.

أقول بهدوء: لقد سرقتَ ذكرياتي عنها. لماذا؟

يُحدق إليَّ ويقول: دائمًا تركِّز على الفتاة. ليست هي مركَز كل شيءٍ يا آرون. لقد سرقتُ ذكرياتك عن الكثير من الأشياء.

أهز رأسي. أقِف على قدميَّ ببطء، أشعر وفي الحال أفقد عقلي، لكني هادئ تمامًا، وأخشى للحظةٍ أنني قد أموتُ من شدة كلِّ ما أشعر به تجاهه. كراهية عميقة لدرجة أنها قد تَغليني حيًّا.

–لماذا تفعل شيئًا كهذا بي إلا لتَعذيبي؟ كنت تعلم بما شعرتُ به تجاهها. لقد فعلتَ ذلك عن قصد. دفعتَنا نحو بعضنا البعض ثم أبعدتنا...

أتوقَّف عن الكلام فجأة، ويَغمرني الإدراك، مشرقًا وثاقبًا، أنظر إليه غير قادر على فهم عُمق قسوته.

أقول: لقد وضعتَ كينت تحت قيادتي عمدًا.

تُقابلني عينا والدي بنظراتٍ فارغة، ولا يقول شيئًا.

أقول له: أجد صعوبةً في تصديق أنك لم تكن تعرف مكان أطفالك غير الشرعِيِّين. لا أُصدق للحظةٍ أنك لم تكن تراقِب كل حركةً يقوم بها كينت. يجب أن تكون قد عرفتَ ماذا كان يفعل بحياته. يجب أن تكون قد أُخطِرت في اللحظة التي جُنّد فيها.

أقول: كان بإمكانك أن ترسِله إلى أي مكان. كان لديك القوة للقيام بهذا. بدلًا من ذلك، تركته يستمرُّ في القطاع 45 – تحت وصايتي – عمدًا، أليس كذلك؟ وعندما جعلتَ ديلالو يُظهر لي تلك الملفات.. عندما جاء إليَّ وأقنعني بأن كينت سيكون رفيق الزنزانة المِثالي لجولييت لأن هناك دليل على أنه يعرفها، وأنهما ذهبا إلى المدرسة معًا.

يبتسم والدي فجأة.

يقول بهدوء: لقد حاولتُ دائمًا إخبارك. لقد حاولت إخبارك بالتوقّف عن السماح لعواطفك بالتحكم في عقلك. مرارًا وتكرارًا، حاولتُ تعليمك، وأنت لم تستمِع أبدًا. أنت لم تتعلَّم أبدًا. (يهزّ رأسه) إذا كنت تُعاني الآن، فذلك لأنك جلبتَ ذلك على نفسك. لقد جعلتَ من نفسك هدفًا سهلًا.

إنني مذهول.

بطريقةٍ ما، حتى بعد كل شيء، تمكن من صدمتي: لا أفهم كيف يمكنك الوقوف هناك، والدفاع عن أفعالك، بعد أن أمضيتَ عشرين عامًا في تعذيبي.

-لقد كنتُ أحاول فقط أن أُعلّمك درسًا يا آرون. لم أكن أريد أن ينتهي بك الأمر مثل والدتِك. لقد كانت ضعيفةً مثلك تمامًا.

أحتاج لقتلِه.

أتصوَّر ذلك: كيف سيكون الأمر عندما أُثبِّته على الأرض، أو أطعنه مرارًا وتكرارًا في قلبه، أو أُشاهد الضوء يخرج من عينَيه، أو أشعر بجسده يبرد تحت يدي.

أنتظر الشعور بالخوف.

بالاشمئزاز.

بالندم.

لكنهم لا يأتون.

ليس لديَّ أي فكرة عن كيفية نجاته من المحاولة الأخيرة لقتلِه، لكنني لم أعُد أهتم بمعرفة الإجابة. أريده ميتًا. أريد أن أشاهد دمَه يتجمَّع بين يدي. أريد أن أُمزّق رقبته.

ألمح فتَّاحة رسائل على مكتب الكتابة القريب، وفي الثانية الوحيدة التي آخُذها لسرقتها، يضحك والدي.

يضحك.

بصوتٍ عالٍ. مُنحنيًا، ويد واحدة تُمسك جانبه. عندما يرفع نظره، كانت هناك دموع حقيقية في عينَيه.

يقول: هل فقدتَ عقلك؟ آرون، لا تكن سخيفًا.

أتقدم للأمام، وقبضتي غير مُحكمة الإغلاق على فتَّاحة الرسائل. وأُراقب، بعناية، اللحظة التي يفهم فيها أنني سأقتُله. أريده أن يعرف أنني سأفعل. أريده أن يعرف أنه حصل أخيرًا على ما أراد.

إنه كسرني أخيرًا.

أقول بهدوء: لقد ارتكبتَ خطأً بإنقاذ حياتي، لقد ارتكبتَ خطأً بإظهار وجهك. لقد ارتكبتَ خطأً عندما ظننتَ أنك تستطيع أن تطلُب منِّي العودة، بعد كل ما فعلته...

يقف منتصبًا مرةً أخرى، وقد اختفت الضحكة من وجهه: لقد أسأتَ فهمي. أنا لا أطلب منك العودة. ليس لديك خيار.

-حسنًا. هذا يجعل الأمر أسهل.

يهز رأسه: آرون. أنا لستُ أعزلَ. أنا على استعدادٍ تامٍّ لقتلك إذا تجاوزت حدودك. ورغم أنني لا أستطيع أن أزعم أن قتلَ ابني هو طريقتي المُفضلة لقضاء الصباح، فهذا لا يعني أنني لن أفعل ذلك. لذا عليك أن تتوقَّف وتُفكر - ولو للحظة - قبل أن تتقدَّم وتنتحر.

أتفحَّصه. أصابعي تتلوَّى حول السلاح في يدي، أقول: أخبِرني أين هي، وسأفكر في إنقاذ حياتك.

-يا أحمق. ألم تكن تستمع إليّ؟ لقد رحلَت.

أتصلَّب. أيًّا كان ما يَعنيه بذلك فهو لا يكذب: رحلت إلى أين؟

يقول بغضب: رحلت، اختفت. الفتاة التي كنتَ تعرفها لم تعُد موجودة.

يُخرج جهاز تحكُّم عن بُعد من جَيب سترته ويوجِّهه نحو الحائط. تظهر صورة على الفور، منقولة من مكانٍ آخر، والصوت الذي يملأ الغرفة مفاجئ للغاية - مزعج وغير متوقَّع - يكاد يجعلني أركع على ركبتي.

إنها إيلا.

تصرخ.

تتساقط الدماء من فمِها المفتوح الصارخ، ولا يقطع الأصوات المؤلِمة إلا النحيب المُتقطع الذي يسحب أنفاسًا مُتقطعة مؤلِمة من جسدها. عيناها نصف مفتوحتَين، في حالة هذيان، وأنا أُشاهدها وهي تُفَك من الكرسي وتُجَرُّ على نقَّالة. يتشنَّج جسدها، وترتجف ذراعاها وساقاها بشكلٍ لا يمكن السيطرة عليه. إنها ترتدي ثوب المُستشفى الأبيض، وأربطته الرقيقة تتفكك، والقماش الخفيف مُبلل بدمائها.

ترتجف يداي بشكلٍ لا يمكن السيطرة عليه وأنا أُشاهدها، ورأسها يتأرجح ذهابًا وإيابًا، وجسدُها يتلوَّى ضد القيود. تصرخ مرةً أخرى وتخترقني صاعقة من الألَم، شديدة لدرجة أنها تكاد تقسمني إلى نصفَين. ثم، بسرعة - وكأنها خرجَت من العدم - يتقدَّم شخص ما ويطعنها بإبرةٍ في رقبتها.

تصمت إيلا.

يتجمّد جسدها، وتغمر وجهها لحظة واحدة من الألَم قبل أن يبدأ تأثير المخدر، فتنهار. تتحول صراخاتها إلى أنينٍ أصغر وأكثر ثباتًا. تبكي حتى وهي تُغمض عينَيها.

أشعر بمرضٍ شديد.

ترتجف يداي بشدة حتى إنني لم أعُد أستطيع تشكيل قبضة، وأراقب، كما لو كنت من بعيد، بينما تسقط فتَّاحة الرسائل على الأرض. أظل ساكنًا، وأكبح الرغبة في التقيؤ، لكن الفعل يُثير رعشة مُربكة لدرجة أنني أفقد توازُني تقريبًا. ببطء، أستدير لمواجهة والدي، الذي كانت نظراته غير مفهومة.

يستغرق الأمر محاولتَين قبل أن أتمكن من تكوين كلمة واحدة هامسة: ماذا؟

يهز رأسه في صورةٍ من التعاطف الزائف: أحاول أن أجعلك تفهم. هذا.. (يهز رأسه نحو الشاشة) هذا ما هو مقدَّر لها. إلى الأبد. توقف عن تخيُّل حياتك معها. توقَّف عن التفكير فيها كشخص...

أقول مقاطعًا إياه، شاعرًا بالجنون وعدم الاتزان: هذا لا يمكن أن يكون حقيقيًّا، هذا.. قل لي إن هذا ليس حقيقيًّا. ماذا تفعل بي؟ هل هذا...

يقول: بالطبع إنه حقيقي، لقد رحلت جولييت. رحلت إيلا. لقد ماتت تمامًا. لقد تم مسح عقلها منذ *أسابيع*. لكنك ما تزال تملك حياةً لتعيشها، هل تستمع إليَّ؟ عليك أن تتماسك.

ولكنني لا أستطيع سماعَه فوق صوت بكاء إيلا.

ما زالت تبكي.. الأصوات أكثر هدوءًا وحزنًا ويأسًا. تبدو مرعوبة. صغيرة وعاجزة بينما تُضمِّد أيادي غريبة الجروح المفتوحة على ذراعَيها وظهر ساقَيها. أشاهد الأصفاد المعدنية المتوهِّجة مُقيدة بمعصمَيها وكاحلَيها. تئنُّ مرة أخرى.

وأشعر بالجنون.

لا بد أنني كذلك. الاستماع إلى صراخها.. مشاهدتها تكافح من أجل حياتها، مشاهدتها تختنق بدمِها بينما أقف هنا عاجزًا عن مساعدتها... لن أتمكن أبدًا من نسيان الصوت.

بصرف النظر عما يحدث، بصرف النظر عن المكان الذي أركض إليه، فإن هذه الصرخات - صرخاتها - ستُطاردني إلى الأبد.

أهمس الآن، وبالكاد أستطيع التحدث: لقد أردتَ مني أن أشاهد هذا؟ لماذا تريد مني أن أشاهد هذا؟

يقول شيئًا. يصرخ بشيءٍ في وجهي. لكنني أشعر فجأة بالصمم.

تبدو أصوات العالم مشوَّهة، بعيدة، وكأن رأسي قد غمرته المياه. لقد انطفأت النار في دماغي، وحلَّ محلها هدوء مفاجئ مُطلق. شعور باليقين. أعلم ما يجب أن أفعله الآن. وأعلم أنه لا يُوجَد شيء.. لا شيء لن أفعله للوصول إليها.

أشعر بذلك، أشعر بأخلاقي القليلة تتلاشى، أشعر ببشرتي البشرية الهشة التي أكلتها العثة تتفكَّك، ومعها الحجاب الذي يمنعني من الظلام الدامس. لا تُوجَد خطوط لن أتجاوزها. لن أغرق في أوهام الرحمة...

أردت أن أكون أفضل من أجلها. من أجل سعادتها. من أجل مُستقبلها.

ولكن إذا رحلت، ما فائدة الخير؟

آخُذ نفسًا عميقًا ثابتًا. أشعر بتحرُّرٍ غريب، لم أعُد مقيدًا بالتزام باللياقة. وبحركة بسيطة التقطت فتاحة الرسائل التي أسقطتها على الأرض.

يقول محذرًا: آرون.

أقول: لا أريد أن أسمعك تتحدَّث، لا أريدك أن تتحدَّث معي مرة أخرى أبدًا.

أُلقي بالسكين حتى قبل أن تخرج الكلمات من فمي. تطير بقوةٍ وسرعة، وأستمتع باللحظة التي تحلِّق فيها في الهواء. أستمتع بالطريقة التي تتوسَّع بها الثانية، وتنفجر في غرابة الوقت. كل شيء يبدو وكأنه حركة بطيئة. تتَّسع عينا والدي في عرضٍ نادر للصدمة غير المتوقَّعة، وأبتسِم لصوتِ شهقتِهِ عندما يجِدُ السلاحُ هدفَه. كنت أهدف إلى وريده الوداجي، ويبدو أن هدفي كان صحيحًا. يختنق، تنتفِخ عيناه بينما تتحرك يداه، مرتجفتَين لسحب فتَّاحة الرسائل من مكانها في عنقه.

يسعل فجأة، والدم يتناثر في كل مكان، وببعض الجُهد، يتمكن من جذب الفتاحة. يتدفّق الدم الساخن على قميصه، ويتسرَّب من فمه. لا يستطيع التحدث؛ فقد اخترقت الشفرة حنجرته. بدلًا من ذلك يلهث، ولا يزال يختنق، وفمه ينفتح وينغلق مثل سمكةٍ تحتضر.

يسقط على ركبتَيه.

تقبض يداه على الهواء، وتقفز عروقه تحت جلده، وأتقدَّم نحوه. أُراقبه وهو يتوسَّل، بصمت، من أجل شيء، ثم أتفحَّصه، وآخُذ المسدَّسَين اللذَين وجدتهما مَخفِيَّين معه في جيبه.

أهمس قبل أن أبتعد: استمتع بالجحيم.

لا شيء يهمُّ بعد الآن.

يجب أن أجدها.

21

جولييت إيلا

يسار.

يمين.

بشكل مستقيم.

يسار.

تستمر هذه الأوامر في توجيه خطواتي بأمانٍ عبر الممر. هذا المجمع ضخم للغاية. غاية في الضخامة. كانت غرفتي عادية للغاية، لذا فإن حقيقة هذا المكان مذهلة. هيكل مفتوح يكشف عن عشرات الطوابق والأروقة والسلالم المتشابكة مثل الطرق السريعة والكباري. يبدو السقف على بُعد أميال، مرتفعًا وقَوسيًّا ومعقدًا. تلتقي أعمدة الصُلب المكشوفة مع الممرَّات البيضاء الناصعة مُحاطة بفناءٍ داخلي مفتوح. لم أكن أعرف أنني كنتُ على ارتفاع كبير للغاية. وبطريقةٍ ما – بالنسبة لِمثل هذا المبنى الضخم – لم يتم رصدي بعد.

تزداد الأمور غرابةً مع مرور الوقت.

لا أُصادف أحدًا في أثناء سيري؛ يتم أمري بالركض أو تغيير المسار أو الاختباء في الوقت المناسب لتجنُّب المارَّة. إنه أمر غير طبيعي. ومع ذلك، فقد كنتُ أسير لمدة عشرين دقيقة على الأقل، ولا يبدو أنني أقترب من أي شيء. ليس لديَّ أي فكرة عن مكاني في هذا المُخطط، ولا توجَد نوافذ قريبة. يشعر المبنى بأكمله وكأنه سجن مَطلي بالذهب.

بدأَ طولُ فترة الصمت بيني وبين صديقتي الخيالية في إصابتي بالقلق. أظن أن هذا الصوت قد يكون لإيمالين، لكنها لم تؤكِّد ذلك بعدُ. ورغم أنني أريد أن أقول شيئًا، أشعر بالغباء في التحدّث بصوتٍ عالٍ. لذلك أتحدث فقط داخل ذهني عندما أقول:

إيمالين؟ هل أنت هناك؟

لا يوجد ردّ.

يصل قلقي إلى ذروتِهِ وأتوقَّف عن المشي.

أين تأخذينني؟

هذه المرة، يأتي الجواب بسرعة:

المخرج.

أسأل: *هل نقترب؟*

نعم.

آخُذ نفسًا عميقًا وأمضي قدمًا، لكنني أشعر بالخوف الزاحف يخترق حواسِّي. كلما طالت مدة سيري – عبر الممرَّات والسلالم اللانهائية – يبدو أنني أقترب من شيءٍ ما.. شيء يملؤني بالخوف. لا يُمكنني شرح ذلك.

من الواضح أنني ذاهبة تحت الأرض.

تزداد الأضواء خفوتًا في أثناء سيري. تبدأ الممرَّات في الضيق. تبدأ النوافذ والسلالم في الاختفاء. وأنا أعلم أنني أقترب فقط من عُمق المبنى عندما تتغير الجدران. تختفي الجدران البيضاء الناعمة المَطلية الخاصة بالأدوار العُليا. هنا، كل شيء من الإسمنت غير المُكتمل. رائحته باردة ورطبة. ترابية. الأضواء تزمِّر وتزمجِر، وتنقطع من حينٍ لآخر.

يستمر الخوف ينبضُ في عمودي الفقري.

أتدحرج أسفل منحدَر طفيف، ينزلق حذائي قليلًا في أثناء سيري. تضيق أنفاسي. أشعر بصوت ضربات قلبي مرتفعًا للغاية. ويبدأ شعور غريب في ملء ذراعيَّ وساقيَّ. شعور.. الكثير من الشعور.. يجعل بشرتي تقشعر، ويجعل عظامي تَخِزُني. أشعر فجأة بالقلق والتوتر. وبينما أكون على وشك فقدان الأمل في طريق الهروب المجنون المتعرّج هذا...

هنا!

أتوقَّف.

أقف أمام بابٍ حجري ضخم. قلبي ينبض بسرعة في حلقي. أتردد، يبدأ الخوف في تفتيت يقيني.

افتحي الباب.

أسأل مرة أخرى، هذه المرة بصوتٍ عالٍ: من أنت؟ لا يبدو هذا طريق هروب.

افتحي الباب.

أُغمض عيني؛ أملأ رئتي بالهواء.

أقول لنفسي: *لقد جئتُ كل هذا الطريق*، ليس لديَّ خيارات أخرى في الوقت الحالي. لماذا لا أُكمل الأمر حتى النهاية!

لكن عندما أفتح الباب أُدرك أنه مجرد أول باب من عدَّة أبواب. المكان الذي أذهب إليه مَحمي بعدةِ طبقاتٍ من الأمن، الآليات اللازمة لفتح كل باب مُحيرة، لا توجَد أزرار أو مقابض أو مفصلات تقليدية، وكل ما عليَّ فعله هو لمس الباب لينفتح.

الأمر سهل للغاية.

أخيرًا أقف أمام جدارٍ فولاذي. لا يُوجَد هنا ما يُشير إلى وجود غرفة وراءه.

المِسيهِ.

ألمِس المعدن بأصبعي بحذَر.

أكثر!

أضغط يدي بأكملها بقوة على الجدار، وفي غضون ثوانٍ، يذوب الجدار. أنظر حولي بقلقٍ وأتقدَّم خطوة إلى الأمام.

على الفور، أعرف أنني قد تمَّ تضليلي.

أشعر بالغثيان وأنا أنظر حولي، بالغثيان والخوف، هذا المكان بعيد جدًّا عن أن يكون مهربًا، لا أستطيع تصديق أنني وقعتُ في فخِّها. أنا في مُختبر.

مختبر آخر.

يكسر الذُّعر شيئًا ما بداخلي، عظامًا وأعضاء تصطدم ببعضها البعض، والدم يسارع إلى رأسي. أركض نحو الباب فيُغلق بإحكام، يتشكَّل الجدار الفولاذي بسهولة، كما لو كان من الهواء.

آخُذ بضعة أنفاس حادة، وأطلب من نفسي أن أظلَّ هادئة.

أصرخ: أظهِري نفسك، من أنت؟ ماذا تُريدين منِّي؟

ساعديني!

يتوقف قلبي عن الخفقان. أشعر بخوفي يتمدَّد ويتقلص.

أموت.

تُغطي القشعريرة بشرتي. تتقطع أنفاسي؛ أكوِّر قبضتي. آخُذ خطوة أخرى إلى داخل الغرفة، ثم بضع خطوات أخرى. ما زلتُ حذرة، قلِقة من أن يكون هذا كله مجرد جزءٍ آخر من الخدعة..

ثم أراها.

أسطوانة زجاجية بطولِ وعرضِ الجدار، مُمتلئة حتى أقصاها بالماء. هناك مخلوق يطفو داخلها. شيء أكبر من الخوف يدفعني إلى الأمام، أكبر من الفضول، أكبر من التعجُّب.

يغمُرني الشعور.

تندفع الذكريات نحوي.

ذراع نحيل يمتدّ عبر الماء العكر، أصابع مُرتجفة تُشكل قبضة فضفاضة تطرُق بضعفٍ على الزجاج.

في البداية، كل ما أراه هو يدُها.

لكن كلما اقتربت، تمكنت من رؤية ما فعلوه بها بوضوح أكبر. ولا يمكنني إخفاء رُعبي.

أقترب من الزجاج وأُلقي نظرة على وجهها. لم يعُد لديها وجه، ليس حقًّا.. فمُها ملتصق بمُنظم التنفُّس، وبشرتها ملتحمة بالسيليكون كأنها خيوط عنكبوت، شعرها يبلغ طوله عدة أقدام، داكن ومشعَّث ويرفرف حول رأسها كأذرع حبّار. لقد ذاب أنفها داخل جمجمتها، وعيناها مُغمضتان بشكلٍ دائم، ولا يُشير إلى فتحهما إلا رموشها الطويلة الداكنة. يداها وقدماها مُتشابكتان. ليس لديها أظافر. ذراعاها وساقاها عبارة عن عظامٍ بشكلٍ أساسي، ولهما جلد مُتجعّد ومترهّل.

أهمس: إيمالين؟

أموت.

تتساقط الدموع ساخنة وسريعة، تضربني دون سابق إنذار، أتحطَّم من الداخل.

أقول بصوتٍ متحشرج: ماذا فعلوا بك؟ كيف يُمكنهم فعل هذا بك؟

صوت خافت معدني. يطرق مرتَين.

تقترب إيمالين. تضغط بأصابعها المُتشابكة على الحاجز بيننا وأنا أمدُّ يدي لأعلى، ماسحةً عينيَّ بسرعة قبل أن ألتقي بها هناك. أضغط راحة يدي على الزجاج وبطريقةٍ ما، بشكلٍ مُستحيل، أشعر بها تأخذ يدي. بنعومة ودفء وقوة.

ثم أشهق..

ينبض الشعور خلالي، موجة بعد موجة من الشعور، عواطف لا نهاية لها مثل الزمن. ذكريات، رغبات، آمال وأحلام مُنطفئة منذ زمنٍ طويل. قوة كل شيء تجعل رأسي يدور، أترنَّح للأمام وأَصِرُّ على أسناني، أُثبّت نفسي بضغط جبهتي إلى الحاجز بيننا. تملأ الصور ذهني مثل لقطات جامدة من فيلمٍ قديم.

حياة إيمالين.

تريدني أن أعرف. أشعر وكأنني أُسحَب إليها، وكأنها تسحبني إلى جسدها الخاص، تغمرني بعقلها. ذكرياتها.

أراها أصغر سنًّا، أصغر بكثير، ثماني أو تسعِ سنوات. كانت متحمّسة، غاضبة. من الصعب التحكم بها. كان عقلها أقوى مما تستطيع التعامل معه، ولم تعرف ماذا تفعل بشأن قواها. شعرت بأنها ملعونة، مُختنقة بها. ولكن على عكسي، لقد أُبقِيتُ في المنزل، هنا، في هذا المُختبر بالضبط، مُجبرةً على الخضوع لاختبارٍ تلوَ الآخر أجراه والداها. أشعر بغضبها يخترقني.

لأول مرة، أُدرك أن لديَّ رفاهية النسيان.

لم يكن لدَيها ذلك.

ماكس وإيفي – وحتى أندرسون – حاولوا مسح ذاكرة إيمالين عدة مرات، لكن في كل مرة، كان جسد إيمالين يسود. كان عقلُها قويًّا جدًّا لدرجة أنها تمكنت من إقناع دماغها بعكس الكيمياء المقصودة لتفكيك ذكرياتها. بصرف النظر عما حاوَلَ ماكس وإيفي فعله؛ لم تتمكن إيمالين أبدًا من نسيانهم.

بدلاً من ذلك، شاهدت كيف تحوَّل والداها ضدَّها.

قلبوها من الداخل إلى الخارج.

إيمالين تُخبرني بكل شيءٍ دون أن تنطق بكلمة. لا تستطيع التحدث. فقدت أربعةً من حواسِّها الخمس.

أصبحت عمياء أولًا.

فقدت حاسَّة الشم والإحساس بعد عام في الوقت نفسه. وأخيرًا فقدت القُدرة على التحدَّث. تآكل لسانها وأسنانها. تآكلت أحبالها الصوتية. أُغلِق فمها بشكلٍ دائم.

يمكنها فقط السماع الآن. ولكن بشكلٍ سيئ.

أرى المشاهد تتغير، أراها تكبُر قليلًا، منكسرة أكثر. أرى غضبها، عندما تُدرك ما خطَّطوه لها.. السبب الأساسي الذي أرادوها بشدَّة من أجله...

الوحشية الرهيبة تحبس أنفاسي.

أسقط، وتصطدم ركبتاي بالأرض. قوة مشاعرها تُمزقني. يمزق النجيب ظهري، ترتجف عبر عظامي. أشعر بكل شيء. ألمِها.. ألَمِها الذي لا نهاية له.

عدم قُدرتها على إنهاء معاناتها الخاصة.

تريد أن ينتهي هذا.

أنهِ...

تقول الكلمة بشكلٍ حادٍّ وغاضب.

مع بعض الجهد، أتمكن من رفع رأسي لأنظر إليها. أهمس: هل كنتِ أنتِ طوال هذا الوقت؟ هل أعدتِ لي ذكرياتي؟

نعم.

-كيف؟ لماذا؟

تُظهر لي.

أشعر بعمودي الفقري يستقيم بينما تنتقل الرؤيا من خلالي. أرى إيفي وماكس، أسمع محادثاتهما المشوَّهة من داخل سجن الزجاج. كانا يحاولان جعل إيمالين أقوى على مرِّ السنين، يُحاولان العثور على طرقٍ لتحسين قدرات إيمالين التخاطُرية. أرادا تطوير مهاراتها. أرادا أن تكون قادرة على التحكم العقلي.

التحكم العقلي بالجماهير.

لكن الأمر لم يسِرْ كما أرادا.

كلما زادت التجارب عليها – كلما دفعوها أبعد – أصبحَتْ أقوى وأضعف. كان عقلها قادرًا على التعامل مع التلاعُبات الجسدية، لكن قلبها لم يستطع تحمّل ذلك. حتى في أثناء بنائها، كانا يهدِمانها.

فقدت الرغبة في العيش. في المقاومة.

لم يعُد لدَيها سيطرة كاملة على جسدها؛ حتى قدراتها كانت الآن خاضعة لماكس وإيفي. كانت قد أصبحت دُمية. وكلما أصبحت أكثر لامبالاة، زاد سوء فهمهما لها. ظن ماكس وإيفي أن إيمالين كانت تزداد امتثالًا.

بدلًا من ذلك، كانت تتدهور.

ثم...

مشهد آخر. تسمع إيمالين جدالًا لماكس وإيفي يُناقشان أموري. لم تسمع إيمالين اسمي منذ سنوات؛ لم تكن تعلم أنني ما زلتُ على قيد الحياة. تسمع أنني كنتُ أقاتل. أنني كنتُ أقاوم، أنني حاولتُ قتل القائد الأعلى.

تشعر إيمالين بالأمل لأول مرة منذ سنوات.

أضرب بيدي على فمي. أتراجع خطوة إلى الوراء.

إيمالين ليس لديها عيون، لكنني أشعر بنظرتها إليَّ. تراقِب رد فعلي. أشعر بعدم الاتزان، متأهِّبة لكن مغلوبة.

أخيرًا أفهم.

كانت إيمالين تستخدم آخر نفس من قوتها للتواصل معي.. وليس معي فقط، ولكن مع جميع الأطفال الآخرين للقادة العُلى.

أظهرت لي – داخل ذهني الخاص – كيف استفادت من أحدث محاولةٍ من ماكس وإيفي لتوسيع قدراتها. لم تكن قادرة على الوصول إلى الأشخاص بشكل فردي من قبل، لكن ماكس وإيفي أصبحا طمَّاعَين. وقد جعلا من إيمالين سبيل هلاكهما الخاص.

تظن إيمالين أننا الأمل الأخير للعالم. تريد منا أن نقف، نقاتل، ننقذ البشرية. لقد كانت تُعيد عقولنا إلينا ببطء، مستردة ما سرقه آباؤنا. تريد منّا أن نرى الحقيقة.

تقول: *ساعديني.*

أهمس: سأفعل، أعدك أنني سأفعل. لكن أولًا سأُخرجك من هنا.

الغضب الساخن والعنيف، يطيح برأسي، غضب إيمالين حاد ومخيف، وصاخب.

لا

تملأ الكلمة ذهني.

أثبُت في مكاني، مرتبكة.

أقول: ماذا تقصدين؟ يجب أن أساعدك في الخروج من هنا. سنهرب معًا. لدي أصدقاء – معالجون – يمكنهم استعادة...

لا

ثم، وفي لحظة..

يمتلئ ذهني بصورةٍ مظلمة للغاية لدرجة أنني أظنُّ أنني قد اتقيّأ.

صوتي يرتجف: لا، لن أفعل ذلك. لن أقتلك.

الغضب الساخن.. الغضب الشرس يُهاجم ذهني. صورة تلوَ الأخرى تُهاجمني، محاولاتها الفاشلة للانتحار، عدم قُدرتها على توجيه قواها ضد نفسها، وسائل السلامة الفاشلة اللانهائية التي وضعها ماكس

وإيفي للتأكّد من أن إيمالين لا يُمكنها أن تُنهي حياتها الخاصة، وأنها لا يمكن أن تؤذيهما...

-إيمالين، من فضلك...

ساعديني.

أقول بنفاد صبر: يجب أن تكون هناك طريقة أخرى، لا يمكن أن يكون هذا هو الأمر. ليس عليك أن تموتي. يُمكننا الخروج من هذا معًا.

تضرب راحة يدِها المفتوحة على الزجاج. يرتعش جسدها الهزيل.

أنا بالفعل...

أموت.

أتقدَّم خطوة إلى الأمام، واضعة يدي على سجنها. أقول الكلمات بحسرة: لم يكن من المُفترض أن ينتهي الأمر هكذا، يجب أن يكون هناك طريقة أخرى. من فضلك. أريد أختي أن تعود. أريدك أن تعيشي.

غضب آخر، ساخن ووحشي يبدأ في الازدهار في ذهني ثم...

نوبة خوف مفاجئة.

تتصلَّب إيمالين في خزَّانها.

قادمة.

أنظر حولي، أثبت نفسي. يرتفع الأدرينالين في عروقي.

انتظري!

تلفُّ إيمالين ذراعَيها حول جسدها، وجهها منقبض في التركيز. ما زلتُ أشعر بها على الفور لدرجة أنها تبدو وكأن أفكارها هي أفكاري الخاصة.

ثم، بشكلٍ غير متوقَّع...

تنفتح أغلالي.

أدور حولي بينما تسقط على الأرض بضجيجٍ عالٍ. أفرك معصمي وكاحلي المتألِّمين: كيف فعلت...؟

قادمة.

أومئ برأسي.

أهمس: مهما حدث اليوم، سأعود إليك. هذا لم ينتَهِ. هل تسمعيني؟ إيمالين، لن أتركك تموتين هنا.

لأول مرة، تبدو إيمالين مسترخية.

شيء دافئ وحلو يملأ رأسي، حنان غير متوقَّع يَخِز عيني.

أقاوم العاطفة.

أصوات خطوات.

يهرب الخوف من جسدي. أشعر بسلامٍ غير عادي. أنا أقوى مما كنت عليه من قبل. هناك قوة في عظامي، قوة في ذهني. والآن بعد أن نُزعت الأصفاد؛ عادت قوايَ وأصبح الشعور المألوف يتدفَّق من خلالي؛ إنه مثل الانضمام إلى صديق قديم.

ألتقي بعينَي إيفي وهي تسير عبر الباب.

إنها بالفعل توجِّه بندقيةً إليَّ. ليس بندقية – شيء يبدو وكأنه بندقية – لا أعرف ما بداخله.

تقول بصوتٍ هستيري قليلًا: ماذا تفعلين هنا؟ ماذا فعلت؟

أهز رأسي.

لا يُمكنني النظر إلى وجهها مرة أخرى دون الشعور بالغضب الأعمى. لا يمكنني حتى التفكير في اسمها دون الشعور بالحاجة العنيفة والقوية والحيوانية لقتلِها بأيدٍ عارية. إيفي سومرز هي أسوأ نوع من البشر. خائن للبشرية. مُعتلة اجتماعية خالصة.

– ماذا فعلت؟

تقول مرة أخرى، هذه المرة يخونها خوفها. ذُعرها. ترتعش البندقية في قبضتها. عيناها واسعتان، مجنونتان، تنتَقلان مني إلى إيمالين التي لا تزال محبوسة في الخزَّان خلفي.

ثم...

أراها، أرى اللحظة التي تُدرك فيها أنني لا أرتدي أصفاد اليدَين.

تشحب إيفي.

أقول بصوتٍ هادئ: لم أفعل شيئًا حتى الآن.

يسقط مُسدسها مُصدرًا ضجيجًا على الأرض.

على عكس باريس، أمي ليست غبية. إنها تعرف أنه لا فائدة من محاولة إطلاق النار عليَّ. لقد خلقتني. إنها تعرف ما أنا قادرة عليه. وهي تعرف –يمكنني رؤيته في عينيها – أنني على وشك قتلها، وأنه لا يُوجَد شيء يمكنها فعله لمنع ذلك.

مع ذلك، تحاول.

تقول بصوتٍ غير مستقر: إيلا، كل ما فعلناه – كل ما فعلناه على الإطلاق – كان لمحاولة مساعدتك. كنا نحاول إنقاذ العالم. عليك أن تفهمي.

أتقدَّم خطوة إلى الأمام: أنا أفهم.

تقول: أردت فقط أن أجعل العالم مكانًا أفضل، ألا تُريدين جعل العالم مكانًا أفضل؟

أقول: نعم أريد.

تكاد أن تبتسِم. يخرج نفَس صغير مكسور من جسدها.

ارتياح.

آخُذ خطوتَين سريعتَين، أركض نحوها وألكمها في صدرها حتى تتكسر ضلوعها تحت مفاصل أصابعي.

اتسعت عيناها وهي تختنق، وتُحدق بي في صمتٍ مذهول ومشلول. تسعل ويتناثر الدم ساخنًا وسميكًا، على وجهي. أستدير مُبتعدة، وأبصق دمَها من فمي، وعندما أنظر إلى الوراء، تكون قد ماتت.

وبضربةٍ أخيرة أنتزع قلبها من جسدها.

تسقط إيفي على الأرض بضربةٍ قوية، وعيناها باردتان وزجاجيتان. ما زلت أحمل قلب أُمي، أشاهده يموت بين يدي، عندما يُناديني صوت مألوف.

شكرًا لك!

شكرًا لك!

شكرًا لك!

22

وارنر

أُدرك عند مغادرتي لمسرح الجريمة أنني لا أعرف أين أنا. أنا واقف في منتصف الممرِّ خارج الغرفة التي قتلتُ فيها والدي للتو، أحاول التفكير في خطواتي التالية. أنا شِبه عارٍ. بلا جوارب. حافي القدمَين. بعيدٌ كل البُعد عن الوضع المثالي.

ومع ذلك، يجب أن أستمرَّ في التحرك.

لو فقط...

لم أمشِ خمسة أقدام حتى شعرت بوخزةِ إبرةٍ مألوفة. شعرت بها – حتى وأنا أحاول محاربتها – شعرت بها حيث تدخل مادة كيميائية غريبة إلى جسدي. لن يمرَّ وقتٌ طويل قبل أن يغيب وعيي.

تُغشِّي على رؤيتي.

أحاول مقاومتها، أحاول البقاء واقفًا، لكن جسدي ضعيف. بعد أسبوعين من التجويع، والتسمِيم المستمر، والإرهاق العنيف، لقد استنفدتُ احتياطياتي. غادَرَتْني قطرات الأدرينالين الأخيرة.

هذه هي النهاية.

أسقط على الأرض، والذكريات تستهلكني.

ألهث وأستعيد الوعي، آخُذ شهيقًا عميقًا من الهواء وأجلس بسرعة كبيرة، رأسي يدور.

هناك أسلاك مُثبتة على صدغي وأطرافي، والمقابس البلاستيكية تضغط على المفاصل الرقيقة لذراعي وساقي، وتشدُّ جلد صدري العاري. أُمزِّقها، مما يتسبَّب بإزعاج شديد لأجهزة المُراقبة القريبة. أنتزع الإبرة من ذراعي وأُلقيها على الأرض، وأضغط على الجرح لبضع ثوانٍ قبل أن أُقرِّر تركه ينزف. أقف على قدمي، وأستدير لأُقيِّم مُحيطي، لكنني ما زلتُ أشعر بعدم التوازن.

لا أستطيع إلا أن أخمِّن من الذي أطلق عليَّ مهدئًا، ومع ذلك، لا أشعر بأي ذُعر. لقد غرس قتلُ والدي في داخلي صفاءً استثنائيًّا. إنه أمر فظيع ومُنحرف للاحتفال به، لكن قتْل والدي كان بمثابة انتصاري على أعظم مخاوفي. بعد موته، يبدو أن أي شيءٍ ممكن.

أشعر بالحرية.

ما زلتُ بحاجة إلى التركيز على مكاني، وعلى ما يحدث. أحتاج إلى وضع خطة للهجوم، وخطه للفرار، وخطه لإنقاذ إيلا. لكن عقلي يُجَرّ إلى ما يبدو وكأنه مائة اتجاه مختلف. تُصبح الذكريات أكثر حدَّة كل دقيقة. لا أعرف كم سأتحمّل من هذا. لا أعرف كم سيستمرُّ هذا التدفّق أو كم سيتم الكشف عنه بعد، لكن

الكشوف العاطفية بدأت تؤثر عليّ. قبل بضعة أشهر، كنتُ أعلم أنني أحبُّ إيلا. كنت أعلم أنني أشعر تجاهها بما لم أشعر به من قبل تجاه أي شخصٍ آخر. إنه شعور جديد ورقيق ولا يُقدّر بثمن.

مُهم.

لكن في كل يوم – كل دقيقة – من الأسبوعَين الماضيين، تعرضت لتدفُّق من ذكريات عنها لم أكن أعرِف حتى أنني أملكها. لحظات معها من سنواتٍ مضت. صوت ضحكتها، ورائحة شعرها، والنظر في عينَيها عندما ابتسمت لي لأول مرة. الشعور الذي راودَني وأنا أمسك يدَها عندما كان كل شيء جديدًا وغير معلوم...

منذ ثلاث سنوات.

كيف أمكنني أن ألمسها هكذا منذ ثلاث سنوات؟ كيف عرفنا حينها – دون أن نعرف السبب حقًّا – أنه يُمكننا أن نكون معًا؟ أنها تستطيع أن تلمسني دون أن تؤذِيَني؟ كيف يمكن أن تُنتزع أي من هذه اللحظات من عقلي؟

لم يكن لديّ أي فكرة أنني فقدت الكثير منها. ولكن بعد ذلك، لم يكن لدي أي فكرة أن هناك الكثير لأفقده.

ينغرس وجَع عميق ومؤلِم في داخلي، يحمل معه ثقل السنين. لطالما كان الابتعاد عن جولييت – *إيلا* – صعبًا، لكنه الآن يبدو لا يُطاق.

أنا أُدمَّر ببطءٍ بسبب العاطفة.

أحتاج أن أراها. لأُعانقها. لأربطها بي بطريقةٍ ما. لن أُصدق كلمةً واحدة قالها والدي حتى أراها وأتحدّث معها شخصيًّا.

لا أستطيع الاستسلام. ليس بعدُ.

تبًّا لما حدث بيننا في القاعدة. أشعر أن تلك الأحداث حدثت منذ زمنٍ بعيد. وكأنها حدثت لأشخاصٍ مختلفين. بمجرد أن أجِدها وأضعها في مكانٍ آمن؛ سأجد طريقةً لتصحيح الأمور بيننا. يبدو الأمر وكأن شيئًا مات منذ فترة طويلة بداخلي يعود إلى الحياة ببطء.. كما لو أن آمالي وأحلامي يُعاد إحياؤها، وكأن الثقوب في قلبي تُصلَح ببطءٍ وحذر.

سأجدها. وعندما أفعل، سأجد طريقةً للمضي قدمًا معها، وهي إلى جانبي، إلى الأبد.

آخُذ نفسًا عميقًا.

ثم أقف على قدميّ.

أُعِدُّ نفسي، مُتوقِّعًا الألم المألوف لأضلاعي المكسورة، لكن الألم في جانبي قد زال. ألمس جذعي بحذَر؛ لقد اختفت الكدمات. ألمس وجهي وأُفاجأ باكتشاف أن بشرتي ناعمة ومحلوقة. ألمس شعري وأجِده قد عاد إلى طوله الأصلي تمامًا كما كان قبل أن أُضطر إلى قصِّه بالكامل.

غريب!

ومع ذلك، أشعر بأنني على طبيعتي أكثر مما كنتُ عليه منذ فترة طويلة، وأنا مُمتنٌّ تمامًا. الشيء الوحيد الذي يُزعجني هو أنني لا أرتدي شيئًا سوى ثوبٍ طويل، وأنا عارٍ تمامًا تحتَه.

لقد سئمتُ من العُري.

أريد ملابسي. أريد بنطالًا مناسبًا. أريد...

ثم، وكأن شخصًا ما قرأ أفكاري، أُلاحظ مجموعة جديدة من الملابس على طاولة قريبة. ملابس تبدو بمقاسي.

ألتقِط السترة. أتفحَّصها.

هذه هي ملابسي الحقيقية. أعرف هذه القطع. أتعرَّف عليها. وإذا لم يكن ذلك كافيًا، فإن الأحرف الأولى من اسمي – آ و أ – منقوشة على أكمام السترة. ولم يكن هذا بالصدفة. فقد أحضر أحدهم ملابسي إلى هنا. من خزانتي الخاصة.

لقد كانوا ينتظرون وصولي.

أرتدي ملابسي بسرعة، مُمتن للملابس النظيفة بصرف النظر عن الظروف، وأوشِك على الانتهاء من ربط حذائي عندما يدخل شخصٌ ما.

أقول دون أن أرفع رأسي: ماكس، كيف حالك؟

أطأ فوق الإبرة التي ألقيتُها على الأرض سابقًا.

يضحك بصوتٍ عالٍ: كيف عرفت أنني أنا؟

-تعرفت على إيقاع خطواتك.

يصمت.

أقول وأُخفي الإبرة في يدي بينما أجلس: لا تُتعب نفسك بمحاولة إنكار الأمر. (ألتقي بعينَيه وأبتسِم) كنت أستمع إلى مشيتك الثقيلة غير المستوية خلال الأسبوعين الماضِيَين.

تتسع عينا ماكس: أنا مُنبهر.

أقول وأنا ألمس وجهي: وأنا أُقدّر الحلاقة النظيفة.

مرة أخرى يضحك، لكن هذه المرة بهدوء أكبر: لقد كنتَ على شفا الموت تقريبًا عندما أحضرتُكَ إلى هنا. تخيل دهشتي عندما وجدتكَ شبه عارٍ، تعاني من جفافٍ شديد، والجوع، ونقص في الفيتامينات. كان لديك ثلاثة ضلوع مكسورة. ودماء والدكَ في كِلتا يديك.

-ثلاثة ضلوع مكسورة؟ ظننتها اثنان.

يقول ماكس وهو يلوِّح برأسه موافقًا: ثلاثة ضلوع مكسورة ومع ذلك تمكنت من قطع الشريان السباتي لباريس. عمل جيد.

ألتقي بعينَيه. يظنُّ ماكس أن هذا مُضحك.

ثم أفهم.

أسأل: ما زال على قيد الحياة، أليس كذلك؟

ابتسامة ماكس تزداد اتساعًا: حيٌّ تمامًا، نعم. على الرغم من محاولتك الجيدة لقتلِه.

-هذا يبدو مستحيلًا.

-يقول ماكس: تبدو مُنزعجًا.

-أنا منزعج. بقاؤه على قيد الحياة إهانة لمهاراتي.

يكاد ماكس أن يضحك مرةً أخرى: لا أتذكَّر أنك كنتَ مُضحكًا هكذا.

-لستُ أحاول أن أكون مضحكًا.

لكن ماكس لا يستطيع أن يمحو الابتسامة عن وجهه.

أقول: إذن أنت لن تُخبرني كيف نجا؟ أنت فقط ستستفزُّني؟

يقول: أنا أنتظر زوجتي.

-أفهم. هل تساعدك على فهم الكلمات الكبيرة؟

يرتفع حاجبا ماكس: احترس من كلامك يا آرون.

-اعتذار. برجاء الابتعاد عن طريقي.

-كما قلت، أنا أنتظر زوجتي. لدَيها شيء تريد أن تقوله لك.

أتفحَّصه بعُمق، وأتأمَّل وجهه بطريقةٍ لا أتذكر أنني فعلتها من قبل. شعره بُني غامق، وبشرته بُنية فاتحة، وعيناه زرقاء وخضراء برَّاقة. لم يترك العمر عليه أي أثر. في يومٍ مختلف، كنتُ قد أصف وجهه بأنه دافئ وودود. لكني أعلم الآن أنه والد إيلا، لا أكاد أُصدق أنني لم ألحظ هذا في وقتٍ سابق، عيناها تُشبهانه.

أسمع صوت خطوات أخرى تقترب من الباب. أتوقَّع أن أرى إيفي، القائدة سومرز، وبدلاً من ذلك...

-ماكس، إلى متى تظن أنه سيستغرق حتى...

والدي. صوته.

بالكاد أصدق الأمر.

يتوقف عند باب الغرفة مباشرةً عندما يرى وجهي. يضغط منشفةً ملطخة بالدماء على حنجرته.

يقول لي: يا أحمق.

ليس لديَّ فرصة للرد.

يصدُر إنذار حادّ، ويصبح ماكس فجأة متيبسًا. يلقي نظرة على شاشة على الحائط قبل أن يعود وينظر إلى والدي.

يقول أندرسون: اذهب. يُمكنني التعامُل معه.

يُلقي ماكس نظرة واحدة عليَّ قبل أن يختفي.

أقول وأومئ برأسي نحو وجه والدي، جرحُه الذي يلتئم: إذن، هل ستشرح؟

يُحدق بي فقط.

أُراقبه بصمتٍ وهو يستخدم يدَه الحرة لإخراج منديلٍ من جيبه. يمسح الدماء المُتبقِّية من شفتَيه، ويُعيد طي المنديل، ويُعيده إلى جيبه.

شيء ما بيننا قد تغير.

أستطيع أن أشعر به. أشعر بتحوُّل موقفه تجاهي. يستغرق الأمر دقيقة لتجميع الإشارات العاطفية المختلفة لفترةٍ كافية لفهمها، ولكن عندما تُصيبني أخيرًا، فإنها تُصيبني بقوة.

احترام.

لأول مرة في حياتي، يُحدق بي والدي بشيءٍ يُشبه الاحترام. حاولت قتله، وبدلًا من أن يغضب مني، يبدو مسرورًا. ربما حتى مُعجبًا.

يقول بهدوء: لقد قمتَ بعملٍ جيد هناك، كانت رميةً قوية. متماسكة.

أشعر بالغرابة لتقبُّل مجاملته. لذلك لا أفعل.

يتنهَّد والدي.

يقول أخيرًا: جزء من السبب في رغبتي في رعاية توءم المُعالجين؛ هو أنني أردت أن تدرسهم إيفي. أردتُ منها أن تكرِّر الحمض النووي الخاص بهم وتضمَّه إلى حمضي النووي الخاص. أدركتُ أن قوى الشفاء مفيدة للغاية.

أشعر بقشعريرة حادة تفترس عمودي الفقري.

لكنه يقول: لم أكن أسيطر عليهما بالقدر الذي أردته. تمكنتُ فقط من استخراج بعض عيّنات الدم. فعلت إيفي ما بوسعها في الوقت الذي كان لدَينا.

أرمش. أحاول التحكُّم في تعابير وجهي: إذن لدَيك قوى شفاء الآن؟

يقول وهو يشدُّ فكَّه: ما زلنا نعمل على ذلك. ليس الأمر مثاليًّا بعد. لكنه كان كافيًا كي أتمكن من البقاء على قيد الحياة من جروح الرأس لفترة كافية حتى يتمَّ نقلي إلى الأمان. (يبتسم ابتسامة مُرة) قدماي – من ناحية أخرى – لم يُكتب لهما النجاة.

أقول كاذبًا: يا للأسف.

أختبر وزن المِحقنة في يدي. أتساءل عن مقدار الضرر الذي يمكن أن تفعله. إنها ليست قوية بما يكفي لتفعل أكثر من الصعق، لكن هجومًا بزاوية محسوبة يمكن أن يؤدّي إلى ألَمٍ عصبيٍّ مؤقت يوفر لي وقتًا كبيرًا. ولكن بعد ذلك، يمكن أن يحدث الشيء نفسه مع وخزةٍ واحدة ودقيقة في العين.

يقول والدي بحدة: عملية التصنيع.

أرفع رأسي. مندهشًا.

نظرة ثابتة: أنت جاهز يا آرون، أنت جاهز لتحدٍّ حقيقي، لديك النار اللازمة. الدافع. أراه في عينَيك لأول مرة.

أنا خائف جدًّا من التحدّث.

أخيرًا، بعد كل هذه السنوات، يُثني والدي عليّ. يقول لي أنني قادر. عندما كنتُ طفلًا، كان هذا كل ما أردته على الإطلاق.

لكنني لم أعُد طفلًا.

يقول والدي: لقد رأيت إيمالين. لكنك لم ترَها مؤخرًا. لا تعرف في أي حالة هي.

أنتظر.

يقول والدي: إنها تموت، جسدها ليس قويًّا بما يكفي للبقاء على قيد الحياة في عقلها أو بيئتها، وعلى الرغم من كل جهود ماكس وإيفي، فهما لا يعرفان ما إذا كان هناك أي شيءٍ آخر يمكنهما فعله لمساعدتها. لقد عمِلا لسنواتٍ لإطالة حياتها قدْر الإمكان، لكنهم وصَلا إلى نهاية المطاف. لا يُوجَد شيء آخر يمكن فعله. حالتها تتدهور بمعدلٍ لا يستطيعان السيطرة عليه بعد الآن.

ما زلتُ لا أقول أي شيء.

يسألني والدي: هل تفهم؟ هل تفهم أهمية ما أقوله لك؟ إيمالين ليست فقط قادرة على التخاطُر، بل ناقلة أفكار. مع تدهور جسدها، يزداد عقلها جنونًا. إنها قوية جدًّا. شديدة القوى. وفي الآونة الأخيرة، بدون جسد قوي بما يكفي لاحتوائها، أصبحت مُتقلبة. إذا لم تُعطَ...

أصيح بصوتٍ عالٍ في الغرفة: لا تجرؤ! لا تجرؤ على قول كلمة أخرى. أيها *الأحمق* العنيد.

أستدير، وتحبس المفاجأة أنفاسي.

القائد الأعلى إبراهيم. يبدو أطول مما أتذكَّره. بشرته داكنة، وشعره داكن. إنه *غاضب*.

يقول والدي بلامبالاة: لا بأس. لقد اعتنت إيفي بـ...

يقول إبراهيم بغضب: إيفي ماتت. نحن بحاجة إلى بدء الإخلاء على الفور.

-ماذا؟

وجه والدي يشحب. لم أره شاحبًا قط. لم أره مرعوبًا من قبل: ماذا تقصد بأنها ماتت؟

تلمع عينا إبراهيم: أعني أن لدَينا مشكلة خطيرة. (يُلقي نظرة علي) يجب إعادة هذا الصبي إلى العزل. لا يُمكننا الوثوق بأيٍّ منهم الآن. نحن لا نعرف ماذا فعلت.

وبينما أنا أحاول أن أُقرر خطوتي التالية، أسمع همسةً في أذني.

تقول: لا تصرخ.

نظيرة.

23

جولييت إيلا

أركض للنجاة بحياتي، أندفع عبر الممرّات وأصعد السلالم. ينطلق صوت إنذار منخفض ومستمر، يرسل تردُّده الثاقب صدمات من الخوف في داخلي بينما تضرب قدماي الأرض بقوة.

أشعر بالقوة والثبات، لكنني أُدرك بشكلٍ متزايد عدم قدرتي على التنقل في هذه المسارات المتعرجة. كان بإمكاني أن أرى – أو أشعر – أن إيمالين أصبحت أضعف عندما غادرت، والآن، كلما ابتعدتُ عنها؛ أصبح اتصالنا باهتًا. لقد أظهرت لي – في ذكرياتها – كيف جرَّدها ماكس وإيفي من السيطرة ببطء؛ إيمالين أقوى من أي شخصٍ آخر، لكنها الآن لا تستطيع استخدام صلاحياتها إلا بالأمر. لقد استغرق الأمر كل قوَّتها لتجاوز آليات الأمان لفترةٍ كافية لاستخدام قوتها حسب رغبتها، والآن بعد أن تراجع صوتها من ذهني، أعلم أنها لن تعود. لن تعود في أيّ وقتٍ قريب. لا بدَّ لي من معرفة طريقي للخروج من هنا.

وسأفعل.

لقد عادت قوتي. يُمكنني تجاوز أي شيءٍ من هنا. على فعل ذلك. وعندما أسمع أحدهم يصرخ، أدور حولي، مُستعدة للقتال...

لكن الوجه البعيد مألوف جدًّا لدرجة أنني أتوقَّف مذهولة في طريقي.

كينجي يظهر بشكلٍ مفاجئ.

كينجي

كينجي يُعانقني. كينجي يُعانقني ولم يصَب بأذًى. إنه بخير تمامًا. وبمجرد أن أبادله العناق يشتُمُ بعنفٍ متراجعًا للخلف: يا يسوع يا امرأة! هل تحاولين قتلي؟ ألا يمكنك إيقاف قوتك لمدة ثانيةٍ واحدة؟ هل عليك أن تُفسدي لمَّ شملِنا الدرامي عن طريق قتلي حتى بعدما تحمّلت كل المتاعب...

ألقي نفسي بين ذراعَيه مرةً أخرى فيتصلَّب، ولا يسترخي إلا عندما يُدرك أنني أطفأت قوَّتي مرة أخرى.

لقد نسيتُ للحظة بشرتي المكشوفة في هذا الفستان.

أتنفَّس: كينجي، أنت على قيد الحياة. أنت بخير. يا إلهي!

يقول: مهلًا، *مهلًا*... (يتراجع ناظرًا في عيني) أنا بخير. هل أنت بخير؟

لا أعرف حقًّا كيف أجيب عن السؤال. وأخيرًا أقول: لستُ متأكدة.

يتفحص وجهي للحظة. يبدو قلقًا. وبعد ذلك، يتزايد الخوف في حلقي بشكلٍ مؤلِم، وأطرح السؤال الذي يقتُلني أكثر: أين وارنر؟

يهز كينجي رأسه.

أشعر بنفسي أنهار.

يقول كينجي بهدوء: لا أعرف بعد. ولكننا سوف نجده حسنًا، لا تقلقي.

أومئ، ترتجفُ شفتِي السفلى، أعضُّها لكن الارتعاش لا يتوقف، ينمو ويتكاثر ويتطور إلى رجفةٍ تهزني من رأسي إلى أخمص قدمي.

يقول كينجي: مهلًا.. هل تُريدين إخباري من أين جاءت كل هذه الدماء؟

أنظر لأعلى، أرفُّ بجفني.

-أي دماء؟

يرفع حاجبَيه: *الدماء* (يُشير بوجهٍ عامٍّ إلى جسدي) على وجهك، فستانك. بين يدَيك.

أقول بذهول: أوه.. (أنظر إلى يديَّ كأني أراهما للمرة الأولى) الدماء.

يتنهَّد كينجي، ويُحدق إلى شيءٍ فوق كتفي. يُخرج زوجًا من القفازات من جيبه الخلفي ويرتديهما: حسنًا أيتها الأميرة، أعيدي تشغيل قوَّتك. علينا أن نتحرك.

نبتعِد لكن كينجي يُخفينا نحن الاثنَين.

يقول مُمسكًا بيدي: اتبعيني.

أقول: إلى أين نحن ذاهبان؟

-ماذا تقصدين بـ»*إلى أين نحن ذاهبان؟*» لنخرج بحقِّ الجحيم من هنا.

-لكن.. ماذا عن وارنر؟

-نظيرة تبحث عنه بينما نتحدّث.

أتوقف فجأةً وأكاد أتعثر: نظيرة هنا؟

-آه، نعم.. إنها قصة طويلة حقًّا! لكن الإجابة المُختصرة هي نعم.

قلت وقد بدأتُ أفهم: هكذا وصلتَ إلى هنا.. بسبب نظيرة!

كينجي يصدر صوتًا يدلّ على عدم التصديق: واو، على الفور! لا تمنحني أي فضلٍ هاه؟ بربِّك يا جيه، أنتِ تعلمين أنني أُحب مهام الإنقاذ المُمتعة. أنا أعرف بعض الأشياء. أستطيع تخمين بعض الأمور أيضًا.

لأول مرة منذ أسابيع أشعر بابتسامةٍ تُرسَم على شفتي. تتراكم الضحكة وتتكسَّر داخل جسدي. لقد افتقدتُ هذا كثيرًا. لقد اشتقتُ لأصدقائي كثيرًا. العواطف تتدفَّق في حلقي، تُفاجئني. أقول: اشتقتُ إليك يا كينجي. أنا سعيدة جدًّا أنك هنا.

يقول كينجي بحدة: *مهلًا*، لا تجرَّئي على البكاء! إذا بدأتِ بالبكاء سأبدأ بالبكاء وليس لدينا وقت للبكاء الآن. لدينا الكثير من الأشياء لنفعلها، حسنًا؟ يمكننا البكاء لاحقًا، في وقتٍ أكثر ملاءمة. حسنًا؟

عندما لا أقول شيئًا، يضغط على يدي. يقول مرة أخرى: حسنًا؟

أقول: حسنًا.

أسمعه يتنهَّد.

يقول: اللعنة. لقد عذبوك هنا حقًّا. أليس كذلك؟

-نعم.

يقول: أنا آسف جدًّا.

-هل يمكننا البكاء على ذلك لاحقًا؟ سأخبرك بكل شيء.

-نعم بالطبع، يُمكننا البكاء على ذلك لاحقًا.

يسحب كينجي يدي بلُطف ليدفعنا للتحرك مرة أخرى.

-لديَّ الكثير لأبكي عليه يا جيه. الكثير. ربما علينا صنع قائمة أو شيءٍ من هذا القبيل.

أقول: فكرة جيدة.

لكني أشعر بالذُّعر مرة أخرى، يقول كينجي وهو يقرأ أفكاري: مهلًا، لا تقلقي. سوف نجد وارنر حقًّا. نظيرة تعرف ما تفعله.

-لكنني لا أظن أنني أستطيع الانتظار حتى تذهب نظيرة للبحث عنه. لا أستطيع أن أقف مكتوفةَ اليدَين، أحتاج إلى القيام بشيءٍ ما. أحتاج أن أبحث عنه بنفسي...

-هه! مُستحيل! لقد انفصلنا أنا ونظيرة عمدًا. مُهمتي هي أن أصعد بك على متن الطائرة، مُهمتها هي وضع وارنر على متن الطائرة. هذا هو المنطق الرياضي.

-مهلًا، هل لديكما طائرة؟

-وكيف تظنِّين أننا وصلنا إلى هنا؟

-ليس لديَّ أي فكرة.

-حسنًا، هذه قصة طويلة أخرى، وسأُخبرك بها لاحقًا، لكن النقاط الرئيسية هي أن نظيرة مُربِكة للغاية ولكنها مفيدة، ووفقًا لاستنتاجاتها يتعيَّن علينا أن نخرج من هنا بأسرع وقت، إن الوقت ينفد منَّا.

-ولكن مهلًا، كينجي.. ماذا حدث للجميع؟ آخِر مرة رأيتك كنت تنزف. أُطلقت النار على براندن، كان كاسل ميتًا، لقد ظننتُ الجميع ماتوا.

كينجي لا يُجيبني في البداية. يقول أخيرًا: أنت حقًّا ليس لديك أي فكرة عما حدث، هاه؟

-أنا أعلم فقط أنني لم أقتُل كل هؤلاء الأشخاص في الندوة.

يبدو مندهشًا: أوه حقًّا؟ من أخبرك؟

-إيمالين.

-*أختك؟*

أقول وأنا أتنهَّد بشدة: نعم، هناك الكثير الذي يجِب أن أُخبرك به. لكن أولًا.. من فضلك أخبرني أن الجميع ما زالوا على قيد الحياة.

يتردَّد كينجي: أعني، أظن ذلك؟ بصراحة، لا أعرف. تقول نظيرة إنهم على قيد الحياة. لقد وعدتُ بإيصالهم إلى برِّ الأمان، لذلك ما زلتُ متوترًا. لكن الأمر الأكثر غرابة.. (يضع يدًا غير مرئية على كتفي) لن تُصدقي هذا أبدًا.

أقول: دعني أخمِّن، أندرسون على قيد الحياة.

أسمع شهيق كينجي الحاد: كيف عرفت؟

-لقد أخبرتني إيفي.

-هل تعلمِين إذن كيف عاد إلى القطاع 45؟

أقول: ماذا؟ لا.

-حسنًا، هذا ما كنت على وشك إخبارِكِ به الآن، أندرسون عاد إلى القاعدة. لقد استأنف منصبه كقائدٍ أعلى لأمريكا الشمالية. لقد كان هناك قبل مُغادرتنا مباشرة. أخبرتني نظيرة أنه اختلق هذه القصة بأكملها حول أنه كان مريضًا، وكيف نشر فريقنا شائعات كاذبة في أثناء تعافيه، وأنك أُعدمت بسبب تدليسك.

أقول متفاجئة: ماذا؟ هذا جنون.

-هذا ما أقوله.

أقول: إذن ماذا سنفعل عندما نعود إلى القطاع 45؟ أين سنذهب؟ أين سنبقى؟

يقول كينجي: تبًّا لي لو كنت أعرف. في الوقت الحالي، آمُل فقط أن نتمكن من الخروج من هنا أحياء.

وأخيرًا نصل إلى المخرج. لدى كينجي بطاقة تُتيح له فتح الباب الذي يُفتح بسهولة.

من هناك، يكاد يكون الأمر بسيطًا جدًّا. نحن غير مرئِيَّين مما يُبقينا في أمان، وبمجرد صعودنا على متن الطائرة؛ يتفحَّص كينجي ساعته: لعلمك، لدينا ثلاثون دقيقة فقط. تلك هي القاعدة، ثلاثون دقيقة، إذا لم تظهر نظيرة مع وارنر فعلينا الذهاب.

ويسقط قلبي في قدميَّ.

24

وارنر

ليس لديَّ وقت لاستيعاب صدمتي، أو أن أسأل نظيرة متى ستخبرني بأن لديها القدرة على جعل نفسها غير مرئية، لذلك أفعل الشيء الوحيد الذي يمكنني فعله في تلك اللحظة.

أُومئ برأسي، والحركة تكاد لا تُلاحَظ.

تقول: كينجي أخذ إيلا على متن طائرة. سأنتظرك خارج هذا الباب مباشرةً، هل تعتقد أنك تستطيع الخروج؟ إذا أصبحت غيرَ مرئيٍّ أمام الجميع، فسيكتشفون أمرنا، ومن الأفضل أن يظنوا أنك فقط تُحاول الهرب.

مرة أخرى، أومئ برأسي.

-حسنًا إذن. سأراك هناك.

أنتظر ثانية أو اثنتَين، ثم أتَّجه نحو الباب.

يصيح إبراهيم: مهلًا.

أتردَّد، وأستدير قليلًا.

-نعم؟

يسحب مُسدسًا من داخل سترته ويُشير به إليَّ: إلى أين تعتقد أنك ذاهب؟

-أريد الذهاب إلى الحمام.

إبراهيم لا يضحك: ستنتظر هنا حتى يعود ماكس. وبعد ذلك نُقرر ماذا سنفعل بك.

أُميل رأسي نحوه. المُسدس الذي يُشير به إليَّ يبدو مشبوهًا جدًّا، مثل أحد المسدسات التي سرقتُها من والدي في وقتٍ سابق.

لا يُهم ذلك.

آخُذ نفسًا سريعًا أقول محاولًا الابتسام: أخشى أن الأمر لن يحدُث بهذه الطريقة، على الرغم من أنني متأكِّد من أننا جميعًا سنرى بعضنا البعض قريبًا، لذلك لا تقلق بشأن افتقادي كثيرًا.

ثم قبل أن تُتاح الفرصة لأي شخصٍ للاحتجاج، أركض نحو الباب، ولكن ليس قبل أن يُطلق إبراهيم سلاحه.

ثلاث مرات.

من مسافةٍ قريبة.

أكتُم رغبتي في الصراخ بينما تخترق إحدى الرصاصات ربلة ساقي مباشرة، حتى مع أن الألَم يكاد يسرق أنفاسي.

بمجرد أن أكون على الجانب الآخر من الباب، تُطبّق نظيرة اختفاءها عليَّ. لم ابتعد كثيرًا قبل أن أستنشِق بحدة، وأتكوَّم على الحائط.

تقول: *اللعنة*. هل أُصِبت برصاصة؟

أقول كلماتي بعنفٍ محاولًا الحفاظ على تنفّسي منتظمًا: هذا واضح.

-اللعنة عليك وارنر، ما خطبك؟ يجب أن نعود إلى الطائرة في الخمس عشرة دقيقة التالية، وإلا فإنهم سيُغادرون بدوننا.

-ماذا؟ لماذا سيفعلون ذلك؟

-لأنني أمرتُهم بذلك. يجب أن نُخرج إيلا من هنا مهما حدث. لا يمكنني أن أُبقيهم ينتظروننا ويُخاطرون بالموت في هذه العملية.

-تعاطفك دافئ حقًّا. شكرًا لك.

تتنهَّد: أين أُصِبت برصاصة؟

-في ساقي.

-هل تستطيع المشي؟

-يجب أن أكون قادرًا على ذلك في غضون دقيقة فقط.

سمعتُها تتردَّد: ماذا تقصد؟

-إذا تمكنت من العيش لفترة كافية، فقد أُخبرك.

لم تكن سعيدة: هل يُمكنك حقًّا البدء في الركض في غضون دقيقة فقط؟

-أوه، الآن هو الركض؟ منذ لحظةٍ كنتِ تسألين ما إذا كنت أستطيع المشي.

-الركض سيكون أفضل.

أبتسِم لها ابتسامة مريرة، كان الأمر صعبًا من هذه المسافة؛ لكني كنتُ أستعير قدرة والدي الجديدة، وأستخدِمها بأفضل ما لديَّ من قوة من حيث أنا. أشعر بالجرح وهو يلتئم، ويُعيد ببطء تجديد الأعصاب والأوردة وحتى بعض العظام، لكن الأمر يستغرق وقتًا أطول مما أريد.

أسأل: كم تستغرق الرحلة الجوية للعودة؟ لا أستطيع التذكُّر.

-لدينا الطائرة، لذا يجب أن تستغرق حوالي ثماني ساعات.

أومئ برأسي، على الرغم من أنها لا تستطيع رؤيتي: لا أظن أنني أستطيع البقاء على قيد الحياة لمدة ثماني ساعات بجرحٍ مفتوح.

-حسنًا، من حُسن حظي أنني لا أهتم. سأعطيك دقيقتَين أخرَيَين قبل أن أحملك من هنا بنفسي.

أتنهّد ردًّا، وأركِّز كل طاقتي على سحب قوى الشفاء إلى جسدي. لم أحاول أبدًا القيام بشيءٍ كهذا وأنا مُصاب، ولم أكن أدرك مدى صعوبة ذلك، عاطفيًّا وجسديًّا. أشعر بالإرهاق. رأسي ينبض، وفكِّي يؤلِمني من الضغط الشديد الذي استخدمته لكبت الألم، وأشعر أن ساقي ***مُشتعلة***. لا يُوجَد شيء لطيف في عملية الشفاء. لا بد أن والدي يتحرك – ربما يبحث عني مع إبراهيم – لأن تسخير قوته أصعب من أي قوى أخرى حاولت أخذَها.

تقول نظيرة بلهجةٍ تحذيرية: سنُغادر في غضون ثلاثين ثانية.

أَصِرُّ على أسناني.

-خمس عشرة.

-***اللعنة.***

تقول نظيرة مذهولة: هل لَعنت للتوِّ؟

-أنا في ألَمٍ هائل.

-حسنًا، هذا كل شيء، لقد انتهى وقتنا.

وقبل أن أتمكن من نُطق كلمة واحدة، ترفعني عن الأرض.

وها نحن نطير.

25

جولييت إيلا

كنتُ أنا وكينجي نُحدق إلى بعضنا البعض في صمت متوتر في اللحظات الأخيرة.

أمضيت الدقائق العشر الأولى أُخبره قليلًا عن إيمالين، التي كانت مصدر إلهاءٍ مرهق، ثم ساعدني كينجي في غسل يدي ووجهي من الدماء باستخدام الإمدادات القليلة الموجودة على متن الطائرة.

الآن نُحدق كلانا في الصمت، ورُعبنا المشترك يملأ الطائرة. إنها طائرة جميلة، على ما أظن. لستُ متأكدة. لم يكن لديَّ في الواقع حضور ذهني للنظر حولي. أو لأسأله من منَّا بالضبط يعرف كيف يقود طائرة. لكن لن يكون لأي من ذلك أي أهمية، بالطبع، إذا لم تعُد نظيرة ووارنر إلى هنا قريبًا. لن يُهم لأنني لن أغادر بدونه. ويجب أن تكون أفكاري سهلة القراءة، لأن كينجي فجأة عبس.

يقول: اسمعي، أنا قلق عليهما مثلك تمامًا. لا أريد أن أترك نظيرة ورائي، وأنا متأكد من أنني لا أريد تخيُّل أن أي شيءٍ سيئ سيحدث لها في أثناء وجودها هناك، لكن علينا إخراجك من هنا.

-كينجي...

يقول وهو يُقاطعني: ليس لدينا خيار يا جيه. علينا إخراجك من هنا سواء أعجبك ذلك أم لا. إن إعادة التأسيس تُخطط لشيءٍ ما مشبوه، وأنت في وسط الأمر تمامًا. علينا أن نحافظ على سلامتك. في الوقت الحالي، الحفاظ على سلامتك هو مُهمتي بالكامل.

أُسقِط وجهي بين يديَّ، ثم أنظر للأعلى مرة أخرى بنفس السرعة: أتعلم؟ هذا كله خطئي، كان بإمكاني منع هذا.

-عن أي شيءٍ تتحدثين؟

أنا أنظر إليه مباشرة في عينَيه: كان ينبغي عليّ إجراء المزيد من الأبحاث حول إعادة التأسيس. كان يجب أن أقرأ عن تاريخها، وتاريخي فيها. كان يجب أن أتعلم المزيد عن القادة العُلى. كان يجب أن أكون مُستعدةً بشكلٍ أفضل. يا إلهي! كان يجب أن أُطالب بالبحث في المياه عن جثة أندرسون بدلًا من مجرد *افتراض* أنه غرق مع السفينة. (أهز رأسي بقوة) لم أكن على استعدادٍ لأكون القائدة العُليا يا كينجي. أنت تعرف ذلك؛ عرف كاسل ذلك. لقد عرَّضت حياة الجميع للخطر.

يقول بحدة: مهلًا، لم أقل أبدًا أنك لست...

-فقط وارنر حاول إقناعي بأنني جيدة بما فيه الكفاية، لكنني لا أظن أنني صدقتُ ذلك أبدًا.

-جيه، استمعي إليَّ، لم أقل أبدًا أنك لست...

-والآن لقد ذهب. ذهب وارنر. ربما يكون الجميع من أوميجا بوينت قد ماتوا. كل ما بنيناه.. كل ما عمِلنا من أجله.. (أشعر أنني أتحطَّم، خاوية من الداخل) لا أستطيع أن أخسر يا كينجي. (صوتي يرتجف، ويداي ترتجفان) لا أستطيع.. أنت لا تعرف.. أنت لا تعرف...

ينظر كينجي إليَّ بألَمٍ حقيقي في عينَيه: توقَّفي عن ذلك يا جيه. أنت تُحطّمين قلبي. لا أستطيع سماع هذا.

وأدرك، وأنا أبتلِع الغصَّة الموجودة في حلقي، كم كنت بحاجةٍ لإجراء هذه المحادثة. كانت هذه المشاعر تتراكم بداخلي منذ أسابيع، وكنت في حاجةٍ ماسة إلى شخصٍ ما للتحدُّث معه. كنت بحاجةٍ لصديقي.

قلت وعيناي تمتلئان بالدموع: ظننتُ أنني مررت ببعض الأشياء الصعبة. ظننتُ أنني عشتُ نصيبي من التجارب الفظيعة. لكن هذا.. أعتقد بصراحة أن هذه أسوأ أيام حياتي.

نظرات كينجي عميقة. يقول بجدية: هل تريدين إخباري عن ذلك؟

أهزُّ رأسي، وأمسح خدِّي بعنف: لا أظن أنني سأتمكَّن من التحدُّث عن أي منها حتى أعرف أن وارنر بخير.

-أنا آسِف جدًّا يا جيه. أنا حقًّا آسف.

أتنفَّس بقوة من أنفي: أنت تعلم أن اسمي إيلا، أليس كذلك؟

يقول عاقدًا حاجبَيه: صحيح، نعم، يا إيلا، هذا رائع.

أقول: أنا أُحبه، أُحبه أكثر من جولييت.

-لا أعرف. أظن أن كِلا الاسمَين جميلان.

أقول وأنا أبتعِد: نعم، لكن جولييت الاسم الذي اختاره أندرسون لي.

يقول كينجي وهو ينظر إليَّ: ***وإيلا*** هو الاسم الذي وُلِدتِ به. أفهم ذلك.

يقول متنهّدًا: نعم، اسمعي، أعلم أن هذين الأسبوعين كانا صعبَين بالنسبة لك. سمعتُ عن موضوع الذاكرة. سمعت عن أشياء كثيرة. ولا أستطيع التظاهر بأن لديَّ أي فكرة عما تمرِّين به الآن. لكن لا يمكنك لوم نفسك على أيٍّ من هذا. هذا ليس خطأك. لا شيء من ذلك هو خطؤك. لقد كنتِ بيدقًا في قلب هذه المؤامرة طوال حياتك. الشهر الماضي لن يُغير ذلك، حسنًا؟ عليك أن تكوني رحيمة بنفسك، لقد مررتِ بالكثير بالفعل.

أبتسِم لكينجي ابتسامةً صغيرة وأقول بهدوء: سأحاول.

-هل تشعرين بتحسُّن الآن؟

-لا. والتفكير في المغادرة من هنا دون وارنر.. عدم معرفة ما إذا كان سيتمكن من الصعود إلى هذه الطائرة.. إنه يقتلني يا كينجي. إنه يُدمرني.

يتنهَّد كينجي، وينظر بعيدًا. يقول: أفهم ذلك. أفهم قلقك من أنه لن يكون لديك فرصة لتصحيح الأمور معه.

أومئ له.

-تبًّا.

-لن أفعل ذلك. لا أستطيع أن أفعل ذلك، يا كينجي.

-أنا أفهمك يا صغيرة، أقسم. ولكننا لا نستطيع أن نفعل هذا. إذا لم يعودا إلى هنا خلال خمس دقائق، فعلَينا أن نذهب.

-إذن عليكَ أن تُغادر بدوني.

يقول وهو يقف على قدمَيه: لا، ليس خيارًا. لا أريد أن أفعل هذا أكثر منك، لكني أعرف نظيرة جيدًا بما يكفي لأعلم أنها تستطيع التعامُل مع الأمر هناك، وإذا لم تعُد بعد، فمن المُحتمل أن يكون ذلك لأنها تنتظر لحظةً أكثر أمانًا. سوف تجد طريقها. وعليك أن تثقي بأنها ستُعيد وارنر معها. حسنًا؟

-لا.

-هيا...

-كينجي، توقَّف.

أقف على قدميَّ أيضًا، حيث يتصادم بداخلي الغضب وانكسار القلب: لا تفعل هذا.

يقول وهو يهز رأسه. لا تُجبريني على فعل شيءٍ لا أريد القيام به. لأنني إذا اضطررتُ لذلك، فسوف أطرحك أرضًا، أقسم لك.

أقول بهدوء: لن تفعل ذلك.

الغضب يترك جسدي، أشعر فجأة بالإرهاق، بأنني جوفاء من آلام قلبي.

-أعلم أنك لن تفعل ذلك. لن تجعلني أترُكه خلفي.

-إيلا؟»

أستدير والمفاجأة تتركني حبيسة الأنفاس، مجرد صوته يجعل قلبي يتسارع بطريقةٍ تبدو خطيرة. التحوُّل المفاجئ من الخوف إلى الفرح يجعل رأسي يدور ويهذي بالمشاعر. لقد كنتُ قلقة للغاية طوال هذا الوقت، وأعرف الآن أنه...

لم يصَب بأذًى. وجهه بدون علامات. جسده سليم. إنه بخير، وجميل، وهنا. لا أعرف كيف، لكنه هنا.

أضع يدي على فمي. أهزُّ رأسي وأبحث بشدَّة عن الكلمات الصحيحة، ولكني أجد أنني لا أستطيع التحدّث. لا أستطيع إلا أن أحملق فيه وهو يتقدَّم للأمام، وعيناه مشرقتان وتلمعان. يَسحبني بين ذراعَيه. التنهُّدات تُحطم جسدي، تتويجًا لآلاف المخاوف والقلق الذي لم أسمح لنفسي بمُعالجته. أضغط وجهي على رقبته وأحاول، لكني أفشل في تمالك نفسي.

أقول وأنا أشهق بالكلمات والدموع تنهمِر بسرعة على وجهي: أنا آسفة يا آرون، أسفة جدًّا، أسفة للغاية.

أشعر به يتصل، يبتعِد، ويُحدق في وجهي بعينَين متعجبتَين وخائفتَين: لماذا تقولين ذلك؟

ينظر حوله بعنف، وينظر إلى كينجي، الذي يهز رأسه فقط.

-ماذا حدث يا حبي؟

يدفع الشَّعر عن عينيَّ ويأخذ وجهي بين يدَيه: ما الذي أنت آسفة عليه؟

نظيرة تتخطَّانا. تُومئ لي مرة واحدة فقط قبل أن تتوجَّه إلى قمرة القيادة. وبعد لحظات أسمع هدير المحرك، والأصوات الكهربائية للمعدات تنطلق.

أسمع صوتها في مكبرات الصوت العلوية، وأوامرها الواضحة والمُحددة تملأ الطائرة. تطلُب منَّا أن نجلس في مقاعدنا ونربط أحزمة الأمان، أحملق في وارنر مرة أخرى، وأَعِدُ نفسي بأنه سيكون لدينا فرصة للتحدُّث. أعاهد نفسي بأنني سأُصحح هذا الأمر.

يمسك بيدي عندما ننطلِق.

لقد ظللنا نعلو في الجو منذ عدة دقائق. وكان كينجي ونظيرة كرماء بما يكفي لمنحنا بعض الوهم بالخصوصية. أطلق كلاهما النار عليَّ بنظرات تشجيع مُنفصلة ولكن متشابهة قبل أن ينزلقا إلى قمرة القيادة. أخيرًا، أشعر بالأمان لمواصلة الحديث.

ولكن العاطفة مثل قبضةٍ في صدري، قاسية وثقيلة.

هناك الكثير لأقوله. الكثير لأُناقشه. أنا تقريبا لا أعرف حتى من أين أبدأ. لا أعرف ماذا حدث له أو ماذا يعلم أو ماذا يتذكَّر. لا أعرف إذا كان يشعر بنفس الأشياء التي أشعر بها بعد الآن. وكل المجهول بدأ يُخيفني.

يقول مُستديرًا في مقعده ليُواجهني: ما الأمر؟

يمد يده ويلمس وجهي. الشعور بجلده على بشرتي غامرًا.. قويًّا لدرجة أنه يتركني لاهثة الأنفاس. يُشعل عموري الفقري ويطلق الشرار في أعصابي.

-أنت خائفة يا حُبي. لماذا أنت خائفة؟

أهمس مُجبرةً نفسي على البقاء ثابتة، كي أقاوم الدموع التي ترفض التوقف: هل تتذكَّرني؟ هل تتذكَّرني كما أتذكَّرك؟

شيء يتغير في تعبيره. تتغيَّر عيناه ويتجمَّع فيهما الألَم.

يُومئ.

أقول بصوتٍ متكسِّر: لأنني أتذكَّرك، أتذكرك يا آرون. أتذكر كل شيء. وعليك أن تعرف.. عليك أن تعرف مدى أسفي. على الطريقة التي تركت بها الأشياء بيننا. (أبكي مرة أخرى) أنا آسفة على كل ما قلتُه. على كل موقف وضعتُك...

يقول بلُطف، والسؤال في عينَيه يتلاشى مع بدء فهمه للأمر: عزيزتي، لم يعُد أيٌّ من هذا يُهم بعد الآن. تبدو تلك المعركة وكأنها حدثت في حياة أخرى. لأشخاصٍ مُختلفين.

أمسح دموعي. أقول: أعرف. لكن كوني هنا.. كل هذا.. ظننتُ أنني قد لا أراك مرة أخرى أبدًا. وقد ***قتلني***أن أتذكَّر كيف تركتُ الأشياء بيننا.

عندما أنظر لأعلى مرة أخرى، أجد وارنر يُحملق بي، عيناه مُشرقان ولامعتان. أُشاهد حركة حلقه وهو يبتلِع ريقه بقوة.

أهمس: اغفر لي، أعلَم أن كلَّ شيءٍ يبدو غبيًّا الآن، لكنني لا أريد أن أعتبر أي شيءٍ أمرًا مفروغًا منه بعد الآن. سامِحني على إيذائك. سامِحني على عدم ثِقتي بك. لقد أفرغتُ ألَمِي عليك وأنا آسفة جدًّا. لقد كنت أنانية، وآذيتُك، وأنا آسِفة جدًّا.

يصمت لفترةٍ طويلة لدرجة أنني لا أستطيع تحمُّل ذلك. يتحدَّث أخيرًا، صوته خشن من العاطفة.

يقول: حُبي، ليس هناك ما يُغفَر.

26

وارنر

إيلا نائمة بين ذراعَي.

إيلا.

لا أستطيع حقًّا التفكير فيها على أنها جولييت بعد الآن.

لقد مضى على وجودنا في الجو ساعة حتى الآن، وقد بكَت إيلا حتى جفَّت دموعها، بكت لفترةٍ طويلة لدرجة أنني ظننتُ أن الأمر سيقتلني. لم أكن أعرف ماذا أقول. كنتُ مذهولًا لدرجة أنني لم أكن أعرف كيف أُهدئها. وفقط عندما تغلَّب إرهاقها على دموعها، أصبحت ساكنة أخيرًا، وانهارت تمامًا بين ذراعَيَّ. لقد كنت أحتضنها على صدري لمدة نصف ساعة على الأقل، مُتعجبًا مما يفعله بي مجرد الاقتراب منها بهذا الشكل. في كل مرة، يبدو الأمر وكأنه حلم. وجهها مضغوط على رقبتي. إنها تلتصق بي كما لو أنها لن تتركني أبدًا، وهذا يُحرك شيئًا بي، شيئًا متهورًا، لمعرفة أنها ربما تُريدني – أو تحتاجني – هكذا. يجعلني أرغب في حمايتها حتى لو لم تكن بحاجة إلى حماية. يجعلني أرغب في حملِها بعيدًا. في نسيان الوقت.

برفق أمسح على شعرها. أضع شفتي على جبينِها.

تتحرك قليلًا، لكن قليلًا فقط.

لم أتوقَّع هذا.

من بين كل الأشياء التي ظننتُ أنها قد تحدث عندما أراها أخيرًا، لم أكن لأحلم أبدًا بمِثل هذا السيناريو.

لم يعتذِر لي أحدٌ من قبل. ليس هكذا.

لقد جعلتُ رجالًا يسقطون على رُكبهم أمامي، متوسِّلين إليَّ أن أُبقي على حياتهم، لكن لا أتذكَّر مرة واحدة في حياتي أن هناك شخصًا اعتذر على إيذائه لمشاعري. لم يهتمَّ أحد بمشاعري أبدًا بما يكفي للاعتذار عن إيذائها. من خلال خبرتي، أنا عادةً الوحش. أنا مَن يُتَوقَّع أن أقوم بالاعتذار.

والآن..

أنا مذهول. مذهول من التجربة، من مدى غرابتها. طوال هذا الوقت، كنت أستعدُّ لاستعادتها. لمحاولة إقناعها – بطريقةٍ ما – لرؤية ما وراء شياطيني. وحتى هذه اللحظة، لا أظنُّ أنني كنتُ مقتنعًا حقًّا بأن أي شخص سيعتبرني إنسانًا بما يكفي ليغفر خطاياي. لإعطائي فرصة ثانية.

لكن الآن، هي تعرف كل شيء.

كل زاوية مُظلمة في حياتي. كل شيء فظيع حاولت إخفاءه على الإطلاق. هي تعرف هذا ولا تزال تُحبني.

يا إلهي! امسح على وجهي بيدٍ متعبة. طلبت منِّي أن *أسامحها*. أنا لا أعرف ماذا أفعل بنفسي تقريبًا. أشعر بالفرح والرُّعب. قلبي مُمتلئ بشيءٍ لا أعرف حتى كيف أصفه.

امتنان.. ربما.

أصبح الألم في صدري أقوى وأكثر إيلامًا. كونها بالقُرب مني هو بطريقةٍ ما راحة وعذاب من نوع جديد. هناك الكثير أمامنا، والكثير لا يزال يتعين علينا مواجهته معًا، لكن في الوقت الحالي لا أريد التفكير في أي شيء من ذلك. الآن أريد فقط أن أستمتع بقُربها. أريد أن أشاهد حركات تنفُّسها اللطيفة. أريد أن استنشق الرائحة الناعمة لشعرها وأستريح على دفء جسدها الثابت.

بحذَر، ألمس بأصابعي خدَّها.

وجهها ناعم وخالٍ من الألم والتوتر. تبدو هادئة. تبدو *جميلة*.

حبيبتي.

حبيبتي الجميلة.

تفتح عينَيها فأشعر بالقلق للحظة، ربما كنتُ قد تحدثت بصوتٍ عالٍ. لكنها بعد ذلك تنظر إليَّ، وعيناها لا تزالان ناعستَين، فأضع يدي على وجهها، وهذه المرة أُجري أصابعي برفقٍ على طول فكِّها. تُغلق عينَيها مرة أخرى. تبتسِم.

تهمس: أنا أُحبك.

تضطرم المشاعر بداخلي، تجعل تنفُّسي صعبًا، لا أستطيع إلا النظر إليها، أدرس وجهها، والخطوط والزوايا التي كنتُ أعرفها دائمًا بطريقةٍ ما.

تجلس ببطء.

تميل إلى الوراء، وتُمدِّد عضلاتها المتعبة والمتصلِّبة. عندما تراني وأنا أراقبها، تبتسِم بخجل.

تميل إلى الأمام، تأخذ وجهي بين يدَيها.

تقول: مرحبًا.

كلماتها ناعمة، ويداها لطيفة وهي تُميل ذقني نحو فمِها. تُقبّلني مرة، شفتاها ممتلئتان وجميلتان. إنها قبلة حنونة، لكن الشعور يضربني بحاجةٍ حادة ويائسة.

تقول: لقد افتقدتُك كثيرًا، لا أزال غير مصدقة أنك هنا.

تقبّلني مرة أخرى، هذه المرة أعمق، وأكثر جوعًا، ويخفق قلبي بسرعة كبيرة لدرجة أنني أسمعه يهدر في أذني. بالكاد أستطيع سماع أي شيءٍ آخر. لا أستطيع إجبار نفسي على الكلام.

أنا مذهول.

عندما نفترق تبدو عيناها قلقتَين.

تقول: آرون. هل كل شيءٍ على ما يُرام؟

وأدرك حينها – في لحظة تُرعبني – أنني أريد هذا إلى الأبد. أريد أن أمضيَ بقية حياتي معها. أريد أن أبني مستقبلًا معها. أريد أن أتقدَّم في العمر معها.

أريد الزواج بها.

27

جولييت إيلا

أقول مرة أخرى، هذه المرة بهدوء: هل أنت بخير؟

يرفّ بجفونه مذهولًا، يقول وهو يسحب نفسًا حادًا: نعم.. نعم.. أنا رائع.

أبتسم ابتسامةً صغيرة: أنا سعيدة لأنك وافقتني أخيرًا.

يعبس مرتبكًا، وبعد ذلك عندما يُدرك ما أقصده..

يحمرّ خجلًا.

ولأول مرة منذ أسابيع، تنتشِر ابتسامة كاملة وحقيقية على وجهي. إنه شعور جيد. أنني بشر. لكن آرون يهز رأسه، ومن الواضح أنه مذعور. لا يستطيع أن يلتقي بنظراتي. كان صوته حذرًا وهادئًا عندما يقول: ليس هذا ما قصدته على الإطلاق.

أقول وابتسامتي تتلاشى: مهلًا.. (أضع يدَيه في يدي وأضغط فوقها) انظر إليَّ.

يفعل، وأنسى تمامًا ما كنت سأقوله. لدَيه مثل هذا الوجه، الذي يجعلك تنسى أين أنت، وما كنت على وشك فعله أو قوله. لقد اشتقتُ له كثيرًا. اشتقت إلى عينَيه، لقد مرَّ أسبوعان فقط، ولكن يبدو الأمر وكأنه قد مرَّ دهر منذ آخر مرة رأيته فيها، حياة مليئة بالاكتشافات الرهيبة التي هدَّدت بإبعادنا. لا أستطيع تصديق أنه هنا، وأننا وجدنا بعضنا البعض وقُمنا بتصحيح الأمور.

إنه ليس أمرًا هينًا.

حتى مع كل شيءٍ آخر – مع كل الأهوال الأخرى التي لم نُواجهها بعد – فإن وجودنا هنا معه يبدو وكأنه انتصار كبير. كل شيء يبدو جديدًا. عقلي يشعر بأنه جديد، وذكرياتي جديدة. حتى وجه آرون جديد بطريقته الخاصة. إنه يبدو مُختلفًا بعض الشيء بالنسبة لي الآن. مألوفًا. كما لو كان دائمًا هنا. عاش دائمًا في قلبي. شعره الكثيف والذهبي والجميل هو أكثر ما أتذكّره – لا بد أن إيفي فعلت شيئًا ما لشعره أيضًا بطريقةٍ ما. وعلى الرغم من أنه يبدو مرهقًا أكثر مما أرغب، إلا أن وجهه لا يزال ملفتًا للنظر. خطوطه جميلة وحادة. عينان خضراوان ثاقبتان وفاتحتان ومشرقتان لدرجة تكاد تكون مؤلِمة عند النظر إليهما. كل شيء فيه مصنوع بدقة. أنفه. ذقنه. أُذناه وحاجباه. لدَيه فم جميل.

أُحملِق فيه لفترة طويلة وقد خانت عيني عقلي، يتَّسم آرون.. *آرون*. إن مناداته بوارنر لا تبدو شيئًا صحيحًا بعد الآن.

–ماذا تفعلين يا حُبي؟

أقول مُحملقة إلى فمه: أستمتِع بالمنظر.

أمدّ يدي، وأمرر أصبعَين على شفته السفلية. الذكريات تتدفّق في اندفاع مفاجئ يخطف الأنفاس. الليالي الطويلة. الصباح الباكر. قُبلاته. في كل مكان. مرارًا وتكرارًا.

أسمعه يزفر فجأة، وأنظر إليه. عيناه داكنتان، ثقيلتان بالمشاعر: بماذا تفكرين؟

أهزّ رأسي، وأشعر بالخجل فجأة. هذا غريب. بالنظر إلى مدى قُربنا، أشعر بالخجل منه الآن. لكني أشعر بأنني أعرفه ولا أعرفه في الوقت نفسه، وكأننا ما زلنا نتعرَّف على بعضنا البعض.

ما زلنا نكتشف ما تعنِيه علاقتنا وما نَعنيه لبعضنا. تبدو الأمور أعمق وأقوى، وأكثر أهمية. أُمسِك يدَيه مرة أخرى.

أهمس: كيف حالك؟

يُحدق إلى يدَينا المتشابكتَين وهو يقول: أبي لا يزال على قيد الحياة.

-سمعت بالأمر. أنا آسفة جدًّا.

يومئ، يبدو متباعدًا.

-هل رأيته؟

يومئ مرة أخرى: لقد حاولت قتلَه.

أتجمَّد.

أعلم مدى صعوبة مواجهة آرون لوالده. لقد كان أندرسون دائمًا أقوى خصومِه. لم يتمكن آرون من قتاله وجهًا لوجه. لم يكن قادرًا أبدًا على حمل نفسه على تنفيذ تهديداته بالقتل.

إنه لأمر مُدهش أنه اقترب حتى مِن فعل ذلك. ثم أخبرني آرون كيف أن والده يتمتَّع بقدرات شفاء شِبه وظيفية، وكيف حاولت إيفي إعادة إنشاء الحمض النووي الخاص بالتوءمين لأجله.

-إذن والدك لا يُقهر تقريبًا؟

يضحك آرون بهدوء. يهز رأسه: لا أعتقد ذلك. إنه يجعل قتله أكثر صعوبة، لكنني أظن أن هناك ثغرة يمكن العثور عليها في درعه.

يتنهَّد: صدِّقي أو لا تصدِّقي؛ الجزء الأغرب من الأمر برمته هو أن والدي كان فخورًا بي بعد ذلك. فخور بي لمحاولتي قتله.

ينظر آرون للأعلى، ينظر إليَّ في عيني: هل يمكنك أن تتخيلي؟

أهمس: نعم، أستطيع.

تغرق عينا آرون بالعاطفة، يسحبني نحوه: أنا آسف جدًّا يا حبي. أنا آسف جدًّا على كل ما فعلوه بك. على كل ما وضعوك فيه. يقتلني أن أعرف أنك كنت تُعانين. أنني لم أستطيع أن أكون هناك من أجلك.

أهزّ رأسي: لا أريد أن أفكر في الأمر الآن. في الوقت الحالي كل ما أريده هو هذا. أريد فقط أن أكون هنا. معك. مهما حدث بعد ذلك، سنواجهه معًا.

يقول بنعومة: إيلا.

موجة من المشاعر تجتاحني. سماعه يقول اسمي – اسمي الحقيقي – يجعل كل شيءٍ يبدو حقيقيًّا. *يجعلنا* نشعر أننا حقيقِيَّان.

ألتقي بعينَيه. يبتسِم ويقول بهدوء: أتعلَمِين؟ أشعر بكل شيءٍ عندما تلمسني يا حُبي. أستطيع أن أشعر بإثارتك، بعصبيتك، باستمتاعك، وأنا أحب ذلك. أحب الطريقة التي تستجِيبين بها معي، أُحب الطريقة التي *ترغبينني* بها. أشعر بذلك، عندما تستسلمين لي، بالطريقة التي تثِقين بي بها عندما نكون معًا.

يهمس قائلًا: أشعر بحبك لي. أشعر به في عظامي. (يُشيح بنظره) لقد أحببتك طوال حياتي.

ينظر إليَّ بمشاعر غامرة تكاد تكسر قلبي.

يقول: بعد كل ما مررنا به – بعد كل الأكاذيب والأسرار وسوء الفهم – أشعر وكأننا حصلنا على فرصة للبدء من جديد. أريد أن أبدأ من جديد. لا أريد أن أكذب عليك مرة أخرى. أريد أن نثِق ببعضنا البعض وأن نكون شركاء حقيقيين في كل شيء. لا مزيد من سوء الفهم. لا مزيد من الأسرار. أريد أن نبدأ من جديد، هنا، في هذه اللحظة.

أومئ برأسي، وأبتعِد حتى أتمكن من رؤية وجهه بشكلٍ أكثر وضوحًا. مشاعري عالِقة في حلقي، تُهدِّد بالتغلُّب علي.

–أريد ذلك أيضًا. أريد ذلك بشدة.

يقول بصوتٍ أجش من المشاعر: إيلا، أريد أن أقضي بقية حياتي معك.

قلبي يتوقَّف. أحملق به، غير متأكدة، والأفكار تتطاير في رأسي. ألمس خدَّه فينظر بعيدًا، ويأخذ نفسًا مفاجئًا ومُرتجفًا.

أهمس: ماذا تقول؟

–أُحبك يا إيلا. أحبك أكثر من...

–*واو!* أنتما الاثنان لا تستطيعان الانتظار حتى نعود إلى القاعدة، أليس كذلك؟ ألا يُمكنكما أن تُعفيا عيني من رؤية هذا؟

يُخرجني صوت كينجي فجأة من رأسي. أستدير بسرعة كبيرة جدًّا مبتعدة بشكلٍ غريب عن جسد آرون. آرون من ناحية أخرى، أصبح شاحبًا.

يرمي كينجي نحوَه وسادة طائرة رفيعة. يقول: على الرحب والسعة.

يُعيد آرون الوسادة إليَّ دون أن ينبس ببنت شفة، وعيناه مُشتعلتان وهو ينظر إلى كينجي. يبدو مصدومًا وغاضبًا، وهو يميل إلى الأمام في مقعده، ومرفقاه متوازنان على ركبتَيه، ضاغطًا برسغَيه على عينَيه:

أنت كالطاعون في حياتي يا كيشيموتو.

–قلت *على الرحب والسعة!*

يتنهد آرون بشدة: أنت لا تتخيل ما قد أتخلّى عنه لأتمكن من كسر رقبتك الآن.

يقول كينجي: مهلًا، *وأنت* لا تتخيَّل ما فعلته لأجلك، لذلك سأُكرر ما أقوله مرة أخرى: على *الرحب والسعة*.

-لم أطلب مساعدتك أبدًا.

يعقد كينجي ذراعَيه. عندما يتحدَّث، فإنه يبالِغ في نطق كل كلمة، كما لو كان يتحدث إلى أحمق: لا أظن أنك تفكر بوضوح.

-أنا أفكر بشكلٍ أوضح من أي وقتٍ مضى.

يقول كينجي وهو يهز رأسه: هل تظن أن هذه فرصة جيدة؟ الآن؟ هنا؟

يجزُّ آرون على فكِّه. يبدو غاضبًا.

-أخي، هذه ليست اللحظة المناسبة.

-ومتى بالضبط أصبحت خبيرًا في هذا النوع من الأشياء؟

أنظر إليهما وأقول: ماذا يحدث؟ ما الذي تتحدَّثان عنه يا رفاق؟

يقولان في الوقت نفسه: لا شيء.

أحدق إليهما: أمم، حسنًا.

وما زلتُ في حيرة من أمري، وأنا على وشك طرح سؤال آخر عندما يقول كينجي فجأة: من يريد تناول الغداء؟

يرتفع حاجباي: هل لدينا طعام؟

يقول كينجي: إنه أمر فظيع، لكن لديَّ أنا ونظيرة سلة نزهة أحضرناها معنا، نعم.

-أعتقد أنني مُستعدة لتجربة محتويات السلة الغامضة.(أبتسم لآرون) هل أنت جائع؟

لكن آرون لا يقول شيئًا. وما زال يُحدق إلى الأرض. ألمس يده وأخيرًا يتنهَّد. يقول: أنا لست جائعًا.

يقول كينجي بحدة: ليس خيارًا. أنا متأكد أنك لم تأكل شيئًا منذ خروجك من السجن المزيف.

يعبس آرون، وعندما ينظر لأعلى يقول: لم يكن سجنًا *مزيفًا*. لقد كان سجنًا حقيقيًّا للغاية، لقد سمَّمَني لأسابيع.

تتسع عيناي: ماذا؟.. أنت لا...

يُقاطعني كينجي بإشارةٍ من يده: لقد أعطوك الطعام والماء، وسمحوا لك بالاحتفاظ بالملابس، أليس كذلك؟

-نعم ولكن..

يهز كتفيه: يبدو أنك كنت في إجازة صغيرة.

يتنهد آرون. يبدو مُنزعجًا ومرهقًا بينما يمرِّر يده على طول وجهه. أنا لا أحب ذلك.

أقول عابسة في وجه كينجي: مهلًا، لماذا تُضايقه؟ قبل ظهوره هو ونظيرة مباشرة كنت تتحدَّث مرارًا وتكرارًا عن مدى روعته، و...

يشتم كينجي هامسًا: يا يسوع يا جيه، (ينظر إليَّ بغضب) ماذا قلت لك بشأن تكرار تلك المحادثة بصوتٍ عالٍ؟

يعتدل آرون في جلسته، وتحلُّ المفاجأة محل الإحباط في عينَيه: هل تظن أنني رائع؟

يقول ضاغطًا بيدٍ واحدة على صدره في عاطفة وهمية: هذا جميل جدًّا.

-لم أقل *أبدًا* أنك رائع.

يُميل آرون رأسه: ثم ماذا قلت بالضبط؟

يبتعِد كينجي. لا يقول شيئًا. ابتسمتُ في ظهر كينجي عندما أقول: لقد قال أنك تبدو جيدًا في كل شيء، وأنك جيد في كل شيء.

تتَّسِع ابتسامة آرون.

آرون لا يبتسم أبدًا على نطاق واسع بما يكفي لأتمكن من رؤية غمازاته، ولكن عندما يفعل ذلك، يتغيَّر وجهه. تُضيء عيناه، خدَّاه يتحولان إلى اللون الوردي، ويبدو فجأة لطيفًا، *وجذابًا*.

إنه يخطف أنفاسي. لكنه لا ينظر إليَّ، بل ينظر إلى كينجي، وعيناه مُمتلئتان بالضحك عندما يقول: من فضلك أخبرني أنها ليست جادة.

كينجي يوجِّه إلينا إشارة غير لائقة. يضحك آرون. وبعد ذلك، يَميل إلى الأمام: هل تظن حقًّا أنني أبدو جيدًا في كل شيء؟

-اصمت أيها الأحمق.

يضحك آرون مرة أخرى، تصرخ نظيرة من قمرة القيادة: توقفوا عن الاستمتاع بدوني. لا مزيد من إلقاء النكات حتى أضع هذا الشيء على مثبت السرعة.

أتجمَّد: هل تحتوي الطائرات على نظام تثبيت السرعة؟

يحكُّ كينجي رأسه: أمم.. لا أعرف حقًّا؟

ولكن بعد ذلك تنضم إلينا نظيرة، طويلة القامة وجميلة ولا مُبالية. إنها لا تُغطي شعرها اليوم، وهو ما أظنه منطقيًّا، مع الأخذ في الاعتبار أنه غير قانوني بشكلٍ عام، لكنني شعرت بذُعر خافت ينتشر في جسدي عندما أدركت أنها ليست في عجلةٍ من أمرها للعودة إلى قمرة القيادة.

أقول: مهلًا، لا أحد يقود الطائرة. ألا ينبغي لأحدٍ أن يقود الطائرة؟

تُشير إليَّ بهدوء: لا بأس. هذه الأشياء أصبحت تعمل تلقائيًّا الآن، على أي حال. ليس عليَّ أن أفعل أكثر من مجرد إدخال الإحداثيات والتأكّد من أن كل شيء يعمل بسلاسة.

-لكن...

تقول وهي تنظر إليّ بنظرة حادة: كل شيء بخير، نحن بخير، لكن يجب أن يُخبرني أحد بما يحدث.

أسأل مرة أخرى بهدوء: هل أنت متأكدة من أننا بخير؟

ترميني بنظرة غاضبة.

أتنهّد قائلة: حسنًا، في هذه الحالة، عليك أن تعلمي أن كينجي كان يُبدي إعجابه بحسِّ الموضة عند آرون.

تنظر نظيرة إلى كينجي رافعةً حاجبًا واحدًا.

يهز كينجي رأسه ويبدو مُنزعجًا بشكلٍ واضح: لم أكن... اللعنة، جيه، ليس لديك ولاء.

أقول وأشعر بأنني مجروحة قليلًا: لديّ الكثير من الولاء، لكن عندما تتقاتلان يا رفاق بهذه الطريقة فإن ذلك يُرهقني. أريد فقط أن يعرف آرون أنك تهتم به سرًّا. أُحبكما وأريدكما أن تكونا صديقين...

يعبس آرون: مهلًا.. ماذا تقصدين بأنك تُحبِّين كلينا؟

أنقل نظري بينه وبين كينجي متفاجئة: أعني أنني أهتمُّ بكما معًا. أنا أُحبكما.

يقول آرون مترددًا: صحيح، لكنك لا تُحبِّيننا معًا في *الواقع*. هذا مجرد شكل من أشكال التعبير، أليس كذلك؟

حان دوري في العبوس، أقول: كينجي هو أقرب صديق لي. أنا أُحبه مثل أخي.

-لكن...

يقول كينجي بصوتٍ عالٍ قليلًا: أنا أُحبك أيضًا يا أيتها الأميرة. وأقدِّر قولك ذلك.

يتمتم آرون بشيءٍ هامسًا والذي يبدو مُثيرًا للريبة مثل «أحمق قذر».

تتسع عينا كينجي: ماذا قلتَ لي للتو؟ سأجعلك ترى أنني أغتسل *طوال الوقت*...

تضع نظيرة يدَها مُهدئة على ذراع كينجي، ويذهل عند لمسها. ينظر إليها، يرفّ بجفنَيه.

تقول بصوتٍ حازم لكنه لطيف: أمامنا خمس ساعات أخرى في هذه الرحلة، لذا أوصي بأن نضع هذه المحادثة جانبًا. أعتقد أنه من الواضح للجميع أنك ووارنر تستمتعان سرًّا بصداقة بعضكما البعض، وليس من المُفيد لأي شخص أن يتظاهر بخلاف ذلك.

يشحب كينجي.

تنظر لنا جميعًا: هل نحن مُتَّفقون؟ هل يمكننا الإقرار بأننا جميعًا في نفس الفريق؟

أقول بحماس: نعم، أنا موافقة.

يقول آرون: حسنًا.

تقول نظيرة: عظيم، كينجي، هل أنت بخير؟

يومئ برأسه ويُتمتم بشيء.

تقول بحيوية: ممتاز. الآن ها هي الخطة، سوف نأكل ثم نتناوب في محاولة للحصول على قسطٍ من النوم.

«سيكون لدينا الكثير من الأمور التي يجِب التعامُل معها عند هبوطنا، ومن الأفضل أن نبدأ العمل فورًا عند ذلك.

ترمي بعض الأكياس المُغلقة المُفرَّغة من الهواء على كل واحدٍ منا: هذا هو غداؤكم. هناك زجاجات مياه في الثلاجة في المُقدمة. أنا وكينجي سنتولَّى المناوبة الأولى...

يقول كينجي عاقدًا ذراعَيه: مُستحيل، لقد كنت مُستيقظة لمدة أربعٍ وعشرين ساعة متواصلة. سأتولَّى أنا النوبة الأولى.

-لكن...

يطلق كينجي نظرة نارية على وارنر: في الواقع أنا ووارنر سنتولَّى المناوبة الأولى معًا، أليس كذلك؟

يقول آرون: نعم، بالطبع. (يقف) سأكون سعيدًا بذلك.

يقول كينجي: رائع.

تبدأ نظيرة بالفعل في إخفاء التثاؤب، إذ قامت بسحب مجموعة من البطانيات والوسائد الرفيعة من دولاب التخزين.

-حسنًا إذن، فقط أيقِظنا خلال بضع ساعات.

يرفع كينجي حاجبًا: بالتأكيد.

-أنا جادة.

-نعم. فهمت.

يقدم لها كينجي تحيةً وهمية، ويبتسم لي آرون ابتسامة سريعة، ويختفي الاثنان في قمرة القيادة. كينجي يُغلق الباب خلفهما. أُحدق في الباب المغلق، وأتساءل عما يحدث بينهما، عندما تقول نظيرة: لم يكن لدي أي فكرة أنكما كنتما قريبان إلى هذا الحد.

أنظر للأعلى متفاجئة: من؟ أنا وآرون؟

تقول مبتسمة: لا، أنت وكينجي.

أعبس: أوه، لا أظن أننا قريبان.

تنظر إليَّ نظرة مضحكة.

أقول: أنا جادة، أعتقد أن صداقتنا طبيعية جدًّا.

بدلًا من أن تُجيبني تقول: هل سبق لكما.. (وتلوح بيدها نحو اللاشيء).. المواعدة؟

تتسع عيناي، والحرارة تغمر جسدي: ماذا؟ **لا**.

تسأل بابتسامةٍ صغيرة: أبدًا؟

-أبدًا. أقسم. ولا حتى اقتربنا من الأمر.

-حسنًا.

أسارع بالإضافة: لا يعني ذلك أن هناك شيئًا خاطئًا به. «كينجي رائع. الشخص المناسب سيكون محظوظًا بوجوده معه.»

تضحك نظيرة بهدوء. تحمل كومة الوسائد والبطانيات إلى صف مقاعد الطائرة وتبدأ في إمالة ظهرِها. أشاهدها وهي تعمل. هناك شيء سلس للغاية ومصقول في حركاتها، شيء ذكي في عينَيها طوال الوقت. يجعلني أتساءل عما تُفكر فيه، وما تُخطط له. لماذا هي هنا من الأساس.

فجأة، تتنهَّد. إنها لا تنظر إليَّ عندما تقول: هل تتذكَّريني بعد؟

أرفع حاجبي مستغربةً، وأقول بهدوء: بالطبع.

تومئ وتقول: لقد كنتُ أنتظر منذ فترة حتى نتحدث معًا.

تجلس وتدعوني للانضمام إليها وهي تربِّت على المقعد المجاور لها.

فأفعل.

بدون كلام، تُعطيني بعض البطانيات والوسائد. وبعد ذلك، نجلس معًا، وأحدق بارتياب في كيس الطعام مُحكم الغلق الذي ألقته عليّ، أقول: إذن أنت تتذكَّرينني أيضًا؟

نظيرة تُمزق كيسها، تنظر بداخلة لتتفحص المحتويات وتقول بهدوء شديد: أرشدتني إيمالين إليك. الذكريات.. الرسائل.. كانت هي.

أقول: أعرف. إنها تحاول توحيدنا. إنها تريد منَّا أن نتكاتف معًا.

تهز نظيرة محتويات الكيس في يدها، وتلتقط قطع الفاكهة المُجففة بالتجميد. تنظر إلي. تقول: كنتِ في الخامسة من عمرك عندما اختفيت. كانت إيمالين في السادسة من عمرها. أنا أكبر منك بستة أشهر، وأصغر من إيمالين بستة أشهر.

أومئ: لقد كنا نحن الثلاثة أقرب أصدقاء.

تنظر نظيرة بعيدًا وتبدو حزينة. تقول: لقد أحببتُ إيمالين حقًّا. كنا لا ننفصِل. لقد فعلنا كل شيءٍ معًا. (تهز كتفَيها، حتى عندما يَعبُر وميض الألَم وجهها) هذا كل ما حصلنا عليه. كل ما كنَّا عليه قد سُرق منا.

تلتقِط قطعتَين من الفاكهة وتضعهما في فمِها. أشاهدها وهي تمضغ مفكرة وأنتظر المزيد. لكن تمرُّ الثواني ولا تقول شيئًا، وأظن أنني يجِب أن أملأ الصمت. لذا أقول: نحن في الواقع لن ننام أليس كذلك؟

هذا يجعلها تبتسم. ومع ذلك، فهي لا تنظر إلي.

وأخيرًا تقول: أعلم أنك ووارنر حصلتما على الجزء الأسوأ، أُدرك هذا. ولكن إذا كان ذلك يجعلك تشعرين بتحسُّن، فقد مسحوا كل ذكرياتنا في البداية.

-أنا أعرف. لقد أخبرتني إيمالين.

تقول: لم يُريدوا منا أن نتذكَّرك. لم يُريدوا منا أن نتذكّر الكثير من الأشياء. هل أخبرتك إيمالين أنها تواصلت معنا جميعًا؟ أنت وأنا ووارنر وأخي، كل الأطفال؟

-نعم، لقد أخبرتني القليل، هل تحدثتِ مع أيٍّ من الآخرين حول هذا الموضوع؟

تومئ نظيرة. تضع قطعة أخرى من الفاكهة في فمها.

-ثم؟

تميل رأسها: سنرى.

تتسع عيناي: ماذا يعني ذلك؟

-سأعرف المزيد عندما نهبط، هذا كل شيء.

أقول وأنا أعبس قليلًا: إذن.. كيف عرفتِ حتى؟ إذا كان لديك فقط ذكريات عني وإيمالين عندما كنت طفلة، فكيف ربطت كل ذلك بالحاضر؟ كيف عرفت أنني إيلا من طفولتك.

-تعلمين، لم أكن متأكدة بنسبة مائة بالمائة. وكنت على حق في كل شيء حتى رأيتك على العشاء في الليلة الأولى لي في القاعدة.

أقول: هل تعرفتِ علي؟ منذ أن كنت في الخامسة؟

تقول وتُومئ نحو يدي اليُمنى: لا، من الندبة الموجودة على الجزء الخلفي من معصمك.

أقول رافعة يدي: هذه؟

ثم أعبس عندما أتذكَّر أن إيفي أصلحت بشرتي. كنت أعاني من ندوب باهتة في جميع أنحاء جسدي؛ تلك التي على يدي كانت الأسوأ. أمي بالتبنِّي وضعت يدي في النار مرةً عندما كنت حبيسة المنزل، وآذيتُ نفسي كثيرًا. الكثير من الحروق والكثير من الجروح التي لم تلتئم بشكلٍ جيد. أهز رأسي لنظيرة عندما أقول: كنتُ أعاني من ندوب في يدي منذ أن كنت في المصحَّة. لقد تخلصت منهم إيفي.

تأخذ نظيرة يدي، وتقلِبها بحيث تكون كفي مفتوحةً للأعلى. بحذَر، ترسم خطًّا يمتدُّ من معصمي إلى ساعدي.

-هل تتذكَّرين الندبة التي كانت هنا؟

أرفع حاجبي: نعم.

تقول وهي تسقط يدي: يمتلك والدي مجموعة كبيرة من السيوف. شفرات رائعة حقًّا.. أشياء مذهّبة ومصنوعة يدويًّا وقديمة ومزخرفة. على أية حال، (تنقر على الندبة غير المرئية على معصمي) لقد فعلت ذلك لك. لقد اقتحمت غرفة سيوف والدي، ظانَّةً أنه سيكون من المُمتع بالنسبة لنا أن نتدرب على القليل من القتال اليدوي. لكني جرحتُك جرحًا سيئًا للغاية. وكادت أمي أن تضربني بشدة. (تضحك) لن أنسى ذلك أبدًا.

أعبس في وجهها، وفي مكان ندبتي القديمة: ألم تقولي أننا كنا أصدقاء عندما كنا في ***الخامسة*** من عمرنا؟

تومئ بالإيجاب.

-كنا في الخامسة وظننا أنه سيكون من المُمتع اللعب بسيوف حقيقية؟

تضحك وتبدو مشوَّشة وهي تقول: لم أقل أبدًا أننا عشنا *طفولة طبيعية*. لقد كانت حياتنا فوضوية للغاية. (تضحك مرة أخرى) لم أثق بوالديَّ أبدًا. كنت أعلم دائمًا أنهما غارقان حتى أذنَيهما في أشياء مشبوهة. لقد حاولتُ دائمًا معرفة المزيد. كنتُ أحاول منذ سنوات اختراق ملفَّات بابا الإلكترونية. ولمدة طويلة، لم أتمكن من الوصول إلا إلى المعلومات الأساسية. لقد عرفت بأمر المصحَّات. وغير الطبيعيين.

أقول وأنا أتفهم أخيرًا: لهذا السبب أخفيت قدراتك عنهما.

تومئ: لكنني أردتُ معرفة المزيد. كنت أعلم أنني أكتشف فقط سطح شيء كبير. لكن مستويات الأمان المُضمَّنة في حساب والدي لا تُشبه أي شيءٍ رأيته من قبل. لقد تمكَّنت من اجتياز المستويات القليلة الأولى من الأمان، وهي الطريقة التي علمتُ بها بوجودك وبوجود إيمالين قبل بضع سنوات. كان لدى بابا الكثير من السجلات، تقارير عن عاداتك وأنشطتك اليومية، وسجلٌّ بوقت وتاريخ كل ذكرى سرقوها منك.. وكانت جميعها من السنوات والأشهر الأخيرة...

أشهق.

تنظر نظيرة إليَّ بنظرةٍ متعاطفة وتقول: كانت هناك إشارات مختصرة لأختك في ملفاتك، لكن لم يكن هناك أي ذِكر جوهري؛ في الغالب مجرد ملاحظة مفادها أنكما كنتما قويَّتَين، وقد تبرع والداكما بكما لهذه القضية. لكن لم أتمكن من العثور على أي شيء عن الأخت المجهولة، مما جعلني أظن أن ملفاتها محمية أكثر. قضيتُ العامَين الماضِيَين محاولة اختراق المستويات الأعمق لحساب بابا ولم أُحقق أي نجاح. لذلك تركت الأمر لبعض الوقت.

تضع قطعة أخرى من الفاكهة المُجففة في فمها.

-لم تزد شكوكي إلا بعد أن بدأ أبي يفقد عقله بعد محاولتك قتل أندرسون. في تلك اللحظة، بدأت أتساءل عما إذا كانت هذه الـ «*جولييت فيرارز*» التي كان يصرخ باسمها ليست شخصًا مُهمًّا. (تتفحَّصني من زاوية عينَيها) كنت أعلم أنه لا يُمكنها أن تكون شخصًا عشوائيًّا *غير طبيعي*، لقد عرفت ذلك. لقد خرج بابا *عن طوره*. لذلك عدت إلى القرصنة مرة أخرى.

أقول: واو!

تقول وهي تومئ برأسها: نعم، أليس كذلك؟ على أي حال، كل ما أحاول قوله هو أنني كنت أحاول اكتشاف الحقيقة لعدة سنوات، والآن.. وإيمالين في ذاكرتي.. لقد اقتربتُ أخيرًا من اكتشاف كلِّ شيء.

أنظر إليها.

-الشيء الوحيد الذي ما زلتُ لا أعرفه هو **سبب** حبس إيمالين. لا أعرف ماذا يفعلون بها. وأنا لا أفهم لماذا هذا سِر؟

أقول: أنا أعرف.

تنتصِب رقبتُها، تنظر إلي بعينَين واسعتَين: طريقة رائعة لإخفاء الخبر الأهم يا إيلا.

أضحك، ولكنها ضحكة حزينة.

28

وارنر

بمجرد أن نجلس يلتفت كينجي نحوي ويقول: هل تريد أن تُخبرني ما الذي يحدث بحق الجحيم؟

-لا.

يدير كينجي عينَيه في محِجرَيهما، يُمزق كيس وجبته الصغيرة، ويقلب الكيس مباشرة في فمه حتى لا يفقد أيًّا من محتوياته. يغلق عينيه وهو يمضغ. يصدر أصواتًا راضيةً صغيرة.

أتمكن من محاربة الرغبة في أن أبدو منزعجًا، لكنني لا أستطيع منع نفسي من القول: أنت تأكل مثل رجل الكهف.

يقول بغضب: لا، لا أبدو كذلك.

ثم بعد لحظةٍ يقول: هل أبدو كذلك؟

أتردَّد، وأشعر بموجة الخجل المفاجئ. من بين جميع المشاعر التي أكره تجربتها قد يكون الخجل المُحرج أكثرها سوءًا. يضربني الشعور مباشرة في بطني. يجعلني أريد قلب جلدي من الداخل إلى الخارج.

«بلا شك هي الطريقة الأبسط لإخضاعي.»

أقول ببطء: لا، أنت لا تأكل مثل رجل الكهف. كان ذلك ظلمًا.

ينظر إليَّ كينجي. هناك الكثير من الأمل في عينَيه.

-لم أرَ أبدًا أي شخصٍ يأكل الطعام بنفس الحماس الذي تتمتع به.

يرفع كينجي حاجبه: أنا لستُ متحمسًا. أنا جائع.

بعناية، أفتح عبوتي الخاصة. أهزُّ بعض قطع الفاكهة في يدي المفتوحة.

تبدو وكأنها ديدان جافة.

أعيد الفاكهة إلى الكيس، وأزيل فضلاتها عن يدي، وأُقدم حصتي إلى كينجي.

يقول وهو يأخذها مني: هل أنت متأكد؟

أومئ برأسي.

يشكرني.

لا يقول أيٌّ منا شيئًا لفترةٍ من الوقت.

يقول كينجي أخيرًا، بينما لا يزال يمضغ: إذن، كنت ستطلب منها الزواج؟

-واو!

أُخرج زفيرًا طويلًا وثقيلًا: كيف يمكنك حتى أن تعرف شيئًا كهذا؟

-لأنني لستُ أصم.

أرفع حاجبي.

-يتردَّد صدى الكلمات هنا.

-«بالطبع لا يتردَّد صداها هنا.»

يقول وهو يهز رأسه ويضع المزيد من الفاكهة في فمه: توقف عن تغيير الموضوع. المُهم هو أنك كنتَ ستطلب منها الزواج. هل تُنكر ذلك؟

أبتعِد، وأمرِّر يدي على جانب رقبتي، وأُدلك العضلات المشدودة، أقول: أنا لا أُنكره.

-ثم تهانينا. سأكون سعيدًا بأن أكون إشبينك في حفل الزفاف.

أرفع رأسي متفاجئًا: لا أريد أن أُعقِّب على الجزء الأخير مما قلتَه للتو، لكن.. لماذا التهاني؟ ظننتُ أنك كنت تُعارض الفكرة بشدة.

يعبس: ماذا؟ لستُ معارضًا للفكرة!

-إذن لماذا كنت غاضبًا جدًّا؟

-ظننتُ أنك غبي لفعل ذلك هنا. في الوقت الحالي. لم أرغب في أن تفعل شيئًا ستندم عليه. سيندم عليه كلاكما.

-لماذا سأندم على طلب الزواج منها الآن؟ يبدو أن هذا وقت مناسب مثل أي وقت.

يضحك، لكنه يتمكن بطريقةٍ ما من إغلاق فمه. يبتلِع لقمةً أخرى من الطعام ويقول: ألا تريد على سبيل المثال - لا أعرف - شراء بعض الورود لها؟ إشعال شمعة؟ ربما تُعطيها علبة شوكولاتة أو شيئًا من هذا القبيل؟ أو أوه، لا أعرف.. ربما تريد الحصول على خاتم أولًا؟

-لا أفهم.

-هيا يا أخي.. ألم ترَ شيئًا كـ «الفيلم» من قبل؟

-لا.

ينظر إليَّ كينجي مذهولًا: أنت تتفوَّه بالهراء. من فضلك أخبرني أنك تتفوَّه بالهراء.

أشعر بالغضب: لم يُسمَح لي أبدًا بمشاهدة الأفلام وأنا أكبر، لذلك لم أعتد على هذه العادة، وبعد أن استولت إعادة التأسيس على السلطة جَرَّمت هذا النوع من الأشياء على أي حال. إلى جانب ذلك، أنا لا أستمتع بالجلوس ساكنًا في الظلام لفترة طويلة. ولا أستمتع بالتلاعب العاطفي في السينما.

يضع كينجي يدَيه على وجهه وعيناه واسعتان بشيءٍ يُشبه الرعب: لا بد أنك تمزح معي.

-لماذا قد.. لا أفهم لماذا هذا غريب! لقد تم تعليمي منزليًّا. كان والدي...

يقول كينجي، وهو يُحدق مذهولًا في الحائط خلفي: أتعلَم؟ هناك الكثير من الأشياء المُتعلقة بك لم تكن منطقية بالنسبة لي أبدًا. كل شيء متعلق بك غريب، أليس كذلك؟

أقول بحدَّة: لا، لا أظن أني غريب.

يهز رأسه: لكن الآن كل شيء منطقي. كل شيء منطقي للغاية. واو! من كان يعلم!

-ما هو الشيء المنطقي؟

يبدو أن كينجي لم يسمعني. بدلًا من ذلك يقول: مهلًا، هل هناك أي شيء آخر لم تفعله من قبل؟ مثل.. لا أعرف.. هل سبَحْت من قبل؟ أو - مثلًا - أطفأتَ الشموع على كعكة عيد الميلاد؟

أقول بغضب: بالطبع كنتُ أسبح! كانت السباحة جزءًا مهمًّا من تدريبي التكتيكي. لكنني لم أفعل ذلك أبدًا.. (أُجلي حلقي) لم يكن لديَّ كعكة عيد ميلاد خاصة بي.

-يا يسوع!

-*ما خطبك؟!*

يقول كينجي فجأة: مهلًا، هل تعرف حتى من هو بروس لي؟

أتردَّد.

هناك تحدٍّ في صوته، لكن كينجي لا يولِّد مشاعر أكثر من هذا؛ لذلك لا أفهم أهمية السؤال. أخيرًا أقول: بروس لي كان مُمثلًا. على الرغم من أنه يُعتبر أيضًا من أعظم فناني الدفاع عن النفس في عصرنا. لقد أسس نظامًا لفنون القتال يُسمى جيت كون دو، وهو نوع من الكونغ فو الصيني يتجنَّب الأنماط والأشكال. اسمه الصيني هو لي جون فان.

يقول كينجي: حسنًا، اللعنة، (يستريح على ظهر كرسيه، يُحدق إليَّ كما لو كنت كائنًا فضائيًّا) حسنًا. لم أكن أتوقَّع ذلك.

-ما علاقة بروس لي بأي شيء؟

يقول رافعًا إصبعًا: أولًا، لبروس لي علاقة بكلِّ شيء. وثانيًا، هل يمكنك فقط أن تفعل ذلك؟ (يُفرقع أصابعه باتجاه رأسي) هل يُمكنك فقط.. تذكُّر أشياء كهذه؟ حقائق عشوائية؟

-ليست حقائق عشوائية. إنها معلومات. معلومات عن عالمنا ومخاوفه وتواريخه وولَعه ومُتَعه. إنه عملي أن أعرف هذا النوع من الأشياء.

-لكنك لم تشاهد فيلمًا واحدًا على الإطلاق؟

-لم يكن عليَّ ذلك. أعرف ما يكفي عن الثقافة الشعبية لأعرف أي الأفلام كانت مُهمة أو أحدثت فرقًا.

يهزُّ كينجي رأسه، وينظر إليَّ بشيءٍ من الرهبة: لكنك لا تعرف شيئًا عن أفضل الأفلام. لم تشاهد الأشياء الجيدة حقًّا! يا للجحيم!.. ربما لم تسمع حتى بالأشياء الجيدة.

-جرِّبني.

-هل سمعتَ عن فيلم «*الوهج الأزرق*»؟

أرف بجفني: أهذا اسم فيلم؟

-روميو يجب أن يموت؟ *الفتيان السيئون؟ ساعة الذروة؟ ساعة الذروة 2؟ ساعة الذروة 3*؟ في الواقع.. لم يكن *ساعة الذروة 3* جيدًا جدًّا.. *تانجلد*؟

-أعتقد أن هذا الأخير هو فيلم رسوم متحركة عن فتاة ذات شَعر طويل جدًّا مُستوحًى من الحكاية الخرافية الألمانية «رابونزل».

يبدو كينجي وكأنه يختنق، يقول بغضب: ***فيلم رسوم متحركة؟ تانجلد*** ليست ***رسوم متحركة***. تانجلد هو واحد من أعظم الأفلام على الإطلاق. إنه يتحدث عن النضال من أجل الحرية والحُب الحقيقي.

أقول مُمررًا يدي المُتعبة على وجهي: أرجوك، أنا حقًّا لا أهتم بما تُحب مشاهدته من أفلام الرسوم المتحركة في وقت فراغك. أريد فقط أن أعرف لماذا أنت متأكد أنني ارتكبتُ خطأً اليوم؟

يتنهَّد كينجي تنهيدةً عميقة لدرجة أن كَتِفيه يتدلَّيان. ينهار في كرسيه: لا أصدق أنك لم تشاهد ***رجالًا يرتدون الأسود*** أبدًا. أو ***يوم الاستقلال***. (يرفع رأسه نحوي وعيناه تلمعان) تبًّا، ستُحب ***يوم الاستقلال***. يلكُم ويل سميث كائنًا فضائيًّا في وجهه، بحق السماء. إنه جيد جدًّا.

أُحملق فيه بنظرة فارغة.

يقول بهدوء: اعتدتُ أنا وأبي مشاهدة الأفلام طوال الوقت. كان أبي يُحب الأفلام.

لا يسمح كينجي لنفسه بالشعور بالحزن إلا للحظة، لكن عندما يفعل ذلك تضربني مشاعر جامحة ويائسة.

أقول بهدوء: أنا آسف حقًّا على خسارتك.

-نعم حسنًا. (يُمرر كينجي يده على وجهه. يفرك عينَيه ويتنهَّد) على أي حال، افعل ما تريد. أظن فقط أنه يجِب عليك شراء خاتمٍ لها أو شيءٍ من هذا القبيل قبل أن تركع على رُكبتك.

-لم أكن أُخطط للركوع على ركبةٍ واحدة.

يعبس: ماذا؟ لماذا لا؟

-هذا يبدو غير منطقي.

يضحك كينجي. يُدير عينَيه: اسمع، فقط ثِق بي واختر خاتمًا على الأقل أولًا. دعها تعرف أنك على الأقل فكرتَ في الأمر، فكِّر في الأمر للحظة.. أنت تعرف!

-لقد فكرتُ في الأمر بالفعل!

-لمدة ماذا؟ خمس ثوانٍ؟ أم هل تقصد أنك كنتَ تُخطط لهذا العرض بينما كنتَ مسمومًا في السجن؟ (يضحك كينجي) يا أخي لقد رأيتها - حرفيًا - لأول مرة اليوم، منذ ساعتَين تقريبًا، بعد أسبوعين من الفراق، وتظن أن طلب الزواج منها خطوة منطقية وواضحة؟ (يهز كينجي رأسه) فقط خُذ بعض الوقت. فكِّر في الأمر. ضع بعض الخطط.

وفجأة يُصبح رد فعله منطقيًّا بالنسبة لي.

أجلس مذهولًا، وأنظر للحائط: أنت لا تظنُّ أنها ستوافق.. تظن أنها سترفضني.

-ماذا؟ لم أقل ذلك قط.

-لكن هذا ما تفكر فيه، أليس كذلك؟

يقول وهو يتنهَّد: اسمع. ليس لديَّ أي فكرة عما ستقوله. أنا حقًّا لا أعرف. أعني أنني أظنُّ أنه من الواضح أنها تُحبك، وأظن أنه إذا كانت مستعدة لإعلان نفسها القائد الأعلى لأمريكا الشمالية فربما تكون مستعدةً للتعامُل مع شيءٍ كبير مثل هذا.. ولكن.. (يفرك ذقنه، يُشيح بنظره) أعني.. نعم، أظن ربما يجِب عليك أن تفكر في الأمر لمدة دقيقة.

حملقتُ فيه. مُفكرًا في كلامه.

أخيرًا أقول: أنت تظن أنه يجب أن أُحضر لها خاتمًا؟

يبتسم كينجي ناظرًا نحو الأرض، يبدو وكأنه يكتم ضحكته: نعم، هذا ما أقوله.

-لا أفهم شيئًا عن المجوهرات.

يرفع رأسه وعيناه تلمع بالسخرية: لا تقلق. أنا متأكِّد أن الملفَّات الموجودة في رأسك السميك هذا تحتوي على الكثير من المعلومات حول هذا النوع من الأشياء.

-ولكن...

تُعطي الطائرة هزة مفاجئة وغير متوقعة، أتراجَع للوراء في مقعدي. نُحدق أنا وكينجي في بعضنا البعض لثانيةٍ طويلة، يفسحُ الحذَرُ الطريقَ للخوف، الذي يتحوَّل ببطءٍ إلى ذُعر.

تهتز الطائرة مرةً أخرى. هذه المرة بقوة أكبر.

ثم مرة أخرى.

أقول: هذه ليست اضطرابات جوية.

يشتُم كينجي بصوتٍ عالٍ، ويقفز على قدمَيه. يُلقي نظرة سريعة على لوحة القيادة لثانيةٍ قبل أن يلتفت، ورأسه بين يدَيه في قبضة تُشبه الكماشة: لا أستطيع قراءة هذه المفاتيح، ليس لديَّ أي فكرة عن كيفية قراءة هذه المفاتيح اللعينة...

يُدفع باب قمرة القيادة بينما تركض نظيرة إلى الأمام. تشقُّ طريقها بجانبي لفحص لوحة القيادة وعندما تبتعِد تبدو فجأة مرعوبةً تقول وهي بالكاد تهمس: لقد فقدنا أحد مُحركاتنا. يُحاول أحدهم إسقاطنا من السماء.

-ماذا؟ كيف هذا...؟

ولكن ليس هناك وقت لمناقشة ذلك. بالكاد نملك أنا ونظيرة فرصةً لمحاولة معرفة كيفية إصلاحه قبل أن تهتزَّ الطائرة مرة أخرى، وهذه المرة تسقط أقنعة أكسجين الطوارئ من حجراتها العلوية. صافرات الإنذار تعوي. تومِض الأضواء العلوية بسرعة، إشارات حادة ومُستمرة تُحذرنا من انهيار النظام.

تقول نظيرة: يجب أن نحاول الهبوط بالطائرة. يجب أن نكتشف.. اللعنة (تُغطي فمها بيدٍ واحدة) لقد فقدْنا محركًا آخر للتو!

يقول كينجي: إذن نحن فقط سنسقط من السماء اللعينة؟

أقول وقلبي ينبض بعُنف حتى وأنا أحاول الحفاظ على هدوء رأسي: لا يُمكننا أن نهبط بالطائرة، ليس بهذه الطريقة، لا نقوم بذلك عندما نفتقِد مُحركَين. ولا نفعل ذلك بينما لا يزالون يُطلقون النار علينا.

يقول: إذن ماذا نفعل؟

تقول إيلا الواقفة عند الباب:

-علينا أن نقفز.

29

جولييت إيلا

– ماذا؟

الثلاثة يستديرون لمواجهتي.

يقول كينجي: ما الذي تتحدَّثين عنه؟

–يا حُبي هذه ليست فكرة جيدة حقًّا.. ليس لدَينا أي مظلاتٍ على هذه الطائرة، وبدونها...

تقول نظيرة بحذَر: لا، إنها على حق.

تنظر لي. يبدو أنها تفهم ما أُفكر فيه.

أقول: سوف ينجح الأمر، أليس كذلك؟

تقول: بصراحة، ليس لديَّ أي فكرة. لكن الأمر يستحقُّ المحاولة بالتأكيد. قد تكون تلك فرصتنا الوحيدة.

بدأ كينجي في المشي ذهابًا وإيابًا: حسنًا، يجب أن يُخبرني أحد بما يحدث بحق الجحيم.

يشحب آرون، ويقول مرة أخرى: حبي، ماذا...؟

أشرح: نظيرة تستطيع الطيران. إذا وجدنا جميعنا طريقة لتأمين أنفسنا؛ فيمكنها استخدام قوتها لدعمِنا، ويمكنك استخدام قوتك لتعزيز *قوتها*، ولأن هناك احتمالًا ضئيلًا لاستخدام أي منكما الكثير من قوَّته في أثناء حمل وزننا مُجتمِعين؛ فسوف نُجَر تدريجيًّا – ببطء – إلى الأرض.

تتفحص نظيرة الشاشة مرة أخرى: نحن على ارتفاع ثمانية آلاف قدم في الهواء ونفقد الارتفاع بسرعة. إذا كنا سنفعل ذلك؛ فيجب علينا القفز الآن، بينما الطائرة لا تزال مُستقرة نسبيًّا.

يقول كينجي: انتظري.. أين نحن؟ أين سنهبط؟

تقول: لست متأكدة. لكن يبدو أننا في مكانٍ ما فوق المنطقة المجاورة العامة للقطاعات من 200 إلى 300.

تنظر إلى آرون: هل لديك أي أصدقاء في هذه المنطقة؟

يرمِيها آرون بنظرةٍ غاضبة: ليس لدي أصدقاء في أي مكان.

يُتمتم كينجي: مهارات التواصل: صفر!

أقول: لقد نفد الوقت. هل سنفعل هذا؟

يقول كينجي: أعتقد ذلك. إنها الخطة الوحيدة التي لدَينا.

يقول آرون: أظن أنها خطة مُحكمة.

وينظر إليَّ بنظرة مترددة، ولكن مُشجعة: لكنني أظن أننا يجب أن نجد طريقةً لربط أنفسنا معًا. نوع من الحزام أو شيء من هذا القبيل، حتى لا نفقد بعضنا البعض في الهواء.

-ليس لدينا وقت لذلك. (وسرعان ما يبدأ الهدوء الذي تعيشه نظيرة يفسح المجال للذُّعر) علينا فقط أن نتمسَّك ببعضنا بقوة.

يومئ كينجي برأسه، وبحركةٍ مفاجئة يفتح باب الطائرة. يندفع الهواء بسرعة وبقوة، ويكاد يُسقطنا، وبسرعة نُشبِّك جميعًا أذرُعنا، تستقر نظيرة وآرون على الطرفَين، ومع بضع صيحاتٍ مطمئنة عبر الريح العاتية...

نقفز.

إنه إحساس مُرعب. تهبُّ الرياح بسرعة وبقوة ثم تستقر دفعةً واحدة. يبدو أننا متجمِّدون في الوقت، ندور في مكاننا حتى ونحن نشاهد الطائرة وهي تسقط بثبات، في الأفق. يبدو أن نظيرة وآرون يقومان بعملهما بشكلٍ جيد للغاية. نحن لا نسقط بسرعةٍ كافية، والجو ليس متجمدًا هنا فحسب، بل الأكسجين نادر أيضًا.

ينادي آرون نظيرة: سوف أتخلى عن قوتك.

تصرخ نظيرة بالموافقة.

ببطء نبدأ في النزول.

أشاهد العالَم يضطرب من حولنا. ننجرف إلى الأسفل ببطء، والرياح تدفع أقدامنا بقوة، وفجأة يبدو أن الأرض تختفي من تحتنا ونحن نسرع بالنزول، منطلِقين بقوةٍ نحو التضاريس الموجودة بالأسفل.

أصرخ صرخةً واحدة مُرعبة..

أم كان هذا كينجي؟

قبل أن نتوقف فجأة، على ارتفاع قدمٍ عن الأرض. يضغط آرون على ذراعي، وأنظر إليه مُمتنَّة لإمساكه بي.

وبعد ذلك نسقط على الأرض. لقد هبطتُ بشكلٍ سيئ فوق كاحلي. أجفل، لكن يمكنني وضع ثقل على قدمي، لذلك أعلم أن الأمر على ما يُرام. أنظر حوليَ لتقييم حالة أصدقائي، لكنني أُدرك – بعد فوات الأوان – أننا لسنا وحدنا. نحن في مجالٍ واسع ومفتوح. كانت هذه، في يوم من الأيام، أرضًا زراعية تقريبًا، لكنها تحوَّلت الآن إلى ما يزيد قليلًا عن الرماد.

تظهر في الأفق مجموعة صغيرة من الناس، تقترب بسرعةٍ منَّا. أُجهز قواي، مستعدة للقتال، مُستعدون لمواجهة أي شيء يأتي في طريقنا. الطاقة تنبض بداخلي، وتشتعِل في دمي. أنا لستُ خائفة.

يضع آرون ذراعه حولي، ويُقربني إليه. يهمس قائلًا: نحن معًا، مهما حدث.

أخيرًا، بعدما مرت دقائق كأنها لا تحصى، ينفصل اثنان عن المجموعة، ويسيران نحونا ببطء.

جسدي متوتر، على استعداد للهجوم، لكن عندما يقتربا أكثر، أتمكن من تمييز وجهيهما. إنهما شخصان بالِغان: أحدهما امرأة نحيلة ومذهلة ذات شعر مقصوص وبشرة داكنة شديدة اللمعان. إنها مُضيئة وهي تمشي، وابتسامتها تتَّسع مع كل خطوة. بجانبها وجه آخر مبتسِم، لكن المنظر المألوف لبشرته البُنية وضفائره الطويلة يدفع الصدمة والذُّعر والأمل في داخلي. أشعر بالدوار.

كاسل

وجوده هنا يمكن أن يكون جيدًا أو سيئًا. ألف سؤال يدور في ذهني، من بينها: ماذا يفعل هنا؟ كيف وصل إلى هنا؟ في المرة الأخيرة التي رأيته فيها، لم أعتقد أنه في صفِّي على الإطلاق، هل انقلب ضدنا تمامًا؟

المرأة هي أول من يتكلم. تقول: أنا سعيدة برؤيتكم على ما يُرام. أخشى أنه لم يكن لدَينا خيار سوى إطلاق النار على طائرتكم في السماء.

-ماذا؟ ما...

صوت كينجي الهادئ والمتردِّد يصل من خلفي: كاسل؟

يتقدم كاسل إلى الأمام بينما يتحرك كينجي نحوه، ويتعانق الاثنان، ويسحبه كاسل بإحكام شديد لدرجة أنني أستطيع أن أشعر عمليًّا بالتوتر من حيث أقف. كلاهما عاطفي بشكلٍ واضح، واللحظة مؤثرة للغاية وتُهدئ مخاوفي.

يقول كينجي: أنت بخير.. ظننت...

يخرج حيدر وستيفان (نجل القائد الأعلى لإفريقيا) من بين المجموعة. الصدمة تسيطر على جسدي عند رؤيتهما. يومآنِ نحو نظيرة، وينفصل الثلاثة ليشكلوا مجموعةً جديدة على الجانب. يتحدثون بهمساتٍ منخفضة ومتسارعة.

يأخذ كاسل نفسًا عميقًا: لدَينا الكثير لنتحدَّث عنه.

ثم يقول لي: إيلا، أودُّ أن تقابلي ابنتي نوريا.

حاجباي يرتفعان إلى أعلى جبهتي. أُلقي نظرةً على آرون، الذي بدا مذهولًا مثلي تمامًا، لكن كينجي أطلق *صيحةً* مفاجئة، واحتضن كاسل مرة أخرى. الاثنان يضحكان. يقول كينجي: *مستحيل.. مستحيل...*

تتجاهلهما نوريا بوضوح وتبتسِم لي.

تقول: نحن نُطلق على منزلنا اسم الملاذ، أنا وزوجتي قادة المقاومة هنا. أهلًا بكم.

امرأة أخرى تنفصل عن المجموعة وتتقدَّم للأمام. إنها صغيرة الحجم، ذات شعرٍ أشقر طويل. تُصافحني. وتقول: إنه لشرف لي أن ألتقي بك. اسمي سامانثا.

أتفحصهما، نوريا وسامانثا تقفان جنبًا إلى جنب، سعادة كاسل، والابتسامة على وجه كينجي، ومجموعة حيدر ونظيرة وستيفان يقفون جانبًا. المجموعة الأكبر تقف على بُعد مسافة.

أقول مبتسمة: الشرف لنا. لكن هل نحن آمنون هنا؟ في العراء؟

تومئ نوريا وتقول: إن قواي تسمح لي بالتلاعُب بالضوء بطريقة غير عادية. لقد ألقيتُ درعًا واقيًا حولنا الآن، حتى إذا نظر شخص ما تجاهنا فلن يرى سوى سطوعٍ مؤلِم سيُجبره على النظر بعيدًا.

تتسع عينا كينجي: واوا! هذا رائع!

تقول نوريا: شكرًا لك.

إنها تطلق الضوء عمليًّا، بشرتها البنية الداكنة تتلألأ حتى وهي واقفة. هناك شيء يخطف الأنفاس حول مجرد التواجُد بالقُرب منها.

-هل هؤلاء قومك؟

أسمع آرون يقول وهو يتحدَّث لأول مرة. إنه يُحدق فوق رأسها، في الحشد الصغير في الأفق. تومئ.

-وهل هم هنا للتأكد من أننا لن نؤذِيَك؟

تبتسم نوريا وتقول: إنهم هنا للتأكد من أن لا أحد يؤذيكم. مجموعتك موضع ترحيب هنا. لقد أثبتوا جدارتهم. لقد سمِعنا كل القصص عن قطاع 45.

أقول فجأة: حقًّا؟ ظننتُ أن إعادة التأسيس تخلَّصت من كل شيء.

تهز نوريا رأسها: الشائعات تنتقل بشكلٍ أسرع مما يستطيع أي شخص التحكم فيه، تعجُّ القارة بأخبار كلِّ ما قمتِ به خلال الشهرين الماضيين. إنه لشرف عظيم أن ألتقي بك. (تمدُّ يدها) لقد ألهمَنِي ما فعلْتِهِ كثيرًا.

أُمسك بيدها، وأشعر بالفخر والحرج في آنٍ واحد. أقول بهدوء: شكرًا لك، هذا لُطف كبير منك.

ولكن بعد ذلك تُصبح عينا نوريا حزينتَين، وتقول: *أنا* آسفة لأننا اضطررنا إلى إطلاق النار عليك في السماء. لا بد أن هذا كان مُرعبًا، لكن كاسل أكد لي أن هناك اثنَين منكم يستطيعان الطيران.

يُخاطر كينجي بإلقاء نظرةٍ على كاسل: مهلًا ماذا؟ هل خططت لهذا؟

-لقد كانت الطريقة الوحيدة. بمجرد أن تمكنَّا من التحرُّر من المصحة (يومئ برأسه بامتنانٍ نحو نظيرة) عرفت أن المكان الوحيد المُتبقي لنا هو هنا، مع نوريا. لكن لم يكن من الممكن أن نتَّصِل بكم عبر الراديو لنطلُب منكم الهبوط هنا؛ وإلَّا لتمَّ اعتراض اتصالاتنا. ولم نكن لنستطيع جعلكم تهبطون في القاعدة الجوية لأسبابٍ واضحة. لذلك كنا نتتبَّع طائرتكم، في انتظار اللحظة المناسبة. إطلاق النار عليك في السماء يُعيد الحدث مباشرة إلى الجيش. سيعتقدون أنه كان عملًا من وحدةٍ أخرى، وبحلول الوقت الذي يبدءون فيه في اكتشاف الأمر، سنكون قد دمَّرنا كل الأدلة على وجودنا هنا.

أقول: إذن.. مهلًا. كيف قمتَ أنت ونوريا بتنسيق هذا الأمر؟ كيف وجدتما بعضكما البعض؟.. ثم يا كاسل إذا تخليتَ عن المواطنين ألن يقوم أندرسون بقتلِهم جميعًا فحسب؟ ألا ينبغي أن تبقى لحمايتهم؟ للنضال؟

يهز رأسه: لم يكن لدَينا خيار سوى إخلاء أعضاء أوميجا بوينت من القطاع 45. بعد أن تم خطفكما (يومئ نحوي أنا وآرون) لقد أصبحَتِ الأمور في فوضى كاملة، أُخذنا جميعًا كرهائن، وأُلقينا في السجن.

بفضل نظيرة التي جعلتنا نتواصل مع حيدر وستيفان تمكنَّا من شقِّ طريقنا إلى هنا. وقد أُعيد القطاع 45 منذ ذلك الحين إلى حالته الأصلية كسجن. (يأخذ كاسل نفسًا صغيرًا) هناك الكثير الذي نحتاج إلى مشاركته مع بعضنا البعض. لقد حدث الكثير في الأسبوعَين الماضِيَين، وسيكون من المُستحيل مناقشة كل ذلك بسرعة. لكن من المُهم أن تعرفي الآن القليل عن دور نوريا في كل هذا.

يلتفت نحو نوريا ويهز رأسه، تنظر نوريا في عيني وتقول بهدوء: في ذلك اليوم الذي تم إطلاق النار عليك على الشاطئ. هل تذكُرين؟

أقول مترددة: بالطبع.

-أنا مَن أصدر هذا الأمر ضدّضك.

أجفل مذهولة.

يتقدم آرون إلى الأمام غاضبًا: *ماذا؟*.. كاسل، هل أنت **مجنون!** تطلب منا البقاء في منزل شخصٍ كاد أن يقتُل إيلا؟ (يستدير نحوي، يُحدق إليَّ بنظرة جامحة في عينَيه) كيف يُمكنك أن...

-كاسل؟ (هناك تحذير في صوت كينجي) ما الذي يحدث؟

لكن نوريا وكاسل يُحدقان إلى بعضهما البعض، وتمر بينهما نظرة ثقيلة.

يتنهَّد كاسل أخيرًا، يقول: دعونا نستقر قبل أن نواصِل الحديث. هذه محادثة طويلة، ومُهمة.

يقول آرون: دعنا نقوم بها الآن.

يقول كينجي بغضب: نعم، الآن.

أقول أخيرًا وقد وجدتُ صوتي أخيرًا: لقد حاولتَ قتلي، لماذا أحضرتني إلى هنا؟ ما الذي تحاول فعله؟

يقول كاسل: لقد كانت رحلتك طويلة وصعبة. أريد أن تُتاح لك الفرصة للاستقرار. الاستحمام وتناول بعض الطعام. وبعد ذلك، أعِدك بأننا سنقدم لك كل الإجابات التي تريدينها.

أقول: ولكن كيف يُمكننا أن نثِق بأننا سنكون آمنين؟ كيف نعرف أن نوريا لن تُحاول إيذاءنا؟

تقول بثبات: لأنني فعلتُ ما فعلته لمساعدتك.

يقول آرون بحدة: وكيف يكون ذلك معقولًا؟

تقول نوريا وهي لا تزال تُحملق بي: كانت هذه هي الطريقة الوحيدة التي عرفتُ بها كيفية إيصال الرسالة إليك. لم أكن أحاول قتلك أبدًا، وكنت أعلم أن دفاعاتك الخاصة ستساعد في حمايتك من الموت المُحقق.

-لقد كان هذا رهانًا خطيرًا.

تقول بهدوء: صدِّقيني، لقد كان قرارًا صعبَ الاتخاذ. لقد كلفنا ذلك تكلفة كبيرة، فقد فقدنا أحد أفرادنا في هذه العملية.

أشعر بأنني أتوتَّر، لكن بخلاف ذلك لا أُظهر أي مشاعر. أتذكَّر اليوم الذي أنقذتني فيه نظيرة، اليوم الذي قتلت فيه المعتدي.

تقول نوريا وعيناها البُنِّيتان الداكنتان مليئتان بالإحساس: لكن كان عليَّ أن أصل إليك، كانت هذه هي الطريقة الوحيدة التي يُمكنني من خلالها القيام بذلك دون إثارة الشكوك.

فضولي يتفوَّق على شكوكي. في هذه اللحظة: إذن.. لماذا؟ لماذا فعلت ذلك؟ لماذا سمَّمتني؟

بشكلٍ غير متوقَّع، تبتسِم نوريا: كنتَ بحاجةٍ أن ترى ما رأيتَه. ووفقًا لكاسل، فقد نجح الأمر.

-ما الذي نجح؟

تقول مترددة: إيلا.. هل يُمكنني مناداتك باسمك الحقيقي؟

أرفُّ بجفني، أُحملق في كاسل: هل أخبرتَها عني؟

تقول نوريا: لم يكن عليه أن يفعل ذلك، الأمور لا تظلُّ سرية لفترة طويلة هنا. بصرف النظر عما تظنُّه إعادة التأسيس، نحن جميعًا نجد طرقًا لتمرير الرسائل إلى بعضنا البعض. كل جماعات المقاومة في جميع أنحاء العالم تعرف حقيقتك الآن. وهم يُحبونك أكثر لذلك.

لا أعرف ماذا أقول.

تقول بهدوء: إيلا، لقد تمكنتُ من معرفة السبب الذي دفع والدَيك إلى إبقاء أختك سرًّا لفترة طويلة. وأردت فقط أن...

أقول والكلمات تخرج بهدوء: أعرف بالفعل.

لم أتحدث مع أحدٍ عن هذا بعد؛ لم أُخبر روحًا، لم يكن هناك وقت لمناقشة شيءٍ بهذا الحجم. لا يوجَد وقت لإجراء محادثة طويلة. لكن أظن أنني سأقوم بذلك الآن.

نوريا تُحدق بي، مذهولة: أنت تعرفين؟

-أخبرتني إيمالين بكلِّ شيء.

تصمت المجموعة، يستديرون للنظر في وجهي، حتى حيدر وستيفان ونظيرة توقفوا أخيرًا عن الحديث فيما بينهم لفترة كافية للحملقة بي.

أقول: لقد ظلت في الأسر. إنها تعيش محتجزةً في خزان حيث تتواجد بشكل شبهِ دائمٍ تحت الماء. ترتبط موجات دماغها بتوربينات المد والجزر التي تُحوِّل الطاقة الحركية لعقلها إلى كهرباء. وجدت والدتي إيفي طريقةً لتسخير تلك الكهرباء وتوجيهها إلى الخارج. في جميع أنحاء العالم. (آخُذ نفسًا عميقًا) إيمالين أقوى مما كنتُ عليه أو سأكون عليه في أي وقتٍ مضى. لديها القدرة على التلاعُب بعقول الناس.. يمكنها تشويه وتحريف الحقائق.. هنا، وفي كل مكان.

وجه كينجي غارق في الرُّعب، وينعكس تعبيره على العشرات من الوجوه الأخرى من حولي. ومن ناحية أخرى، تبدو نظيرة متأثرة بشدة.

أقول: ماذا ترين هنا؟ حولنا؟ المجتمع المنهار، والجو المشحون، والطيور التي اختفت من السماء.. كل هذا وهم. صحيح أن مناخنا قد تغيَّر، نعم.. لقد ألحقنا أضرارًا جسيمة بالغلاف الجوي، وبالحيوانات،

وبالكوكب ككل، لكن هذا الضرر ليس غير قابل للإصلاح. كان العلماء يأمُلون أنه من خلال بذل جهودٍ دقيقة ومتضافرة، يُمكننا إصلاح أرضنا. إنقاذ المستقبل. لكن إعادة التأسيس لم يُعجبها هذا المنظور. لم يريدوا أن يشعر الناس بالأمل، لقد أرادوا أن يظن الناس أن أرضنا كانت بعيدةً عن الإصلاح. ومع إيمالين كانوا قادرين على فعل ذلك.

يقول كينجي مذهولًا: لماذا؟.. لماذا يفعلون ذلك؟ ماذا سيكسبون!

تقول نوريا بجدية: إن السيطرة على الأشخاص اليائسين والمذعورين أسهل بكثير. لقد استخدموا أختَ إيلا لخلق وهْم الدمار الذي لا رجعة فيه، ثم افترسوا الضعفاء واليائسين، وأقنعوهم باللجوء إلى إعادة التأسيس للحصول على الدعم.

-لقد صمَّمنا أنا وإيمالين لشيءٍ يُسمى عملية التصنيع. كان من المفترض أن تُصبح المتحكِّمة في العالم، وكان من المفترض أن أكون أنا المُنفذ. لكن إيمالين تموت. إنهم بحاجة إلى سلاح قوي آخر يمكنهم من خلاله السيطرة على الناس. حالة طوارئ. خطة احتياطية.

يُمسك آرون بيدي.

أقول: لقد أرادتني إعادة التأسيس أن أحلَّ محل أختي.

وللمرة الأولى تتجمَّد نوريا، لم يعرف أحد هذا الجزء، لا أحد غيري.

تقول: كيف؟ لديكما قدرات مختلفة تمامًا.

يقول كاسل: من السهل تخيُّل ذلك في الواقع، (يبدو مرعوبًا) إذا استطاعوا تضخيم قدرات إيلا بنفس الطريقة التي فعلوها مع أُختها؛ فإنها ستُصبح بمثابة قنبلةٍ ذرية بشرية.. يمكنها أن تُسبِّب دمارًا شاملًا، ألمًا شنيعًا، موتًا بالطلب عبر مسافات شاسعة.

يرنُّ صوت نظيرة الحاد والواضح: ليس لدينا خيار. علينا أن نقتُل إيفي.

أقول بهدوء وأنا أُشيح بنظري: لقد قمتُ بهذا بالفعل.

شهيق جماعي يمرُّ عبر المجموعة. لا يزال آرون بجانبي.

أقول: والآن عليَّ أن أقتل أُختي، هذا ما تُريده. إنها الطريقة الوحيدة.

30

وارنر

يُعتبر مقر نوريا غريبًا وجميلًا في الوقت نفسه. ليس لديهم أي حاجة للاختباء تحت الأرض، لأنها وجدت طريقة لتُشبع الأشياء بقوتها.. تطور في قدراتنا لم يتوقَّعه حتى كاسل. موقع ملجأ الملاذ مَحمي بسلسلةٍ من أعمدة الإنارة التي يبلُغ ارتفاعها عشرين قدمًا، والتي تُحيط بأطراف الغابة. تعمل الأضواء الممزوجة بقوة نوريا معًا كحاجزٍ يجعل من المستحيل النظر تجاه موقعهم. تقول إن قدراتها ليست لها القدرة على الإصابة بالعمى فقط، ولكنها تستطيع أيضًا استخدام الضوء لتشويه الأصوات. لذلك يعيشون هنا، في العراء، وكلماتهم وأفعالهم مَحمية على مرأى الجميع. لا يمكن إلا لأولئك الذين يعرفون الموقع الوصول إلى هنا.

تقول نوريا إن الوهم أبقاهم آمِنين لسنوات.

تبدأ الشمس بالغروب بينما نشقُّ طريقنا نحو المُخيم، الحقل الشاسع ذي الخضرة غير المعتادة والممتلئ بالخيام ذات اللون القشدي. المشهد خلاب للغاية لدرجة أنني لا أستطيع إلا التوقُّف لتقدير المنظر. النيران تتطاير عبر السماء، ويغمر الضوء الذهبي الهواء والأرض. يبدو الأمر جميلًا وكئيبًا في نفس الوقت، أرتجِف بينما يلفُّ الهواء جسدي.

تُمسك إيلا بيدي.

أنظر إليها متفاجئًا، فتبتسِم لي، والشمس الغاربة تلمع في عينَيها. أشعر بخوفها، وأملِها، وحُبها لي. ولكن هناك شيء آخر أيضًا.. شيء مثل الفخر. إنه خافت، لكنه موجود، ويُسعدني جدًّا أن أراها هكذا. يجب أن تكون فخورة. يُمكنني أن أتحدث عن نفسي على الأقل، عندما أقول إنني لم أكن فخورًا بها كتلك اللحظة. ومع ذلك فقد كنت أعلم أنها ستصل إلى العظمة. لا يُفاجئني على الإطلاق أنه بعد كل ما مرَّت به – بعد كل الأهوال التي كان عليها مواجهتها – لا تزال تُلهم العالم. إنها واحدة من أقوى الأشخاص الذين عرفتهم على الإطلاق. قد يكون والدي قد عاد من الموت، وقد يكون القطاع 45 خارج سيطرتنا، لكن تأثير إيلا لا يمكن تجاهله. تقول نوريا أن لا أحد يُصدق حقًّا أنها ماتت بالفعل، ولكن الآن وقد أصبح الأمر رسميًّا – الآن وقد انتشر الخبر بأن إيلا لا تزال على قيد الحيا – ساءت سمعة إعادة التأسيس أكثر من أي وقتٍ مضى.

تقول نوريا إن الاضطرابات تحت الأرض بدأت تزداد قوةً بالفعل. الناس أكثر يأسًا للعمل، والمشاركة، والتصدي لإعادة التأسيس. تنمو مجموعات المقاومة. يجِد المَدنيون طرقًا ليُصبحوا أكثر ذكاءً.. ليُصبحوا أقوى.. معًا. وقد أعطتهم إيلا رمزًا يتوحَّدون حوله. الجميع يتحدث عنها.

أصبحت رمزًا للأمل.

أضغط على يد إيلا، وأردُّ ابتسامتها، وعندما يحمرُّ خدَّاها، يتعين عليّ محاربة الرغبة في ضمِّها إلى صدري.

تُدهشني كل يوم أكثر.

لا يزال حديثي مع كينجي – على الرغم من كل شيء – في طليعة ذهني. الأشياء تبدو بائسة للغاية هذه الأيام لدرجة أنني أشعر بإصرارٍ مُزعج على أن هذه اللحظة الهادئة قد تكون فرصتي الوحيدة للسعادة. نحن دائمًا في حالة حرب، إما نقاتل من أجل حياتنا أو أثناء فرارنا، ولا يُوجَد ضمان للمستقبل. لا يُوجَد ضمان بأنني سأعيش لرؤية عامٍ آخر. لا وعد بالشيخوخة. هذا يجعلني أشعر وكأنني...

أتوقَّف فجأة، وتكاد إيلا أن تتعثر.

تقول وهي تضغط على يدي: هل أنت بخير؟

أومئ برأسي. ابتسم لها ابتسامة مُشتتة، واعتذارًا غامضًا ونحن نعود للمشي مرة أخرى.. ولكن...

أعيد حساباتي مرة أخرى. الأرقام مرة أخرى.

أخيرًا، أقول دون أن أنظر إلى أعلى: هل يعلم أحد أي يوم هذا؟

يردُّ شخصٌ ما – صوت من المجموعة لا أهتمُّ بمعرفته – يؤكد ما كنت أظنه صحيحًا بالفعل، لم يكن أبي يكذب.

غدًا عيد ميلادي.

سأُصبح في العشرين من عمري.

غدًا.

يصعقني الكشف. يبدو عيد الميلاد هذا وكأنه منعطفٌ هامٌّ أكثر من المعتاد، لأن حياتي – قبل عامٍ واحد بالضبط – كانت غير قابلة للتعرف عليها تقريبًا. كل شيء في حياتي مُختلف الآن. قبل عامٍ واحدٍ كنت شخصًا مختلفًا. كنت في علاقة سيئة ومدمرة مع شخصٍ مختلف. قبل عامٍ واحد كان قلقي شديدًا لدرجة أن خمس دقائق بمُفردي مع أفكاري ستتركني في حالة عدم استقرار لأيام.

اعتمدت كليًّا على روتيني وجداول أعمالي لإبقائي مقيدًا بأهوال وظيفتي ومطالبها التي لا تنتهي. كنتُ عنيدًا بشكلٍ غير معقول. كنت أتعلق بالإنسانية بخيط رفيع. شعرت بالتوحُّش وكأنني على وشك فقدان عقلي طوال الوقت. كانت أفكاري ومخاوفي الخاصة مظلمة للغاية لدرجة أنني قضيتُ كل وقت فراغي تقريبًا إما في ممارسة الرياضة، أو في ميدان الرماية الخاص بي، أو في أحشاء القطاع 45، أُجري عمليات محاكاة تدريبية صممتُها خصوصًا – ولستُ فخورًا بالاعتراف بذلك – لتجربة قتل نفسي، مرارًا وتكرارًا.

هذا كان قبل عام. أقل من عام مضى. بطريقة ما يبدو وكأنه مر وقت طويل. وعندما أتذكر من كنتُه، وماذا كانت تظن تلك النسخة من نفسي أن حياتي ستكون عليه اليوم...

أشعر بالخجل الشديد.

اليوم ليس إلى الأبد. السعادة لا تحدث. يجب اكتشاف السعادة، وفصلها عن الألم. يجب المُطالبة بها. حافظ عليها على مقربة، أن تكون محمية.

تقول نوريا: هل تُفضل فرصة للاستحمام وتغيير ملابسك قبل لمِّ شملك بالآخرين؟

صوتها حاد وواضح، يُخرجك من أحلام اليقظة.

أقول بسرعة: نعم، سأكون مُمتنًّا حقًّا للراحة لبعض الوقت.

ترد نوريا: لا مشكلة. نتجمَّع لتناول العشاء في الخيمة الرئيسية في غضون ساعتَين. سأريكما مسكنكما الجديد. (تتردَّد) آمُل أن تُسامحاني على افتراضاتي، لكنني افترضتُ أنكما.. (تنظر إليَّ وإلى إيلا) ترغبان في مشاركة السكن؟ لكن بالطبع إذا لم يكن الأمر كذلك...

تتدخل إيلا، وقد احمرَّت وجنتاها بالفعل: نعم شكرًا لك. نحن ممتنَّان لاهتمامك.

تهزُّ نوريا رأسها، تبدو سعيدة. ثم تلتفِت إلى كينجي ونظيرة وتقول: إذا أردتما، يُمكنني ترتيب ربط غرفتيكما المُنفصلتَين حتى تتمكَّنا من...

يرد كينجي ونظيرة في نفس الوقت.

يصرخ كينجي: ماذا؟ لا.

تضيف نظيرة بحزم: على الإطلاق.

تعتذر نوريا بسرعة: *أوه*، أنا آسفة جدًّا. أعتذر. ما كان يجِب أن أفترض ذلك.

لأول مرة على الإطلاق، تبدو نظيرة مُضطربة. بالكاد تستطيع أن تنطق الكلمات عندما تقول: لماذا تعتقدين أننا نُريد مشاركة غرفة؟

تهز نوريا رأسها. تشارك كاسل نظرة سريعة ومُربكة، لكن يبدو أنها أصبحت مذعورة فجأة: أنا لا أعرف. آسفة. بدا لي...

يقول كينجي بحدة: غرف منفصلة ستكون رائعة.

تقول نوريا بسطوع مُفرط قليلًا: رائع. سأقودك إلى هناك.

أشاهد، مُستمتعًا، كيف يُحاول كاسل إخفاء ابتسامته، ويفشل في فعل ذلك.

سكَنُنا كما أسمَتْه نوريا هو أكثر مما كنت أرجو. ظننت أننا سنُخيم؛ بدلًا من ذلك، يوجَد داخل كل خيمة منزل مصغَّر مكتفٍ ذاتيًّا. يُوجَد سرير وغرفة معيشة صغيرة ومطبخ صغير وحمام كامل. المفروشات بسيطة ولكنها مشرقة ومصنوعة جيدًا ونظيفة.

عندما تدخل إيلا، تخلع حذاءها، وتُلقي بنفسها للوراء على السرير، يمكنني تقريبًا أن أتخيَّل أنَّنا معًا هكذا.. ربما، يومًا ما.. في منزلنا الخاص.

تُرسِل الفكرة لي موجة من النشوة المُحيرة عبر جسدي.

ثم بعد ذلك.. الخوف.

يبدو من المُستحيل تقريبًا أن أتوقَّع مثل هذه السعادة، ولكن هناك جزء آخر مني - جزء صغير ولكنه مُلح - يتمسَّك بهذا الأمل على الرغم من ذلك. لقد تغلبتُ أنا وإيلا على ما كنتُ أظنه مستحيلًا. لم أكن أحلم أبدًا

بأنها ستظلّ تُحبني بمجرد أن تعرف كل شيءٍ عني. لم أكن أحلم أبدًا أن الحزن والأهوال التي صاحبت الأحداث الأخيرة ستُقربنا أكثر، أو أن حُبي لها يمكن أن يزداد بطريقةٍ ما عشرة أضعاف في غضون أسبوعَين. نشأت وأنا أعتقد أن أفراح هذا العالم مُخصَّصة للأفراد الآخرين. كنت متأكدًا من أنني محكوم بحياةٍ بائسة ووحيدة، ومحروم إلى الأبد من الرضا الذي يوفره الاتصال البشري.

لكن الآن..

تتثاءب إيلا بصمت، وهي تُعانق وسادة على صدرها بينما تنكمِش على جانبها. تُغلق عينَيها.

ابتسامتها تُبهجني وأنا أشاهدها.

لا زلتُ مندهشًا من كيف أن مجرد النظر إليها يمكن أن يجلب لي الكثير من السلام. تتحرك مرة أخرى، وتدفن نفسها بعُمق أكبر في الوسائد، وأدرك أنها يجب أن تكون منهكة. وبقدْر ما أودُّ أن أضمَّها إلى ذراعيَّ، قررت أن أمنحها مساحة. أبتعد بهدوء، واستخدمت الوقت بدلًا من ذلك لاستكشاف بقية منزلنا المؤقت الجديد.

لا زلتُ متفاجئًا بمدى إعجابي به.

لدينا هنا – في هذا المقر الجديد – خصوصية أكثر مما كانت لدَينا من قبل. حرية أكبر. هنا أنا زائر، مرحَّب بي لأستحمَّ وأستريح قبل العشاء. لا يَتوقَّع مني أحد أن أدير عالَمهم. ليس لدي أي مراسلات لأُتابعها. لا توجد مهام مروِّعة للقيام بها. لا مدنيين للإشراف عليهم. لا أبرياء لتعذيبهم. أشعر بمزيدٍ من الحرية الآن بعد أن تولَّى شخص آخر زمام الأمور.

إنه أمر غريب ورائع في نفس الوقت.

يشعر المرء بالرضا الشديد لوجود مساحة مع إيلا – مساحة حرفية – لنكون أنفسنا، لنكون معًا، لنتنفَّس ببساطة. شاركتني إيلا غرفة نومي في القاعدة، لكنها لم تشعُر أبدًا بأنها في منزلها. كل شيء كان باردًا وعقيمًا. كرهت ذلك المبنى. كرهت تلك الغرفة. كرهت كل دقيقة من حياتي. تلك الجدران –غرفتي الشخصية – كانت خانقة، مليئة بالذكريات الرهيبة. لكن هنا – على الرغم من صغر الغرفة – فإن المساحة الضيقة تُشعرني بالراحة. يُشعرني هذا المكان بالانتعاش والابتكار والصفاء. المُستقبل لا يبدو مستبعدًا هنا. الأمل هنا ليس شيئًا سخيفًا.

أشعر وكأنه فرصة للبدء من جديد.

ولا يبدو من الخطر أن نحلُم أنه في يومٍ من الأيام، قد تُصبح إيلا ملكي بكلِّ معنى للكلمة. زوجتي. عائلتي. مُستقبلي.

لم أتجرأ على التفكير في الأمر مُطلقًا من قبل.

لكن أملي يتم إخماده بنفس سرعة ظهوره. تومِض تحذيرات كينجي في ذهني، وأشعر بالانزعاج فجأة. على ما يبدو فإن التقدُّم بطلَب الزواج من إيلا أكثر تعقيدًا مما كنت أظنه. على ما يبدو أحتاج إلى نوع من الخطة.

خاتم. الركوع على ركبةٍ واحدة. يبدو كل هذا سخيفًا بالنسبة لي. لا أعرف حتى لماذا يبدو الأمر سخيفًا، بالضبط، فقط أنه لا يبدو وكأنه يليق *بي*. لا أعرف كيف أطلب يدَها، لا أريد أن أُثير ضجة. سأجد صعوبةً بالغة في أن أكون مكشوفًا هكذا أمام أشخاصٍ آخرين أو في مكانٍ غير مألوف. لن أعرف ماذا أفعل بنفسي.

ومع ذلك تبدو هذه المشاكل قابلةً للتغلب عليها في مقابل سعيي وراء البقاء للأبد معها. سأركع على ركبةٍ واحدة إذا أرادت إيلا ذلك. سأتقدَّم لها في غرفة مليئة بأقرب أصدقائها إذا كان هذا ما تحتاجه.

لا، خوفي أكبر بكثيرٍ من ذلك.

كان الشيء الذي قاله لي كينجي اليوم وأزعجني في صميمي هو احتمال أن ترفض إيلا. لم يتبادر إلى ذهني قطُّ أنها قد ترفض، وهذا أمر *غير منطقي*.

بالطبع قد ترفض.

يمكنها أن تكون غير مُهتمة لعددٍ من الأسباب. قد لا تكون مستعدَّة على سبيل المثال. أو ربما لا تكون مهتمة بمؤسسة الزواج ككل. أو – على ما أعتقد – أنها ببساطة لا تريد أن تربط نفسها بي بطريقةٍ دائمة كهذه.

الفكرة ترسِل قُشَعريرة عبر جسدي.

لقد افترضتُ أنني وهيَ نفكر في نفس الأشياء.. عاطفيًّا.. لكن افتراضاتي في هذا القسم أوقعتني في مشكلة أكثر مما أودُّ الاعتراف بها، والمخاطر عالية الآن لدرجة لا تسمح لي بعدم أخذ مخاوف كينجي على مَحمل الجد. لستُ مُستعدًّا للاعتراف بالضرَر الذي سيُحدثه في قلبي إذا رفضت عرضي.

آخُذ نفسًا عميقًا وحادًّا.

قال كينجي إنني بحاجة إلى إحضار خاتم لها. حتى الآن كان على حقٍّ في معظم الأشياء التي أخطأتُ فيها في علاقتنا، لذلك أنا أميل إلى الاعتقاد بأنه قد يكون على حق. لكن ليس لدي أي فكرة عن المكان الذي يُمكنني فيه استحضار خاتمٍ في مكانٍ كهذا. ربما لو كنا في المنزل.. حيث كنت على دراية بالمنطقة وحرفييها...

ولكن هنا؟

لا أستطيع التفكير في أي شيءٍ آخر الآن.

في الواقع، هناك الكثير للتفكير فيه، لدرجة أنني لا أُصدق حقًّا أنني أفكر في شيء كهذا.. في وقتٍ كهذا. لم يكن لديَّ حتى لحظة للتصالُح مع التجديد الواضح لأبي، أو حرفيًّا أي من الاكتشافات الجديدة الثورية التي ألقت بها عائلاتنا علينا. نحن في خِضم معركةٍ من أجل حياتنا؛ نحن نقاتل من أجل مستقبل *العالم*.

أُغمض عيني بقوة. ربما أنا حقًّا أحمق.

قبل خمس دقائق بدا أن نهاية العالم هي السبب الصحيح للتفكير في الزواج: أن آخُذ كل شيءٍ يُمكنني أخذه في هذا العالم الزائل، ولا أحزن على شيء. ولكن فجأة يبدو الأمر وكأن هذا قد يكون حقًّا قرارًا

متهورًا. ربما لم يكن هذا هو الوقت المناسب بعد كلِّ شيء.

ربما كينجي كان على حق. ربما لم أُفكر بوضوح. ربما فقدان إيلا واستعادة كل هذه الذكريات...

ربما جعلني هذا أفكر بشكلٍ غير عقلاني.

أبتعد عن الحائط محاولًا تصفية ذهني. أتجول في بقية المساحة الصغيرة، وأجرد كل شيء في خيمتنا، وألقي نظرة خاطفة على الحمَّام. أشعر بالراحة لاكتشاف أن هناك صرفًا حقيقيًّا. في الواقع كلما نظرتُ حولي أكثر؛ أدركت أكثر أن هذه ليست خيمة على الإطلاق. توجَد أرضيات وجدران وسقف مُقبَّب واحد في هذه الغرفة، كما لو كانت كل وحدة عبارة عن مبنًى صغير مستقلٍّ بذاته. يبدو أن الخيام مُلقاة فوق الهيكل بأكمله.. وأتساءل عما إذا كانت تخدُم غرضًا عمليًّا أكثر غير واضحٍ على الفور.

قالت نوريا: *عدة سنوات.*

إنهم عاشوا هنا عدة سنوات، وجعلوا تلك الخيم منازلهم، لقد وجدوا حقًّا طريقة لصنع شيءٍ من لا شيء.

الحمَّام ذو حجم مناسب، واسع بما يكفي لشخصَين للمشاركة، ولكنه ليس كبيرًا بما يكفي لحوض استحمام. ومع ذلك عندما اقتربنا لأول مرةٍ من الغابة لم أكن متأكدًا حتى من أن لدَيهم مرافق مناسبة أو مياهًا جارية، لذلك هذا أكثر مما كنتُ أتمنَّى. وكلما حدقتُ إلى الدش، زادت رغبتي فجأة في غسل هذه الأسابيع من فوق بشرتي. لقد حرصتُ دائمًا على نظافتي، حتى في السجن، لكن لقد مضى وقتٌ طويل منذ أن استحممتُ بماءٍ ساخن مُتدفق، وبالكاد أستطيع مقاومة الإغراء الآن.

كنتُ قد خلعت معظم ملابسي بالفعل عندما سمعتُ إيلا تُنادي باسمي، صوتها الذي لا يزال ناعسًا ينتقِل إليَّ من غرفة نومِنا. أو مساحة الفراش. إنها ليست غرفة بقدْر ما هي منطقة مُخصصة لسرير.

أصرخ مرةً أخرى: نعم؟

تقول: إلى أين ذهبت؟

-أظن أنني سآخُذ حمامًا.

أحاول أن أقول دون صراخ. لقد خرجتُ للتو من ملابسي الداخلية وخطوت تحت المياه المُتدفِّقة، لكنني أدرتُ المقابض في الاتجاه الخاطئ وخرج الماء البارد من رأس الدش. قفزت إلى الوراء بينما أسرع لتصحيح خطئي، وكدت أصطدم بإيلا في هذه العملية.

إيلا التي تقف فجأة خلفي.

لا أعلم ما إذا كانت عادة أو غريزة أو دفاعًا عن النفس، لكنني أمسكت بمنشفة من رفٍّ قريب وضغطتها بسرعة على جسدي العاري. أنا لا أفهم حتى لماذا أصبحتُ فجأة واعيًا بجسدي. لا أشعر أبدًا بعدم الرضا عن مظهري. أنا أُحب شكلي عاريًا.

لكن هذه اللحظة لم تكن من اللحظات التي توقعتُها، وأشعر بالعجز.

أقول وأنا آخُذ نفسًا سريعًا متذكرًا أن أبتسِم: مرحبًا حبيبتي، لم أركِ تقفِين هناك.

تعقد إيلا ذراعَيها متظاهرة بالغضب، لكنني أستطيع رؤية الجهد الذي تبذله لكتم ابتسامتها.

تقول بصرامة: آرون، هل كنتَ ستستحم بدوني؟

أرفع حاجبيَّ لأعلى متفاجئًا.

للحظة لا أعرف ماذا أقول. ثم أقول بحذَر: هل ترغبين في الانضمام إليَّ؟

تتقدم خطوة للأمام، وتلفُّ ذراعَيها حول خصري، وتنظر إليَّ بابتسامةٍ لطيفة وسرية. كانت النظرة في عينَيها كافية لجعلِي أُفكر في إسقاط المنشفة.

أهمس باسمها، وقلبي مُثقل بالعاطفة.

تجذبني إليها، وتضع شفتَيها برفقٍ على صدري، أتجمَّد في مكاني بشكلٍ غير مريح، تُصبح قبلاتها أكثر عمقًا وتترك شفتاها دربًا من النار عبر صدري، وأسفل جذعي، وتدفقت المشاعر في عروقي، وتشتعِل النار في جسدي. فجأة أنسى لماذا كنتُ أحمل المنشفة.

لا أعرف حتى متى سقطت على الأرض.

أُلُفُّ ذراعيَّ حولها، وأجذبها. إنها رائعة، وجسدها يُناسبني تمامًا، أُميل وجهها لأعلى، وأضع يدي في مكانٍ ما خلف رقبتِها وقاعدة فكِّها وأُقبلها بهدوء وبطء، والحرارة تملأ دمي بسرعةٍ خطيرة. أجذبها بقوة فتشهق وترتبِك وتتراجع خطوةً إلى الوراء عن طريق الخطأ فأُمسك بها وأضغطها على الحائط خلفها. أجمع طرف فستانها وأسحبه إلى الأعلى بحركة سلسة، وتنزلق يدي تحت القماش لأتحسَّس خصرها الناعم، وأمسك بساقَيها بقوة. أُباعد بينهما بساقيَّ فتتأوَّه بنعومة ويأس ويفعل هذا بي شيئًا، شعوري بها هكذا.. سماعها هكذا.. أشعر وكأنني أتعرَّض لهجومٍ لا نهاية له من مُتعتها ورغبتها...

يدفعني هذا إلى *الجنون*.

أدفن وجهي في رقبتها، وأرفع يدي إلى أعلى، تحت فستانها لأشعر ببشرتها الساخنة والناعمة والحسَّاسة للَمْستي. لقد افتقدتها كثيرًا. لقد افتقدتُ جسدها تحت يدي، وافتقدتُ رائحة بشرتها والملمَس الناعم الخفيف لشعرها على جسدي. أقبل رقبتَهَا محاولًا تجاهل التوتُّر في عضلاتي أو الضغط الشديد اليائس الذي يدفعني نحوَها، نحو الجنون. هناك ألَم يتوسع بداخلي ويُطالبني بالمزيد، يُطالبني بقلبِها وفقدان نفسي فيها هنا، الآن، وتهمس...

-كيف.. كيف تُشعرني بالسعادة هكذا؟

تتشبَّث بي، وعيناها نصف مغلقتَين لكنهما مشرقتان بالرغبة. وجهها مُحمر. كلماتها مثقلة بالمشاعر عندما تقول: كيف تفعل هذا بي دائمًا؟

أبتعِد عنها.

أتراجَع خطوتَين إلى الوراء وأتنفَّس بصعوبة، وأحاول استعادة السيطرة على نفسي حتى مع اتساع عينَيها، وتوقُّف ذراعَيها فجأة.

تقول: آرون؟ ماذا...

أقول بهدوء: اخلعي فستانك.

يستيقظ الفهم في عينَيها.

لا تقول شيئًا، فقط تنظر إليَّ بحذَر، بينما أشاهدها، سجينًا في مكاني من عذاب تَوقي إليها. يداها ترتعشان لكن عينَيها راغبتان ومتوتِّرتان. تدفع القماش إلى أسفل، خلف كتفَيها وتتركه يسقط على الأرض. أستمتع برؤيتها وهي تخرج من الفستان، وعقلي يدور.

رائعة، بل. *رائعة للغاية*.

يتسارع نبضي.

عندما أطلب منها ذلك، تفكُّ حمالة صدرها. بعد لحظات، تسقط ملابسها الداخلية على الأرض ولا أستطيع أن أبتعِد عنها، عقلي غير قادر على معالجة كمال هذه السعادة. إنها مذهلة للغاية لدرجة أنني بالكاد أستطيع التنفُّس. لا أستطيع أن أفهم أنها مِلكي، وأنها تُريدني، وأنها قد تُحبني. لا أستطيع حتى أن أسمع نفسي أفكر في تدفُّق الدم في أُذني، وخفقان قلبي بسرعة وقوة حتى أنه يبدو وكأنه يرتطم بجمجمتي. منظرها واقفة أمامي، ضعيفة ومتوهِّجة بالرغبة، تجعلني أفعل أشياء جنونية ويائسة في ذهني. يا إلهي، لقد راودتني تخيُّلات عنها. الأماكن التي ذهب إليها عقلي.

أتقدَّم للأمام وأحمِلها وهي تشهق مندهشة، تتشبَّث بيأسٍ برقبتي بينما أضع ساقَيها حول خصري، وتستقر ذراعيَّ تحت فخذَيها. أحب الشعور بثقل منحنياتها الناعمة. أُحب أن تكون قريبةً مني إلى هذا الحد. أُحب ذراعَيها حول رقبتي وضغط ساقَيها حول وركي. أُحب مدى استعدادها، ساقاها مفتوحان بالفعل، وكل بوصةٍ منها تضغط عليَّ. ولكن بعد ذلك تُمرر يدَيها على ظهري العاري وأُضطر إلى مقاومة الرغبة في الارتجاف. لا أريد أن أكون خجولًا بشأن الندوب فوق جسدي. لا أريد أن يكون أي جزءٍ مني محظورًا عليها. أريدها أن تعرفني تمامًا كما أنا، وبقدْر ما يكون الأمر صعبًا، أسمح لنفسي بالتأقلم مع لمستها، وأغمض عينيَّ بينما تُمرر يدَيها لأعلى، عبر كتفي، على طول ذراعي.

تقول بهدوء: أنتَ رائع للغاية، أنا دائمًا مندهشة. لا يُهم عدد المرات التي أراك فيها بدون ملابس، فأنا دائمًا مندهشة. لا يبدو من العدل أن يكون أي شخص بهذا الجمال.

تنظر إليَّ، تحملق بي وكأنها تتوقع إجابة، لكنني لا أستطيع التحدث. أخشى أن أتفكك إذا فعلت ذلك. أريدها بيأسٍ لم أعرفه من قبل.. يأس مؤلِم وساحق لدرجة أنه يُهدد بهلاكي. أحتاجها. أحتاج هذا. الآن. آخُذ نفسًا عميقًا غير مُستقر، وأحملها إلى الحمام.

تصرخ.

يضربنا الماء الساخن بسرعةٍ وبقوة، وأضغطها على جدار الحمام، وأفقد نفسي فيها بطريقة لم أفعلها من قبل. القبلات أعمق وأكثر يأسًا. الحرارة أكثر انفجارًا. كل شيءٍ بيننا يبدو جامحًا وخامًا ورقيقًا.

أفقد إحساسي بالوقت.

لا أعرف كم من الوقت قضيناه هنا. لا أعرف كم من الوقت فقدت نفسي فيها عندما صرخَت وهي تمسك بذراعي بإحكامٍ شديدٍ حتى أن أظافرها غاصت في جلدي، صراخها مكتوم على صدري. أشعر بالضعف وعدم الاستقرار وهي تنهار بين ذراعي؛ لقد سُكِّرت بقوة عواطفها النقية المذهلة: موجات لا نهاية لها من الحُب والرغبة، والحُب واللُّطف، والحُب والفرح، والحب والحنان. الكثير من الحنان.

لقد كان الأمر أكثر مما أستطيع تحمُّله تقريبًا.

أتراجع إلى الخلف، وأتكئ على الحائط وهي تضغط بخدِّها على صدري وتحتضنني، وأجسادنا مُبللة وثقيلة بالمشاعر، وقلوبنا تنبض بشيءٍ أقوى مما كنتُ أتخيَّله. قبلتُ منحنى كتفها، ومؤخرة عنقها. نسيتُ أين نحن وكل ما تبقَّى لنا أن نفعله واحتضنتها فقط، والماء الساخن يتدفق على ذراعي، وأطرافي لا تزال ترتجِف قليلًا، خائفة جدًّا من تركِها.

31

جولييت إيلا

أستيقظ فجأة.

بعد أن خرجنا من الحَمَّام، جفَّفنا أنفسنا أنا وآرون، وصعدنا إلى السرير دون أن ينبس ببنت شفة، وسقطنا في النوم على الفور. ليس لديَّ أي فكرة عما هو الوقت. جسد آرون ملتفٌّ حولي، إحدى ذراعَيه تحت رأسي، والأخرى ملفوفة حول خصري. ذراعاه ثقيلتان، وثقله يبدو جيدًا جدًّا – يجعلني أشعر بالأمان – لدرجة أنني لا أرغب في التحرك أبدًا.

على الجانب الآخر أعلم أنه ربما ينبغي علينا النهوض من السرير.

أتنهَّد، وأكره إيقاظه.. يبدو متعبًا للغاية، أستدير ببطءٍ بين ذراعَيه.

يسحبني بقوة أكبر. يتحرك بحيث يستقر ذقنه على رأسي. أَصبح وجهي الآن مضغوطًا برفقٍ فوق حنجرته، أتنفَّسه، وأُمرر يدي على طول خطوط عضلاته القوية والعميقة في ذراعَيه. كل شيء فيه يبدو خامًا. قويًّا.. هناك شيء جامح ومُرعب في قلبه، وبطريقةٍ ما، معرفة هذا تجعلني أُحبه أكثر. أتتبع خطوط لوحَي كتفَيه، وانحناء عموده الفقري.

يتحرك، ولكن قليلًا، ويدفن وجهه في شعري، ويشم رائحتي.

يقول بهدوء: لا تذهبي.

أُميل رأسي، وأُقبل بلطفٍ حنجرته. أهمس: آرون، لن أذهب إلى أي مكان.

يتنهَّد ويقول: جيد.

أبتسم: ولكن ربما ينبغي لنا أن نخرج من السرير. علينا أن نذهب لتناول العشاء. الجميع سيكون بانتظارنا.

يهز رأسه بالكاد. يُصدر صوتًا مستنكرًا في حلقه.

–لكن...

–لا.

وببراعة يُساعدني على الالتفاف. يُعانقني بقوة مرة أخرى، وظهري يضغط على صدره. صوته ناعم أجشُّ بالرغبة عندما يقول: دعيني أستمتع بك يا حُبي. أنت تُشعرينني بسعادةٍ كبيرة جدًّا.

وأنا أستسلم. أذوب مرة أخرى في ذراعَيه.

الحقيقة هي أنني أُحب هذه اللحظات أكثر. الرضا الهادئ. السلام. أحب وزنه، الشعور به، وجسده العاري ملفوفًا حول جسدي. لم أشعر قط بالقرب منه أكثر مما أشعر به الآن عندما لا يفصل بيننا شيء.

يُقبل غمازاتي. يَحتضنني بطريقةٍ أو بأخرى أكثر إحكامًا. وشفتاه عند أذني حين يقول: قال كينجي إنه كان من المُفترض أن أحضر لك خاتمًا.

أتجمَّد، مرتبكة، أحاول أن أستدير عندما أقول: ماذا تقصد؟

ولكن آرون يُعيد جسدي كما كان مرة أخرى، يريح ذقنه على كتفي. يداه تتحرك إلى أسفل ذراعي، وتتبع منحنى ساقي. يقبل رقبتي مرة، مرتَين، بهدوء شديد. يقول: أعلم أنني أفعل هذا بشكلٍ خاطئ. أعلم أنني لستُ جيدًا في هذا النوع من الأمور يا عزيزتي، وآمُل أن تُسامحيني على ذلك، لكنني لا أعرف كيف أفعل ذلك. (يتوقف للحظة) وبدأتُ أظن أن الأمر قد يقتلني إذا لم أفعل ذلك.

جسدي متجمِّد، حتى عندما ينبض قلبي بقوة في صدري، أقول وأنا لا أجرؤ على التنفس: آرون، ما الذي تتحدث عنه؟

لا يقول شيئًا.

أستدير مرة أخرى، وهذه المرة لا يمنعني. تشتعِل عيناه بالعاطفة، وأشاهد الحركة الصغيرة في حلقه وهو يبلَع ريقَه، تتحرك عضلة في فكِّه. يهمس قائلًا: تزوَّجيني.

أُحدق إليه، عدم التصديق والفرح يتصادمان بداخلي، وهذه النظرة في عينَيه، النظرة المفعمة بالأمل والذُّعر في عينَيه هي التي تكاد تقتلني.

أبكي فجأة، أضع يدي على وجهي، شهقة تهرُب من فمي.

بلُطفٍ يدفع يدي بعيدًا عن وجهي ويقول هامسًا: إيلا؟

ما زلت أبكي عندما أضع ذراعيَّ حول رقبته، وما زلت أبكي عندما يقول بقليل من التوتر...

-عزيزتي، أنا حقًّا بحاجةٍ إلى معرفة ما إذا كان هذا يعني نعم أم لا...

أبكي في حالة هستيرية بعض الشيء: نعم.. نعم.. نعم لكل شيء معك. نعم إلى الأبد معك.. *نعم*.

32

وارنر

أهذا هو الفرح؟ أظن أنه قد يقتلني.

-آرون؟

-نعم يا حُبي؟

تأخذ وجهي بين يدَيها وتقبّلني، تقبّلني بحب عميق يُحرر عقلي من سجنه. يبدأ قلبي بالخفقان بعنف.

أقول: إيلا، ستكونين زوجتي.

تقبّلني مرة أخرى، تبكي مرة أخرى، وفجأة لم أعُد أتعرف على نفسي. لا أتعرف على يدي، ولا على عظامي، ولا على قلبي. أشعر أنني جديد. مختلف.

تهمس: أحبك، أحبك كثيرًا.

-يبدو أن قُدرتكِ على أن تُحبيني من الأساس بمثابة معجزة.

تبتسِم وهي تهز رأسها وتقول: هذا سخيف، من السهل جدًّا جدًّا أن أُحبك.

ولا أعرف ماذا أقول. لا أعرف كيف أرد.

يبدو أنها لا تُمانع.

أجذبها إليّ، وأقبّلها مرة أخرى، وأفقد نفسي في مذاقها والإحساس بها، في خيال ما يمكن أن نملِكه. ما يمكن أن نكونه. ثم أسحبها برفقٍ إليّ لتجلس على جسدي، وتستقر فوقي حتى نضغط معًا، وأضمُّها إلى صدري. أُحيط ذراعي حولها، وأمدُّ يدي على ظهرها. أشعر بأنفاسها اللطيفة على بشرتي، ورموشها تدغدغ صدري وهي تغمض عينَيها، وأُقرر أنني لن أترك هذا السرير أبدًا.

يُخيم علينا صمتٌ سعيد ورائع.

تقول بهدوء: لقد طلبتَ مني الزواج.

-نعم.

-واو.

أبتسم، وقلبي مليء فجأة بفرح لا يوصف. بالكاد أتعرف على نفسي. لا أتذكر آخِر مرة ابتسمتُ فيها كثيرًا. لا أتذكَّر أنني شعرتُ على الإطلاق بهذا النوع من النعيم الخالِص الخالي من العبء. كما لو أن جسدي قد يطفو بعيدًا بدوني.

ألمس شعرها برفق. أُمرر أصابعي عبر خصلاته الناعمة الحريرية. عندما أجلس أخيرًا، تجلس هي أيضًا، وتخجل عندما أُحدق فيها مسحورًا برؤيتها. عيناها واسعتان ومشرقتان. شفتاها مُمتلئتان ورديَّتان. إنها

مثالية، مثالية هنا.. عارية وجميلة بين ذراعي.

أضغط جبيني إلى منحنى كتفِها، وتلمس شفتاي بشرتها. أهمس: أحبك يا إيلا، سأُحبك لبقية حياتي. قلبي لك من فضلك لا تُعيديه لي أبدًا.

لا تقول شيئًا لفترةٍ طويلة تكاد تكون دهرًا.

أخيرًا أشعر بحركتها. تلمس وجهي بيدِها.

تهمس: آرون، انظر إلي.

أهز رأسي.

-آرون.

أرفع رأسي ببطء لألتقي بعينَيها، وتعابير وجهها حزينة وحلوة ومليئة بالحب في نفس الوقت. أشعر بشيءٍ يذوب بداخلي وأنا أحدق إليها، وبينما هي على وشك أن تقول شيئًا، يتردَّد صدى رنينٍ مُعقَّد في الغرفة.

أتجمَّد في مكاني.

تعبس إيلا. تنظر حولها. تقول: هذا يبدو وكأنه جرس باب.

أتمنَّى لو كان بإمكاني إنكار الاحتمال.

أجلس، على الرغم من أنها لا تزال جالسة على حضني. أريد أن ينتهي هذا الانقطاع. أريد العودة إلى مُحادثتنا. أريد التمسّك بخُطتي الأصلية لقضاء بقية الليل هنا، في السرير، مع خطيبتي العارية المثالية.

يرن الجرس مرةً أخرى، وهذه المرة، أُتمتِم بشيءٍ غير لائق.

تضحك إيلا مندهشة. هل شتمتَ للتو؟

-لا.

يرن الجرس الثالث. هذه المرة، أتطلَّع إلى السقف وأحاول تصفية ذهني. أحاول إقناع نفسي بالتحرك وارتداء ملابسي. لا بد أن هذا نوع من الطوارئ، وإلا...

فجأة، يجيء صوت: اسمع، لم أكن أرغب في المجيء، حسنًا؟ لم أكن أرغب حقًّا. أكره أن أكون هذا الرجل. لكن كاسل أرسلني لأخذكما لأنكما فاتكما العشاء. لقد أصبح الوقتُ متأخرًا للغاية والجميع قلِقون بعض الشيء، والآن لم تعُد حتى تُجيب على الباب، و... يا يسوع المسيح! افتح الباب اللعين...

لا أصدق ذلك. لا أصدق أنه هنا. إنه هنا دائمًا، ويدمِّر حياتي.

سأقتله.

كدتُ أن أتعثر وأنا أحاول ارتداء بنطالي والوصول إلى الباب في نفس الوقت، ولكن عندما فعلتُ ذلك، قمتُ بفتح الباب، ومزقته تقريبًا من مفصلاته.

-ما لم يكن هناك شخصٌ ميت أو يحتضر أو نتعرَّض لهجوم، أريدك أن ترحل قبل أن أُنهي هذه الجملة.

يُضيق كينجي عينَيه نحوي، ثم يدفعني ويدخل الغرفة. وأنا مذهول جدًّا من جرأته لدرجة أنني استغرقتُ لحظة لأدرك أنني سأُضطر إلى قتله.

يقول وهو ينظر حوله: جيه؟ هل أنت هنا؟

تمسك إيلا بملاءة السرير حتى رقبتها.

تبتسم بتوتر: أوه، مرحبًا، ماذا تفعل هنا؟

يقول: مرحبًا، هل من المُمكن أن أظل أُناديك جيه؟ أعرف أن اسمك إيلا وكل شيء، لكنني اعتدتُ على مناداتك جيه، لذا أشعر أنه جيد، تعلمين...

تقول وهي تعبس: لا يزال بإمكانك مناداتي جيه، كينجي، ما الأمر؟

أتأوَّه.

أقول بحدة: اخرج، لا أعرف لماذا أنت هنا، ولا أهتم. لا نريد أن يُزعجنا أحد. *أبدًا*.

ترمقني إيلا بنظرةٍ حادة. تتجاهلني عندما تقول لكينجي: لا بأس. أنا أهتم. أخبرني ما الخطب؟

يقول كينجي: لا يُوجَد خطب، لكنني أعلم أن حبيبك لن يستمع إلي، لذا أردتُ أن أخبرك أنه منتصف الليل تقريبًا ونحتاج حقًّا إلى أن تنزلا إلى خيمة الطعام في أسرع وقتٍ مُمكن، حسنًا؟

ينظر إلى إيلا نظرةً مليئة بالحماس، تتَّسع عيناها. تومئ برأسها. أشعر بموجةٍ مفاجئة من الإثارة تسري في جسدها، وتركتني مرتبكًا.

أقول: ما الذي يحدث؟

يبدأ كينجي في الابتعاد.

يقول وهو يصفعني على كتفي مغادرًا: يا أخي أنت حقًّا بحاجة إلى تناول بعض البيتزا أو شيء من هذا القبيل، لديك الكثير من عضلات البطن.

أقطب: ماذا؟.. هذا ليس..

-أنا *أمزح*، (يقول كينجي متوقفًا عند المدخل قبل أن يغادر) أمزح، لقد كانت مزحة. يا إلهي!

ثم يغلق الباب خلفه.

أستدير.

أقول مرة أخرى: ماذا يحدث؟

لكنها تبتسم فقط: يجب أن نرتدي ملابسنا.

-إيلا...

-أعدك بأنني سأشرح لك الأمر بمجرد وصولنا إلى هناك.

أهز رأسي: هل حدث شيء؟

-لا، أنا فقط، أنا مُتحمسة حقّا لرؤية الجميع من أوميجا بوينت مرة أخرى، وهم جميعًا ينتظروننا في خيمة الطعام.

تخرج من السرير وهي لا تزال تمسك بملاءة السرير على جسدها، ويجب أن أكوِّر قبضتي حتى لا أسحبها بعيدًا عنها.. حتى لا أُثبتها على الحائط.

وقبل أن تُتاح لي الفرصة للرد، تختفي في الحمَّام، والملاءة تُجَرُّ على الأرض في أثناء سيرها.

أتبعها.

إنها تبحث عن ملابسها، غير مُدركة لوجودي، لكن فستانها مُلقًى على الأرض في زاوية لم ترَه بعد، وأنا أشكُّ في أنها تريد ارتداء ذلك الفستان الملطخ بالدماء على أي حال. يجب أن أُخبرها أنني وجدت دُرجًا مليئًا بالملابس البسيطة التي يُسمح لنا باستعارتها على الأرجح.

ربما لاحقًا.

في الوقت الحالي، أقف خلفها، وأضع يديَّ حول خصرها. ترتجف وتسقط الملاءة على الأرض.

أقول بهدوء، وأسحب جسدها ضد جسدي: إيلا، عزيزتي، عليك أن تُخبريني بما يحدث.

أُديرها ببطء. تنظر إلى نفسها، مندهشة - مندهشة دائمًا - من رؤية جسدها العاري.

تهمس: ليس لديَّ أي ملابس.

-أعرف.

أقول، مبتسمًا وأنا أُمرر يدي على ظهرها، مقدرًا نعومتها ومنحنياتها المثالية. أتمنَّى لو كان بإمكاني تخزين هذه اللحظات. أتمنَّى لو كان بإمكاني إعادة زيارتها. إحياءها. إنها ترتجف بين ذراعيَّ وأنا أسحبها أقرب إليّ.

تقول وهي تلفُّ ذراعَيها حولي: هذا ليس عدلًا، ليس من العدل أن تشعر بعواطفي. أنه من المُستحيل إخفاء الأسرار عنك.

أقول: ما ليس عدلًا، أنك على وشكِ ارتداء ملابسك وإجباري على مغادرة غرفة النوم هذه ولا أعرف السبب.

تُحدق إلي، وعيناها متسعتان ومتوترتان حتى وهي تبتسم. أستطيع أن أشعر بأنها ممزقة، وقلبها في مكانَين في وقتٍ واحد.

تقول بهدوء: آرون، ألا تُحب المفاجآت؟

-أنا أكره المفاجآت.

تضحك، تهز رأسها: أظن أنه كان عليَّ معرفة ذلك.

أُحملق بها رافعًا حاجبيَّ، ما زلتُ أنتظر تفسيرًا.

-سيقتلونني لأنني أخبرتُك، (تنظر في عيني) ليس.. أعني ليس حرفيًّا. ولكن فقط...

أخيرًا تتنهَّد. ولا تنظر إليَّ عندما تقول: سنُقيم لك حفل عيد ميلاد.

أنا متأكد من أنني أخطأتُ في سماعها.

33

جولييت إيلا

لقد استغرق الأمر الكثير من المجهود – أكثر مما تخيلت – لأجعله يُصدقني. لقد أراد أن يعرف كيف يُمكن لأي شخصٍ أن يعرف أن غدًا هو عيد ميلاده، وكيف يُمكننا التخطيط لحفلةٍ عندما لم تكن لدينا أي فكرة عن أننا سنُحطم الطائرة هنا، ولماذا قد يُقيم له أي شخصٍ حفلة بينما لم يكن متأكدًا أنه يُحب الحفلات.. والكثير والكثير من الأسئلة.. ولم يُصدقني إلا بعدما مررنا حرفيًّا عبر أبواب خيمة الطعام وصرخ الجميع في وجهه «عيد ميلاد سعيد».

لم يكن الأمر كثيرًا بالطبع. لم يكن لدَينا الوقت الكافي للاستعداد. كنت أعلم أن عيد ميلاده سيأتي لأنني كنتُ أحسب الأيام منذ اليوم الذي أخبرني فيه بما كان يفعله والده به – كل عام – في عيد ميلاده. أقسمتُ لنفسي أنني سأفعل كل ما بوسعي لاستبدال تلك الذكريات بأخرى أفضل. أنني سأحاول إلى الأبد أن أطرد الظلام الذي ابتلع حياته بأكملها وهو صغير.

أخبرت كينجي – عندما وجدني – أن غدًا هو عيد ميلاد آرون، وجعلته يعِدُني أنه بصرف النظر عما يحدث؛ عندما نجده سنجد طريقةً للاحتفال بشكلٍ بسيط.

لكن هذا...

كان هذا أكثر مما تمنَّيتُه. اعتقدت أنه ربما – نظرًا لضيق وقتنا – سنجد مجموعة تُغني له «عيد ميلاد سعيد»، أو ربما نتناول الحلوى على شرفِه، لكن هذا... هناك كعكة حقيقية. كعكة بداخلها شموع تنتظِر أن تُضاء. الجميع من أوميجا بوينت موجودون هنا. فريق بأكمله من الوجوه المألوفة: براندن، ووينستون، وسونيا وسارة، وعاليا، وليلي، وإيان وكاسل. فقط آدم وجيمس مفقودان، لكن لدَينا أصدقاء جُدد أيضًا.. حيدر هنا. وكذلك ستيفان. نظيرة. ثم هناك المقاومة الجديدة. أعضاء الملاذ الذين لم نلتقِ بهم بعد، يتقدمون جميعًا، ويتجمّعون حول كعكةٍ واحدة متواضعة، والتي كُتب فوقها ***«عيد ميلاد سعيد يا وارنر»*** بسُكَّر الزينة الأحمر. الكتابة غير متقنة، الزينة غير مكتملة، لكن عندما يطفئ شخصٌ ما المصابيح ويشعل الشموع، يتجمَّد آرون فجأة بجانبي. أضغط على يدِه وهو ينظر إليَّ، وعيناه مُمتلئتان بعاطفة جديدة. هناك مأساة وجمال في عينَيه: شيء رزين يرفض أن يتحرك، وشيء طفولي لا يسعه إلا أن يشعر بالبهجة. إنه يبدو باختصار وكأنه يتألَّم.

أهمس: آرون، هل هذا جيد؟

يستغرق بضع ثوانٍ للرد، ولكن عندما يفعل أخيرًا يومئ برأسه. مرة واحدة فقط.. ولكن هذا يكفي.

يقول بهدوء: نعم، هذا جيد.

وأشعر بالارتياح.

غدًا سيكون هناك ألَمَ ودمار يجب مواجهته. غدًا سنغوص في فصلٍ جديد تمامًا من المشقَّة. هناك حرب عالمية تختمر. معركة من أجل حياتنا، من أجل العالم كلِّه. في الوقت الحالي لا شيء مضمون تقريبًا، لكن الليلة، سأختار أن أحتفل.

سنحتفل بالأفراح الصغيرة والكبيرة. أعياد الميلاد والخِطبات. سنجد وقتًا للسعادة. لأنه كيف يُمكننا أن نقِف ضد الطغيان إذا كنا أنفسنا مُمتلِئين بالكراهية؟ أو ما هو أسوأ..

بلا شيء؟

أريد أن أتذكَّر أن أحتفِل أكثر. أريد أن أتذكَّر تجربة المزيد من الفرح. أريد أن أسمح لنفسي أن أكون سعيدةً بشكلٍ متكرر. أريد أن أتذكَّر، إلى الأبد، هذه النظرة على وجه آرون، وهو يتعرَّض للمُضايقات كي يُطفئ شموع عيد ميلاده لأول مرة.

في نهاية المطاف هذا ما نُقاتل من أجله، أليس كذلك؟

فرصة ثانية للفرح.